UNIVERSAL
LIBRARY
OU-234149
UNIVERSAL
LIBRARY

فهرست مطالب تحفة الاخلاء في عصمة الانبياء عليهم السلام

صفحه	مطالب
۵	المقدمة في بيان معنى النبي والرسول والولي
۶	في بيان معنى الرسول
۷	في عدد كتب المنزلة من السماء
۸	في عدد اولي العزم من الانبياء
۱۰	في بيان معنى الولي
۱۱	في بيان ان النبوة افضل من الولاية
۱۲	في بيان الفرق بين المعجزة والكرامة
۱۳	في النبي ذو جهتين
۱۵	في بيان معنى الرسالة
	في معنى النبوة

صفحه	مطالب
۱۵	في بيان معنى الا
۱۶	في بيان معنى
۱۷	العصمة ء
۱۸	الباب الاول في بيان اختلاف المذاهب في عصمة الانبياء والدلائل التي تدل على عصمتهم
۱۹	في بيان دلائل العصمة
۲۶	في بيان ان رسل البشر افضل من الملئكة بوجوه
۲۹	في بيان ان الشيطان ليس له تسلط على الانبياء
۳۴	الباب الثاني في بيان ادلة الطاعنين واجوبتها وهو مشتمل على احد عشر فصلا

صفحه	مطالب
٣٤	الفصل الاول فى شان ابينا آدم عليه السلام وهو مشتمل على طعنين
〃	الطعن الاول فى الاعتقاد
٣٦	الجواب عن الطعن المذكور
٣٢	الطعن الثانى فى الافعال
٣٣	الجواب عن هذا الطعن
٤٥	فى ان الكبائر الصغيرة سهوا او تاويلا لا ينافى عصمة الانبياء عليهم السلام
٦٠	فى وجه تسمية نوح عليه السلام بالشيخ
٦٣	لا يجوز اطلاق العاصى على آدم عليه السلام وان جاء فى القرآن وعصى آدم ربه فغوى
٦٧	فى خلاصة ان الكبائر لا تنافى العصمة اذا وقعت سهوا وذكرا

صفحه	مطالب
٦٩	فى رفع الخطأ والنسيان مخصوص بهذه الامة
٧٠	فى قال ابو القاسم البلخى وابو مسلم الاصفهانى ان جنة آدم كانت بعضا من جنات الارض
٧٥	تزييف قول من قال بان جنة آدم كانت فى الارض كما هو المشهور من دار الخلد
٨٠	فى العلم بانقطاع الدنيا كما يحصل بالوحى يحصل بالعقل الكامل ايضا
٨٢	فى قصة شداد وسبب بنائه المدينة فى صحارى العدن

صفحه	مطالب
٩٨	الفصل الثانی فی شأن نبینا نوح علیه السلام وهو مشتمل علی ثلثة امور من المطاعن مع اجوبتها
〃	الامر الاول
٩٩	والجواب عن هذه الامر
١٠٣	الامر الثانی
١٠٥	جواب الطعن الثانی
١١٠	الامر الثالث
١١١	الجواب من الطعن الثالث
١١٢	الفصل الثالث فی شأن سیدنا ابراهیم علیه السلام وهو مشتمل علی ستة امور من المطاعن مع اجوبتها
〃	الامر الاول منها
١١٧	والجواب عنه
١٢١	فی بیان جواز تلاقی ارواح الانبیاء علیهم السلام بارواح الانبیاء

صفحه	مطالب
١٢٦	فی بیان ان مطلق الحدوث والتغیر ینافی الایجاب
١٣٠	الامر الثانی من المطاعن
〃	والجواب عن هذا الطعن
١٣٣	فی بیان ان الرسول عند وصول الملاك الیه باخبار الرسالة یحتاج الی المعجزة
١٤٠	فی بیان ان لاهل الله فی السلوك مقامین
١٤٧	فی بیان تعیین الطیور الاربعة المذبوحة من ید ابراهیم علیه السلام
١٥٤	فی بیان اسماء النفوس الاربعة
١٥٥	الامر الثالث من المطاعن
〃	والجواب عن هذا الطعن
١٦٠	الامر الرابع من المطاعن مع جوابه
١٦٣	الامر الخامس من المطاعن

صفحه	مطالب
١٦٤	والجواب عن هذا الطعن
〃	الامر السادس من المطاعن
١٦٥	والجواب عن هذا الطعن
١٦٧	الفصل الرابع في شان سيدنا يوسف عم وهو مشتمل على طعن واحد مع جوابه
١٦٨	في بيان نكاح المومنة من الكافر كان جائزا في الاديان السابقة ثم نسخ في شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم
١٧١	الفصل الخامس في شان شاذنا يعقوب عم وابنائه عليهم السلام وهو مشتمل على اربعة امور من المطاعن
١٧٢	الامر الاول من المطاعن
١٧٣	الجواب عن هذا الطعن
〃	الامر الثاني من المطاعن
١٧٥	والجواب عن هذا الطعن من

صفحه	مطالب
١٨١	الامر الثالث
١٨٢	والجواب عن هذا
١٨٣	في اختلاف في نبوة اخوة يوسف عم
〃	الامر الرابع من المطاعن
١٨٤	والجواب عن هذا
〃	في جواز بيع الحر في شريعة يعقوب عليه السلام
〃	الفصل السادس في شان سيدنا يوسف عم وهو مشتمل على خمسة امور
〃	الامر الاول مع جوابه
١٨٥	الامر الثاني
١٨٥	في بيان معنى الهم
١٨٧	الجواب عن الامر الثاني
١٩٢	في بيان حديث النفس

صفحه	مطالب
٢٠٤	الامر الثالث
٢٠٥	والجواب عنه
٢٠٧	الامر الرابع مع جوابه
٢٠٩	فی القول بان السجود تحیة الانبیاء عم باطل
٢١٠	الفصل السابع فی شان سیدنا موسی علیه السلام وهو مشتمل علی سبعة امور
〃	الامر الاول منها
٢١١	والجواب عنه
٢١٣	الامر الثانی مع جوابه
٢١٤	الامر الثالث مع جوابه
٢١٦	فی التواضع اولی فی جمیع الاحوال

صفحه	مطالب
〃	الامر الرابع
٢١٧	والجواب عن هذا الامر
٢٢٠	الامر الخامس مع جوابه
٢٢١	الامر السادس مع جوابه
٢٢٢	فی لایجوز الحکم من المجتهد علی مجتهد اخر فی ما ادی الیه اجتهاده
٢٢٣	الامر السابع منها
٢٢٤	والجواب عنه
〃	فی لایقبض ارواح الانبیاء علیهم تتخییر بین الحیوة والوفاة
٢٢٧	فی هدر فقاقین من اطلع علی عورات خبیره بغیر الاذن

صفحه	مطالب
٢٣٠	فی اذا تصور الملک بصورة الانسان فله حکم تلک الصورة ☆
٢٣٢	الفصل الثامن فی شان سیدنا داؤد ع وهو مشتمل علی امر من المطاعن
٢٣٨	والجواب عن هذا الامر
٢٤٩	فی بیان حد القربة علی الانبیاء
٢٤٤	فی من سعی فی قتل مسلم بغیر حق ولو بشطر کلمة یکتب بین عینیه انه آئس من رحمة الله تعالی
٢٥١	الفصل التاسع فی شان سیدنا سلیمان علیه السلام وهو مشتمل علی ثلثة امور من المطاعن

صفحه	مطالب
٢٥١	الامر الاول منها
٢٥٢	والجواب عنه
٢٥٢	فی قتل الحیوان بدون غرض من الاکل ممنوع
٢٥٨	الامر الثانی من وجوه المطاعن
٢٥٩	والجواب عنه
	فی بیان ان الشیطان لا یقدر ان یتمثل علی صورة نبی من الانبیاء ☆☆☆☆☆☆☆
٢٦٢	الامر الثالث من المطاعن مع جوابه
٢٦٣	الفصل العاشر فی شان سیدنا یونس ع وهو مشتمل علی امر واحد
٢٦٣	والجواب من هذا الامر

صفحہ	مطالب
۲۷۹	الفصل الحادي عشر في شان سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه افضل الصلوة والتسليمات وهو مشتمل على احد عشر امرا
۲۸۵	الامر الاول منها مع جوابه
۲۸۶	الامر الثاني مع جوابه
۲۹۰	في معنى سقوط التكاليف عن الصوفي
۲۹۱	الامر الثالث مع جوابه
۲۹۲	الامر الرابع مع الجواب
۲۹۵	الامر الخامس والجواب عنه
۲۹۹	الامر السادس مع جوابه
۳۱۲	الامر السابع
۳۱۳	والجواب عنه
۳۱۴	الامر الثامن مع جوابه
۳۱۸	الامر التاسع
۳۱۹	والجواب عنه
۳۲۰	الامر العاشر مع جوابه
۳۲۲	الامر الحادي عشر
۳۲۳	والجواب عن هذا الامر
۳۲۵	في لا يجب على الرسل الاخبار عن المشية بل عن الاوامر والنواهي
۳۲۷	الباب الثالث في بيان ما هو سبب او في حكم سبب في حق الانبياء عليهم الصلوة والسلام

صفحه	مطالب
۳۲۸	فی بیان حکم سبّ نبیا من الانبیاء
۳۳۰	من شکّ فی کفر ساب النبی تکفر
۳۳۴	فی بیان معنی الزندیق وقبول توبته
۳۳۸	فی من تشبه بنبی من الانبیاء ضرب ضربا شدیدا
۳۴۴	فی من اعتقد ان النبی یعلم الغیب حکم بتکفیره
	تمت

صفحه مطالب

سبحان من تنزه عن الاضداد والانداد

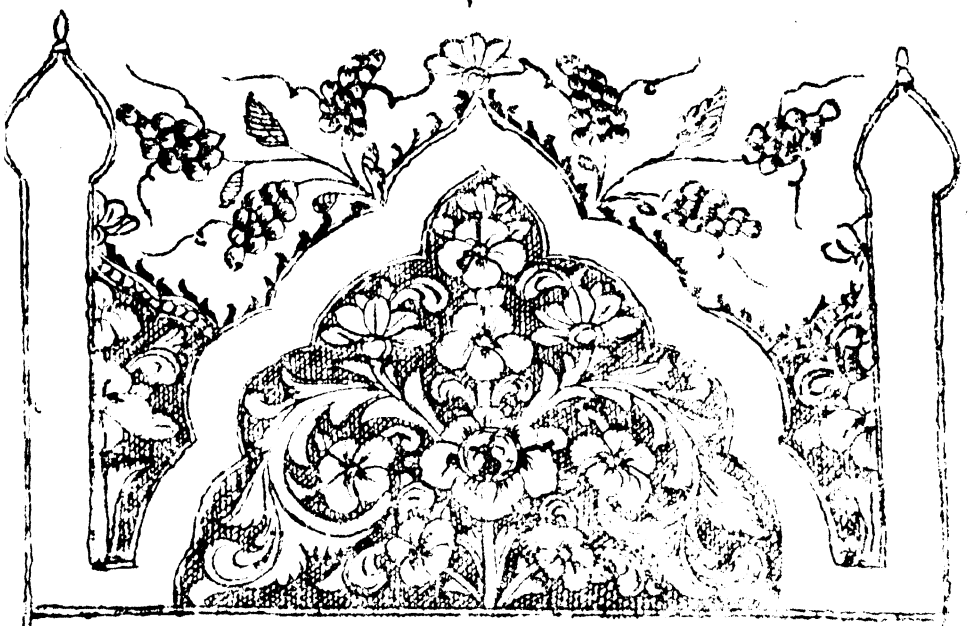
الحمد لله على ذلك الكتاب الناطق بالصدق والصواب الذى ولدت بمثله الزمان فلم تر نظيره جيون ذات العصر والاوان كيف لم يؤلف بخود فيشا اليه بالبنان المسمى



على طبق اشارة اعظم الامراء افخم الفضلاء الفقيه فى الدين رئيس الاسلام والمسلمين حامى السنة ماحى البدعة عين الدولة وزير الممالك النواب محمد على خان بهادر صولت اوالم اقبالة

قد طبع بمطبع العلوم بالمدرسة على محسن الدين

١٥٦١٢



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث الانبياء والرسل لتبليغ احكامه وجعلهم وسايط فيما
بينه وبين الخلق لايصال فيضانه وانعامه وتيسر سرائرهم من القصد الى
المعاصي الكبائر والصغائر ولحفظ بواطنهم من تصوف خطرات الشيطان
الغوي الغادر والصلوة والسلام على سيد ولد آدم الذي هو اباعث
على اخراج الممكن الى الوجود من العدم وعلى آله الذين هم هداة طرق الدين
ودلائل سبل الصدق واليقين وصحبه الذين هم ايدوا الاسلام والمسلمين
فاخرجوا عباد الله عن الضلال والعذاب المهين اما بعد فيقول العبد المفتاق الى
رحمة ربه الولي ذو سنة محمد بن الملا امير محمد الكابلي سترالله عصيانهم الخفي والجلي

لما اختلف الآراء وحدثت الفتن * وانتبعت الاوهام وعظم الابتلاء والمحن *
وصارت رايات الجهل والفسق رافعة واعلام العلم والعرفان خافضة
واندرست معالم الدين * واختلطت الوهميات باليقين * وكانت مسئلة
عصمة الانبياء معركة الآراء بين العلماء العظام * ومنزلة اقدام الافهام في
ابحاث الفضلاء الكرام * امرني هو منبع بحار الفضل والافضال * مطلع
كوكبا العظمة والاقبال * ناشر العلم والجود والكرم * صاحب اللواء والفوج
والعلم * اوحد الزمان فريد الدوران * لانظير له في هذه الاوان * الذي
امره مطاع ولوائه شاع * الزائر للحرمين الشريفين * المتبع لسنة سيد الثقلين
الامير ابن الامير ابن الامير يمين الدولة وزير الملك النواب محمد علي خان بهادر
صولت جنگ دام اقباله وضاعف اجلاله * لازالت سدته السنية محطا لرحال
الامال وعنايته الشاملة مناط الشوارد خواطر الرجال * ان اجمع كتابا مشتملا على
الحجج القطعية * والبراهين اليقينية على عصمة الانبياء والمرسلين *
وازيل شبهات الطاعنين المضلين * ليكون دافعا الاوهام في عصمة الانبياء
عليهم السلام وعونا للمسلمين * فيما هو من ضروريات الدين * فشرعت فيه مستعينا
بالله الودود * آخذا للدلائل والبراهين على المقصود * من الكتب المتعارفة

والزبر المتداولة كالتفسير الكبير والبيضاوي والكشاف والنيشابوري والخازن
والبحر المواج والمدارك والجمل وروح البيان والقشيري والدر المنثور والتفسير
للمحي الدين ابن العربي والتفسير الرحماني والوجيز والرؤفي وابو السعود
ومعالم التنزيل والتبيان والمظهري والعزيزي وتفسير سورة يوسف المسمى
بنقره كار والحسيني وتفسير محمدي وجواهر التفسير والجلالين وحاشيته
الكمالين والاكليل وحاشية شيخ زاده على البيضاوي وبحر المعاوسكا
وشرحيها المرقاة واللمعات وشروح البخاري وفتح الباري والارشاد الساري والعيني
والكرماني وشرح النووي لمسلم وحاشي الارواح الى بلاد الافراح وجامع البركات
والدراسات والمواهب اللدنية وحاشية الدر المختار المسمى رد المحتار ومنها
الشعراني والعواصم القواصم والبواقيت وشرح الفقه الاكبر والتمهيد لابو شكور
السالمي وشرح المواقف والمقاصد وشرح التجريد وعين العلم وشرحه
وشرح التعرف والابريز والشفا للقاضي عياض وشرحه للملا على القاري نقلت
اكثرها بالعبارات بلا تمهيل وبعضها بالمعنى مع التغيير والتبديل والتقديم
والتاخير والحذف والتقدير والحقت بها في بعض المواضع تحقيقات واضحة و
تدقيقات غامضة وما قصرت في التنقيح والتوضيح وبينت المقصود

بالحق الصريح وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء فالما مول
من الناظرين والواجب من الطالبين الحسبان ان وجدوا فيه خطاء
وخللاً وسهواً وزللاً ان يصلحوه بجميل العناية والله المستعان في
البداية والنهاية ٭ يا ناظراً في كتابي ان تجد غلطاً ٭ اصلح بفضلك
ما يبدو ومن الخلل لا تعترض ابداً ان كنت ذاكرهٔ ٭ واعذر فلست
بمعصوم من الزلل ٭ وسميته بتحفة الاخلاء في عصمت الانبياء ورتبته
على مقدمة وثلاثة ابواب واليه المرجع والمآب اما المقدمة ففي بيان
معنى النبي والرسول والولي والنسبة بينهم ومعنى الزلة والمعصية
والعصمة فالنبي هو لفظ منقول في العرف عن مسماه اللغوي اما المعنى اللغوي
فقيل هو المنبئ واشتقاقه من النباء فهو حينئذ فعيل بمعنى فاعل كعالم والام
لكنه يخفف ويدغم وانما سمي به من اشتهر بهذا الاسم لانباءه عن الله تعالى
قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنباء مسيلمة بالهمزة الا انهم
تركوا الهمزة في النبي كما تركوه في الذرية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه
الاحرف ولا يهمزون في غير هذه الاحرف وجمع النبي انباء وقيل انه مشتق من
النبوة وهو الارتفاع يقال تنبى فلان اذا ارتفع وعلا وسمي به من اشتهر

بهذا الاسم لعلو شانه وسطوع برهانه فهو فعيل بمعنى مفعول غير مهموز وجمعه انبياء
وقيل انه مشتق من النبى وهو الطريق سمى به لانه وسيلة الى الله تعالى واما مسمى
فى العرف فقال اهل الحق من الاشاعرة هو من قال الله تعالى له ممن اصطفاه
من عباده ارسلناك الى قوم كذا او الى الناس جميعا او بلغهم عنى او نبئهم
او بعثتك ونحوه واما تعيين عدد الانبياء فالاولى عدم الاقتصار فيه
لان الله تعالى قد قال ومنهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك
ولا يوهن فى ذكر العدد ان يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج منهم من هو فيهم وان جاء فى
بعض الاحاديث على ما روى ان النبى عليه السلام سئل عن عدد الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا وفى رواية مائتا الف واربعة
وعشرون الفا لان خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط المذكورة
فى اصول الفقه لا يفيد الا الظن ولا عبرة بالظن فى باب الاعتقاديات
خصوصا اذا اشتمل على اختلاف رواية والرسول فعول من الرسالة وهى فى الاصل
الكلام الذى ارسل الى الغير وخصت فى اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد
علمية وليستعمل فى الشريعة بمعنى بعث الله تعالى انسانا الى الخلق بشريعتى سواء
امر بتبليغها او لا وقد يخص الرسول بمن ينزل عليه جبرئيل عليه السلام ويخص بكتاب

او لشريعة جديدة او بعدم كونه مامورا بمتابعة شريعة من قبله من
الانبياء ولهذا فسروا الرسول بانه انسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ احكام
الشريعة ومعه كتاب متجدد وفي فتح المبين الرسول انسان حر ذكر من بني
آدم يوحى اليه بشرع وامر بتبليغه سواء كان له كتاب انزل عليه ليبلغه
ناسخا الشرع من قبله او غير ناسخ له او انزل على من قبله او امر بدعوة
الناس اليه ام لم يكن له ذلك بان امر بتبليغ الوحي اليه من غير كتاب وذلك
كثير الرسل اذهم ثلاث مائة وثلاثة عشر وقلت الكتب وهي مائة واربعة
التي نزلت على ثمانية من الرسل خمسون على شيث عليه السلام وثلاثون على
ادريس عليه السلام وعشرة على ابراهيم عم وعشرة على آدم عليه السلام وواحد
وهو الذبور على داؤد عم والتوراة على موسى عم والانجيل على عيسى عليه السلام
والفرقان على محمد عليه الصلوة والسلام وهو افضل الانبياء وخاتمهم وقد نزل
صحف ابراهيم في اول يوم وقيل اول ليلة من رمضان وبعد خمس مائة سنة
نزل الذبور في اليوم الثالث عشر من رمضان وبعد خمس مائة نزل التوراة
في ليلة سادسة من رمضان وبعد مضي الف سنة ومائتين وسبع مائة سنة
الانجيل في اليوم الرابع من رمضان وبعد مضي ثلاث مائة وستين سنة

او سبع مائة سنة او خمس مائة وستين نزل القرآن في ليلة هي خامسة
والعشرون من رمضان كما نزول صحف شيث وادريس عليهما السلام ففيه
اختلاف كثير واما اولوا العزم والقصد والثبات وحزم الارادة منهم
ستة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم اجمعين
وبوضهم
على ان اولوا العزم عبارة عن اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تاسيسها
وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح
وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم اجمعين وقد نظمهم بعضهم
بقوله ٭ اولوا العزم نوح والخليل ابن آزر ٭ وموسى وعيسى والحبيب محمد
اما نبينا
صلى الله عليه وسلم فاعلى اولوا العزم دل عليه قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
فان كونه على خلق عظيم ليستدعي شدة البلاء وقد قال ما اوذي نبي ما اوذيت
ففرق بين عزم وعزم قال في الاسئلة المفحمة هذا القول هو الصحيح انتهى
ويدل على صحته من التبعيضية في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقيل
هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه
وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبح على الذبح ويعقوب على فقد الولد
ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى على قومه انا لمدركون قال كلا

ان ممن يرثى سيهدي ويونس على بطن الحوت وداود بكى على خطيئته اربعين
سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها
صلوات الله عليهم اجمعين وقال بعضهم اولوا العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى
بني اسرائيل بالشام فعصوهم فاوحى الله الى الانبياء اني مرسل عذابي على
عصاة بني اسرائيل فشق ذلك على الانبياء فاوحى الله اليهم اختاروا لانفسكم
ان شئتم انزلت بكم العذاب وانجيت بني اسرائيل وان شئتم انجيتكم
وانزلت العذاب ببني اسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رايهم على ان
ينزل بهم العذاب وينجي بني اسرائيل وسلط الله عليهم ملوك الارض
فمنهم من نشر بالخشار ومنهم من سلخ جلد راسه ووجهه ومنهم من صلب
على الخشب حتى مات ومنهم من احرق بالنار وقال بعضهم الانبياء كلهم اولوا العزم
الا يونس لعجلت كانت منه الا يرى انه قيل للنبي عليه السلام ولقد عهدنا
الى آدم بقوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
وهذا ليس بصحيح لان معنى قوله ولم نجد له عزما لم نجد له قصدا الى الخلاف كما
سنبينه ان شاء الله تعالى في مقامه ويونس لم يكن خروجه بترك الصبر كما يجيء
وقال قوم اولوا العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم

ثمانية عشر ابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداؤد وسليمان وايوب ويوسف
وموسى وهارون وذكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوطا
قال الله تعالى بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعند البعض
كل الرسل اولوا العزم ولم يبعث الله رسولا الا كان ذا عزم وحزم وراى
وكمال عقل ولفظة من فى الاية تبين لا تبعيض والولى هو فعيل بمعنى فاعل
من قولهم ولى فلان الشئ يليه فهو والٍ وولى واصله من الولى بسكون اللام و
فتحها الذى هو القرب ومنه يقال وارى تلى وارها اى تقرب منها ومنه يقال
للصب المعاون ولى لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ولا يفارقك وعند
اهل التصوف والسلوك هو العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب
على الطاعات المجتنب عن المعاصى والمعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات
وقال بعضهم الولى هو الفانى عن حاله الباقى فى مشاهدة الحق لا يكون له عن نفسه
اخبار ولا مع الغير قرار وفى شرح القصيدة الفارضية واما الولاية فهى التصرف فى الخلق
بالحق وليست فى الحقيقة الا باطن النبوة لان النبوة ظاهرها الانبياء وباطنها
التصرف فى النفوس باجراء الاحكام عليها والنبوة مختومة من حيث الانبياء
اى لا خبار اتى بعد محمد صلى الله عليه وسلم دائمة من حيث الولاية والتصرف

كان نفوس الاولياء من امة محمد صلى الله عليه وسلم حملت تصرف ولايته
يتصرفون في الخلق بالحق الى قيام الساعة فباب الولاية مفتوحة وباب
النبوة مسدودة وعلامة صحة الولاية اتباع النبي في الظاهر لانهما يأخذان
التصرف من مأخذ واحد اذ الولي هو المظهر تصرف النبي فلا تصرف الا واحد
ومن هذا الوجه تكلم بعض الاتباع عن نفسه بخصائص النبي صلى الله عليه وسلم على
سبيل الحكاية فنزل نفسه من النبي عليه السلام منزلة الآلة من المتصرف انتهى
وفي هذا علم ان النبوة افضل من الولاية كما ان الرسالة افضل من النبوة
على تقدير قال ابن عطاء رحمة الله عليه ان ادنى مراتب المرسلين اعلى مراتب
الانبياء وادنى مراتب الانبياء اعلى مراتب الصديقين وادنى مراتب
الصديقين اعلى مراتب الشهداء وادنى مراتب الشهداء اعلى مراتب الصالحين
وادنى مراتب الصالحين اعلى مراتب المومنين وقال ابن عبد السلام النبوة افضل
من الرسالة لتعلقها بالحق وتعلق الرسالة بالخلق وقد بان الرسالة فيها التعلقان
كما هو الظاهر وايضا نقل عن بعض السلف ان النبي افضل من الولي
لوجوه احدها ان الانبياء معصومون بخلاف الاولياء وثانيها ان الانبياء
مامورون عن سق الخاتمة دون الاولياء وثالثها ان الانبياء مكلمون

ومشاهدة الملك دون الاولياء ورابعها ان الانبياء قد وصلوا من
درجة الكمال الى درجة التكميل يعني انهم مشرفون بالكمال على وجه لا يتصور
فوق ذلك الكمال في غيرهم ويكملون غيرهم على وجه لا يتصور في غيرهم وخامسها
ان الانبياء من غاية القرب والوصول الى الله صار وامثل من يرى الشيء
من قريب والاولياء وان عاينوا الله لكنهم ليسوا في غاية القرب مثل من
يرى الشيء من بعيد وسادسها ان النبي يرى الله تعالى كما يناسبه ويسمع كلامه
في وقت الرؤية بخلاف الولي لان الوصفين لا يجتمعان فيه في وقت واحد
وسابعها ان النبي يجب عليه معرفة نبوته ولا يجب على الولي معرفة ولايته
وثامنها انه يجب على النبي عند اظهار المعجزة ولا يجب على الولي اظهار الكرامة
قال في آداب المريدين والفرق بين المعجزة والكرامة ان النبي يجب عليه
اظهار المعجزة والولي يجب عليه ان يكتم الكرامة الا انه يظهرها لله تعالى ولا يبلغ
ولي درجة النبي خلافا لبعض الناس ولا يسقط عنه التكاليف غير انه اذا
صفا قلبه مع الله تعالى سقط عنه كلفة التكليف لا نفس وجوبها وقال المحقق
التفتازاني فيما نقل عن بعض الكرامية من جواز كون الولي افضل من النبي كفر وضلال
وكذا ما قيل انه قد يسقط عن ولي العبادات الظاهرة ويكون عبادته التفكر

كفر وضلال وكذا ما في الرسالة المكية أعلم ان القطب يساوي النبي في
الدرجة عند الله فقد اخطأ خطأ عظيما لان جمهور الاقطاب والاوتاد والابدال
مع سائر المؤمنين الذين هم امة نبي واحد لو جمع الكل لفضائلهم ودرجاتهم
تحار العقول في بحر نبوة ضاع فيه تلاشى فلا ينبغي للعاقل الالتفات الى مثل
هذه الخرافات وتاسعها انه يجب على النبي ان يحكم بالمعجزة ولا يجب
على الولي ان يحكم على الكرامة وعاشرها ان الانبياء مامورون بتبليغ
الاحكام وارشاد الانام بخلاف الولي والحادي عشر انهم يبشرون
بالجنة ويوصلون الناس الى النار بدون الواسطة بخلاف الاولياء
والثاني عشر انهم يبينون ما يحتاج اليه قوام الناس من امور الدين والدنيا
بخلاف الاولياء والثالث عشر ان الانبياء لا يخافون من غير الله والاولياء
ليسوا كذلك والرابع عشر ان الهام الانبياء وحي وحجة قطعية والهام
الاولياء غير مفيد للعلم واليقين والخامس عشر ان اعين الانبياء تنام وقلوبهم
يقظة والاولياء ليسوا كذلك واعلم ان النبي ذو جهتين جهة الولاية
وهو باطن النبوة وجهة النبوة وهو ظاهر الولاية وهو بجهة الولاية يقبل
الفيض ويأخذه من الله تعالى وبجهة النبوة يوصل ذلك الفيض الى الخلق

ولا شك ان الجهة التى هى الى الله افضل واشرف من التى هى الى الخلق فما
نقل عن بعض الاولياء ان الولاية افضل من النبوة فمراده ان جهة ولاية النبى
افضل من جهة نبوته لان ولاية النبى كامل من ولاية الولى مع زيادة النبوة
عليه وليس مراده ان ولاية ولى تابع افضل من نبوة نبى متبوع وقال شارح
قصيدة الفارضية مثله هذه العبارة وما قيل ان الولاية افضل من النبوة لا يصح
مطلقا الا بقيد وهو ان ولاية النبى افضل من نبوته التشريعية لان نبوة
التشريع متعلقة بمصلحت الوقت والولاية لا تعلق لها بوقت دون آخر
بل قام سلطانها الى قيام الساعة فان قيل قد وقع فى كلام خواجه محمد بن على
ترمذى قدس سره وذهب اليه الشيخ سعد الدين الحموى قدس سره ان نهاية
الانبياء برايت الاولياء وهو دال على افضليت الولاية من النبوة فى غير النبى
ايضا قلت ان الانبياء حصل لهم كمال الشريعة فى آخر الامر كما قال النبينا محمد صلى الله
عليه وسلم اليوم اكملت لكم دينكم والولى ما يحصل له متابعة الشريعة بكمالها لم يحصل
له الدخول فى الولاية فما حصل للانبياء من الشرايع فى آخر الامر حصل للاولياء
فى الابتداء مثل لو سلك شخص بالاحكام التى نزلت على الملك ولم ينقدت
الى التى نزلت فى المدينة لم يحصل له الولاية اصلا فهو دايت ولاية الولى

عبارة عن متابعة جميع الاحكام وقبولها وهذه المرتبة حصلت للانبياء
فى انتهاء الامر الزلت بالفتح عند اهل الشرع هو وقوع المكلف فى امر غير مشروع
فى ضمن ارتكاب امر مشروع ويؤيده ما فى التوضيح فى الركن الثانى فى بيان افعال
النبى عليه السلام الزلت هى فعل من الصغائر يفعله من غير قصد
وبما قال الامام السرخسى رحمة الله تعالى اما الزلة فلا يوجد فيها القصد الى
عينها ولكن يوجد القصد الى اصل الفعل لانها ماخوذة من قولهم زل الرجل
فى الطين اذا لم يوجد القصد الى الوقوع ولا الى الثبات بعد الوقوع ولكن
وجد القصد الى المشى فى الطريق وانما يواخذ عليها لانها لا تخلو عن نوع تقصير
يمكن للمكلف الاحتراز عنه عند التثبت واما المعصية حقيقة فهى فعل حرام
يقصد الى نفسه مع العلم بحرمته وقد يطلق اسم المعصية على الزلت مجازا
واختلف فى معنى العصمة قال بعضهم انها عبارة عن عدم قدرة المعصية والاختيار
عند الجمهور انها عبارة عن خلق ما نع من ارتكاب المعصية غير ملجئ حتى لا يكون المعصوم
به مضطرا فى ترك المعصية وفعل الواجب وهى اى العصمة قد تطلق على الاجتناب
عن الكبائر والاختلاف الباطنة الذميمة وقد تطلق على الاجتناب عن الصغائر
مع ذلك الاجتناب وقد تطلق على عدم صدور ذنب لا عمدا ولا سهوا ولا خطأ

ومع ذلك عدم الواقع في خطاء اجتهادي في حكم شرعي قال في الدراسات ما حاصله ان العصمت عبارة عن استحالة صدور الذنب والخطاء بالدليل العقلي والحفظ عبارة عن عدم صدور الذنب والخطاء ولكن لا يدل الدليل على استحالته الاولى صفة الانبياء والثانية صفة الاولياء الا المهدي لانه ايضا معصوم لضرورة صدق الخبر صلى الله عليه وسلم الا انه فرق بين عصمة الرسول وعصمة المهدي لان الرسول قام على عصمته الدليل العقلي والمهدي قام على عصمته شهادة المعصوم عن الخطاء عقلا فاشتركا في استحالة الخطاء وامتناع الصدور منهما اما عقلا او خبرا ونقلا وهما مستندا استحالة النقل الا استحالة العقل فانتهى العصمت عصمتان حقيقية واضافية والاضافية اما مماثلة بعصمة الانبياء عليهم السلام او غيرها فالاولى مختصة بالانبياء ولم توجد في غيرهم والثانية توجد في اعلى الافراد من الاولياء والثالثة توجد في غيرهم على قدر المراتب وقال في صيانة الناس المحافظة على ثلاثة اقسام احدها المحافظة عن الذنوب مع امتناع صدورها وهذه التي تسمى بالعصمة خاصة بالانبياء عليهم السلام وثانيها المحافظة عن الذنوب مع امكان صدورها وهذه

مختصة بالصديقين ويمكن ان يقال لها انه مما مثل للاول في عدم صدور الذنب
ومغائرله في امكانه وثالثها المحافظة عن الذنوب في اكثر العمر مع صدورها
حيا ناكما هو للصلحاء ما عدا الصديقين **واما الباب الاول**
الذي
في بيان اختلاف المذاهب في عصمة الانبياء عليهم السلام والدلائل
الدال على عصمتهم من الذنوب الصغائر والكبائر حال النبوة اختلف الناس
في عصمة الانبياء عليهم السلام وضبط القول فيه ان يقال الاختلاف في هذا
الباب يرجع الى اقسام اربعة احدها ما يقع في باب الاعتقاد وثانيها ما يقع
في باب التبليغ وثالثها ما يقع في باب الاحكام والفتيا ورابعها ما يقع في
افعالهم وسيرهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عند
احد وقالت الفضلية من الخوارج انهم قد وقعت عليهم الذنوب والذنب
عندهم كفر وشرك فلاجرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم
اظهار الكفر على سبيل التقية عند خوف الهلاك لان اظهار الاسلام حينئذ
يفضي الى التهلكة وهذا من غاية حماقتهم فانه لو جوز هذا الامر العظيم
عليهم لما بقي امان في امر التبليغ وهو ظاهر كيف وما بني الامر بعث الانبياء الا
اعدائه فلعله كفر شيأ من الوحي فامنهم وخصوصا من مذهبهم الباطل وحكم

الكاملة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاش من وقت البعثة الى وقت
الموت الا في اعدائه ولم يكن له صلى الله عليه وسلم قدرة لدفعهم مدة
عمره وكان يخاف منهم فاحتمل كتمانه صلى الله عليه وسلم شيأ من الوحي فلا ثقة بالقرآن
وغيره وايضا يفضي الى اخفاء الدعوة بالكلية وترك تبليغ الرسالة اذا ولي الاوقات
بالتقية وقت الدعوة للضعف لسبب قلة الموافق او عدمه وكثرة المخالفين
فانظر الى شناعتهم ومحاقتهم التزموا هذه الشناعات خذلهم الله الى يوم القيمة
اما النوع الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت الامة على كونهم معصومين
عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ والا لارتفع الوثوق بالاداء
واتفقوا على ان ذلك كما لا يجوز وقوعه منهم عمدا لا يجوز ايضا سهوا ومن الناس
من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز عنه محال وممتنع اما فهموا ان الحكم
باستحالة احد النقيضين يستلزم الحكم بامكان النقيض الاخر فالحكم بان
الاحتراز عن الكذب والتحريف سهوا فيما يتعلق بالتبليغ ممتنع يستلزم امكان
عدم الاحتراز عنه وامكان الشيء لا يستلزم وقوعه بل قد يكون الممكن بالذات
ممتنعا بالغير وههنا كذلك والكلام في الوقوع واما النوع الثالث وهو ما يتعلق
بالاحكام والفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز خطأهم فيه على سبيل التعمد واما على

سه واما في غيره فالصحيح امتناعه عنه

سبيل السهو فجوزه بعضهم واستدلوا بقصة اسارى بدر وبفتوى داؤد
عليه السلام فى حق صاحب الغنم وغيرهما واباه آخرون لانهم قالوا لو جوزنا
السهو والغلط لاختلط الحق بالباطل من غير امتياز وهو معفوت لغرض البعثة
وآما النوع الرابع وهو الذى يقع فى افعالهم فقد اختلف الامة فيه على
خمسة اقوال آحدها قول من جوز عليهم الكبائر على جهة العمد وهو قول الحشوية
والثانى قول من لا يجوز عليهم الكبائر لكنه يجوز عليهم الصغائر على جهة العمد لا
ما ينفر كالكذب والتطفيف وهذا قول اكثر المعتزلة والقول الثالث انه
لا يجوز ان يأتوا بصغيرة ولا بكبيرة على جهة العمد البتة بل على جهة التاويل
وهو قول الجبائى والقول الرابع انه لا يقع منهم الذنب لا على جهة السهو والخطاء
والنسيان ولكنهم ماخوذون بما يقع منهم على هذه الجهة وانكان ذلك موضوعا
من امتهم وذلك ان معرفتهم اقوى ودلالتهم اكثر وانهم يقدرون من الحفظ
ما لا يقدر عليه غيرهم هذا قول الجاحظ وكثير من المتاخرين من المعتزلة كالنظام
والاصم وجعفر بن بشر وبه نقول نحن معاشر الاشاعرة القول الخامس انه لا يقع
الذنب لا الكبيرة ولا الصغيرة لا على سبيل القصد ولا على سبيل السهو ولا على
سبيل التاويل والخطاء وهو مذهب الرافضة واختلف الناس فى وقت

العصمت على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من وقت مولدهم
وهو قول الرافضة وثانيها قول من ذهب الى ان وقت عصمتهم وقت بلوغهم
ولم يجيزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة وهو قول كثير من المعتزلة
وايضا قال الصوفية وبعض المتكلمين ان الانبياء معصومون لا صلة عنهم ذنب
اصلا لا كبيرة ولا صغيرة لا عمدا ولا سهوا ولا خطاء في التاويل وبه قال الوستاذ
ابي اسحق الاسفرائني وابي الفتح الشهرستاني والقاضي عياض وقالوا الوجاز
منهم الصغيرة لجاز منهم الكبيرة ولو جاز منهم الكبيرة لجاز منهم الكفر والكفر يدي
الى بطلان الدين والشرائع وايضا قالوا الوجوز نا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء
بهم في افعالهم لعدم التميز بين افعالهم انه من القربة او لا باحة او الحظر
او المعصية مع انا مأمورون بالاقتداء بهم بموجب قوله ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله
عليه واله وسلم ولهذا نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم خلعين نعله
واحتجوا برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجة مستقبلا بيت المقدس وقال
ابو شكور السالمي رحمة الله وقال اهل السنة والجماعة ان الانبياء عليهم السلام
قبل الوحي كانوا انبياء معصومين وجب العصمة والرسول قبل الوحي كان رسولا

ونبيا ما مونا وكذلك بعد الوفات والدليل عليه قوله تعالى حاكيا عن عيسى
عليه السلام تصديقا له حيث كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا وروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انه سئل متى كنت نبيا قال
كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فاذا كانت نبوته بما قبل الوحي ثبت ثبوت الكل
قبله وان كان ظهورها بعد اربعين سنة من تولدهم وقال بعضهم لا يطلقون
اسم الزلة على افعال الانبياء لانها نوع ذنب ويقولون فعلوا الفاضل وتركوا
المفضول وعتبوا عليه لان تركه لافضل منهم بمنزلة ترك الواجب من الغير
وثالثها قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز وقت النبوت واما قبل النبوت
فجائز وهو قول اكثر اصحابنا وقول ابي الهذيل وابي علي من المعتزلة والمختار
عندنا انه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوت البتة لا الكبيرة ولا الصغيرة ويدل
عليه وجوه كثيرة احدها لو صدر الذنب عنهم كانوا اقل درجة من عصاة الامة
وذلك غير جائز بيان الملازمة ان درجة الانبياء كانت في غاية الجلال
والشرف وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه افحش الا ترى الى قوله تعالى
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين والمحصنة
والغير محصنة حد العبد نصف حد الحر واما انه لا يجوز ان يكون النبي اقل حالا من الامة

فذلك بالاجماع وثانيها ان بتقدير اقدامه على الفسق وجب ان لا يكون
مقبول الشهادة لقوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ولكنه مقبول الشهادة
والا لكان اقلها لا من عدول الامة وكيف نقول ذلك وانه لا معنى للنبوت
والرسالة الا انه يشهد على الله تعالى بانه شرع هذا الحكم كذلك وايضا فهو
يوم القيمة شاهد على الكل لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا وثالثها ان بتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره عنها فلم يكن
ايذائه محرما لكنه محرم لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة ورابعها ان محمدا عليه السلام لو اتى بالمعصية لوجب علينا اقتداءه
فيها لقوله تعالى فاتبعوني فيفضي الى الجمع بين الحرمة والوجوب وهو محال واذا
ثبت ذلك في حق محمد ثبت في حق سائر الانبياء ايضا وضرورة انه لا قائل بالفرق
وخامسها انه قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فهذه الاية تدل
على ان الانبياء عليهم السلام معصومون عن المعاصي والذنوب لانها دلت على
وجوب طاعتهم مطلقا فلو اتوا بالمعصية لوجب علينا الاقتداء بهم في تلك المعصية
فتصير تلك المعصية واجبة علينا وكونها معصية يوجب كونها محرمة علينا فيلزم
توارد الايجاب والتحريم على الشئ الواحد وانه محال وسادسها قال الله تعالى

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله
ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا فهو دال على وجوب عصمة محمد صلى الله
عليه وسلم من جميع الذنوب اذ لو صدر عنه ذنب لجاز منعه وكل من منع غيره من
فعل يفعله كان مشاقا له لان كلواحد منهما يكون فى شق غير شق الذى يكون
الاخر فيه فثبت انه لو صدر الذنب عن الرسول لوجبت مشاقته لكن مشاقته محرمة
بهذه الآية فوجب ان لا يصدر الذنب عنه وسابعها ان نعلم ببداهة العقل انه لا شئ
اقبح من النبى الذى رفع الله درجته واتمنه على وحيه وجعله خليفة فى عباده وبلاده
ليسمع ربه يناديه لا تفعل كذا لا تفعل كذا فيقدم عليه ترجيحا للذات الدنيا
والشهوة وغير ملتفت الى نهى ربه ولا منزجر بوعيده هذا معلوم القبح بالضرورة
وثامنها انه لو صدرت المعصية من الانبياء لكانوا مستحقين للعذاب لقوله تعالى
من يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ولا يتحقق اللعن لقوله تعالى
الا لعنت الله على الظالمين ولا شك ان المعصية ظلم فلما اجمعت الامة على ان
احدا من الانبياء لم يكن مستحقا للعن ولا لعذاب فثبت انه ما صدرت
المعصية عنه وتاسعها انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا
تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب

افلا تعقلون وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه فلا يليق بواحد
من وعاظ الامة فكيف يجوز ان ينسب الى الانبياء عليهم السلام وعاشرها
قوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات وانفذ الخيرات للعموم فتناول الكل
ويدخل فيه فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي فثبت ان الانبياء كانوا فاعلين
لكل ما ينبغي فعله وتاركين لكل ما ينبغي تركه وذلك نبأ في صدور الذنب عنهم
والحادي عشر قوله تعالى وانهم عندنا من المصطفين الاخيار وهذا يتناول جميع الافعال
والتروك بدليل جواز الاستثناء فيقال فلان من المصطفين الاخيار الا في الفعلة
الفلانية والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل تحته فثبت انهم كانوا
اخيارا في كل الامور وذلك نبأ في صدور الذنب عنهم وقال الله تعالى يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على
العالمين وقال في ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وقال في شان موسى
اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال واذكر عبادنا ابراهيم و
اسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وكل هذه الايات دالة على كونهم موصوفين
بالاصطفاء والخيرية وذلك نبأ في صدور الذنب عنهم الثاني عشر انه تعالى

حكى عن ابليس عليه اللعنة بقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين فاستثنى من جملة من يغويهم المخلصين وهم الانبياء عليهم السلام
وقال الله تعالى فى صفة يوسف عليه السلام انه من عبادنا المخلصين واذا ثبت
وجوب العصمة فى حق البعض ثبت وجوبها فى حق الكل لانه لا قائل بالفرق الثالث
عشر قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين
فاولئك الذين ما اتبعوه وجب ان يقال انه ما صدر الذنب عنهم والا فقد
كانوا متبعين له واذا ثبت فى ذلك الفريق انهم ما اذنبوا فذلك الفريق
اما الانبياء او غيرهم فان كانوا هم الانبياء فقد ثبت فى النبى انه
لا يذنب وان كانوا غير الانبياء فلو ثبت فى الانبياء انهم اذنبوا لكانوا اقل رتبة
عند الله من ذلك الفريق فيكون غير النبى افضل من النبى وذلك باطل بالاتفاق فثبت
ان الذنب ما صدر عنهم الرابع عشر انه تعالى قسم الخلق الى قسمين فقال اولئك
حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون وقال فى الصنف الاخر
اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ولا شك ان حزب الشيطان هو الذى يفعل
ما يرتضيه الشيطان والذى يرتضيه الشيطان هو المعصية فكل من عصى الله تعالى
فانه من حزب الشيطان فلو صدرت المعصية من الرسول لقطعنا بانه من حزب الشيطان

ولصدق عليه انه من الخاسرين ولصدق على هذه الامة انهم من حزب الله وانهم
من المفلحين فحينئذ يكون ذلك الى الحد من هذه الامة افضل بكثير عند الله من
ذلك الرسول الخامس عشر وان الرسول افضل من الملك وجب ان لا يصدر الذنب
من الرسول وانما قلنا انه افضل لوجوه احدها قال الله تعالى في حق ابراهيم عليه السلام
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان
وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وذكريا ويحيى وعيسى و
الياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين
وذلك لان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل في لفظ العالم الملائكة
فقوله تعالى وكلا فضلنا على العالمين يقتضي كونهم افضل من كل العالمين وذلك
يقتضي كونهم افضل من الملائكة وثانيها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فقد امرنا بالسجود له وامر الادنى بالسجود للافضل هو السابق الى الفهم
وعكسه على خلاف الحكمة لان السجود اعظم انواع الخدمة واخدام الافضل
للمفضول مما لا تقبله العقول واذا كان ادم افضل منهم كان غيره من الانبياء
كذلك اذ لا قائل بالفصل لا يقال السجود يقع على الحكم فلعله لم يكن سجود تعظيم له
اذ يجوز ان يكون سجودهم لله وادم كان كالقبلة لهم وعلى تقدير كونه لادم

جاز ان يكون عرفهم في السجود كونه قائما مقام السلام في عرفنا فيكون غاية
في التواضع والخدمة لان هذه قضية عرفية يجوز اختلافها باختلاف الازمنة
وايضا جاز ان يكون امرهم بالسجود وابتلاءهم ليميز المطيع منهم عن العاصي
فلا يدل على تفضيله عليهم في شيء من هذه الاحتمالات لانا نقول قوله ارءيتك
هذا الذي كرمت علي وانا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين يدل على
ان السجود تكرمة وتفضيل وينفي سائر الاحتمالات اذ لم يتقدم هناك ما يضاف اليه
التكريم سوى الامر بالسجود وثالثها قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الى قوله
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا يدل على ان آدم علم الاسماء كلها ولم يعلموها
والعالم افضل من غيره لان الاية سبقت لذلك ولقوله قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون ورابعها ان للبشر عوائق عن العبادة من شهوته وغضبه
وحاجاته الشاغلة لاوقاته وليس للملائكة شيء من ذلك ولا شك ان العبادة
مع هذه العوائق ادخل في الاخلاص واشق فتكون افضل لقوله عليه السلام افضل
الاعمال احمزها اي اشقها فيكون صاحبها اكثر ثوابا عليها وخامسها ان الانسان
ركب تركيبا بين الملك الذي له عقل بلا شهوة والبهيمة التي لها شهوة بلا عقل
فبعقله لمحظ من الملائكة وبطبيعته له حظ من البهيمة ثم ان من غلب طبيعته

على عقله فهو شر من البهائم لقوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله ان شر الدواب عند الله الاية وذلك يقتضي بطريق قياس احد الجانبين على الاخر ان يكون من غلب عقله طبيعته خيرا من الملائكة وانما قلنا انه لما كان كذلك وجب ان لا يصدر الذنب عن الرسول لانه تعالى وصف الملائكة بترك الذنب فقال لا يسبقونه بالقول وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فلو صدرت المعصية من الرسول لامتنع كونه افضل من الملك لقوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار السادس عشر روى ان خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على رفيق دعواه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني اصدقك على الوحي لنازل عليك من فوق سبع سموات افلا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك الشهادة السابع عشر قال الله تعالى في حق ابراهيم عليه السلام اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به فاوجب على كل الناس ان يأتموا به فلو صدر الذنب عنه لوجب علينا ان يأتموا به في ذلك الذنب وذلك يفضي الى التناقض الثامن عشر قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين

والمراد بهذا العهد اما عهد النبوة او عهد الامامة فان كان المراد
عهد النبوة وجب ان لا تثبت النبوة للظالمين وان كان المراد عهد
الامامة وجب ان لا تثبت الامامة للظالمين واذا لم تثبت الامامة
للظالمين وجب ان لا تثبت النبوة للظالمين لان كل نبي لا بد
وان يكون اماما يؤتم به ويقتدى به والاية على جميع التقديرات
تدل على ان النبي لا يكون مذنبا التاسع عشر ان الرسول مشرع لنا بجميع
اقواله وافعاله فلو انه صدق عليه الوقوع في معصية ما لصدق تشريع المعاصي
ولا قائل بذلك لحد وذكر في اصول الفقه ان كل ما فعله عم ولم يتضح فيه
امر الجبلة والخصوص فلا بد لنا من اتباعه فيه لقوله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن امره اي قوله وطريقه ولانه بعث لان يقتدى باقواله وافعاله قال الله تعالى
لابراهيم عم اني جاعلك للناس اماما وذلك بسبب النبوة انتهى العشرون
انه قد علم بالبراهين القطعية ان الذنب لا يكون الا باغواء الشيطان وتسلطه
والنص دال على عدم تسلط الشيطان على الانبياء كما قال الله تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وقال حكاية عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا
عبادك منهم المخلصين وايضا روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان عرض لى قال عبد الرزاق فى صورة
هرة فشد دعلى ليقطع على الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى
اى خنقته
سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخى سليمان رب اغفر لى وهب لى
ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب فرده الله خاسئا وقال عليه الصلوة
والسلام جيء بالدخان فى مرضه وقيل خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انه
من الشيطان ولم يكن الله ان يسلطه علىّ وقد كثرت الاخبار والآثار بتصدى الشيطان
للنبى عليه السلام رغبة فى اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ ليس
خاسرين فاذا كانوا محفوظين عن اغواء الشيطان وتسلطه كيف يصدر عنهم الذنب
والمعصية وللقوم جواب اخرى على تنزيههم من الكفر والشرك من وقت الولادة
احدها ما قال عليه السلام ما كفر بالله بنى قط وثانيها ما قال عليه السلام لما
بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم اهم بشئ مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين
فعصمنى الله تعالى ثم لم اهم بعدهما بسوء قال الله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام فى المهد
فقال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا فاذا ثبت تنزيههما من الكفر والشرك ثبت
تنزيه الكل لعدم القائل بالفرق لان الانبياء كلهم كنفس واحدة فى الحكم وهذا
كان تكذيب نبى واحد فى حكم تكذيب كلهم كما قال الله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين

كذبت عاد المرسلين وكذبت ثمود المرسلين مع ان المرسل الى كل فرقة
بما ذكرنا واحد من الرسل وما احسن ما قال المولوي في المثنوي لتفهيم ما ذكرنا

عهد عيسى بود نوبت آن او	جان موسى او وموسى جان او	وه چراغ ار حاضر آيد در زمان
هر يكى باشد بصورت غير آن	فرق نتوان كرد نور هر يكى	چون بنورش روى آرى مشكلى
اطلب المعنى من القرآن قل	لا نفرق بين احد من رسل	وتا لقها انه لو كانوا

غير عالمين بالله او صفاته او مشكلين لنقل الينا والحال انه لم ينقل
احد من اهل الاخبار ان احد انبي واصطفى ممن عرف بكفر
او شرك قبل ذلك ومستند هذا للباب النقل ولا يتوهم من قوله تعالى
في شان سيدنا ابراهيم عليه السلام فامن له لوط الخ كون سيدنا لوط عليه السلام
متصفا قبل ذلك الوقت بضد الايمان مع انه صار نبيا بعد ذلك لان الايمان
عبارة عن التصديق والمصدق به هناك نبوة سيدنا ابراهيم عليه السلام وما دعا
اليه من التوحيد لانه كان موحدا منزها عن الكفر والشرك وانما صدقه في نبوته
لان النبي بري عن تكذيب الانبياء وعلى تقدير كون المصدق بجميع مقالاته
سيدنا ابراهيم عليه السلام مع ما دعا اليه من التوحيد فهو ايضا لا يقتضي ان يكون
سيدنا لوط عليه السلام منكرا قبل ذلك بل كان مصدقا بالبعض وهو التوحيد

وكان خالي الذهن عن البعض الآخر فاذا رأى معجزته صدقه في الكل فصار مصدقا له
في جميع مقالاته وناصرا له فلهذا فسره بعض المفسرين بالنصرة ناصروه لوطعلية السلام
ولا منافات بين كون الشخص عالما بشئ ومصدقا لشخص اخر في ذلك الشئ المعلوم
كما ان جبرئيل عليه السلام كان عالما بالايمان والاسلام والاحسان مع انه صار مصدقا
للنبي عليه الصلوة والسلام من بعد سواله عن هذه الامور وكما ان شمعون عليه السلام
لما ارسل الى اهل الانطاكية بعد تكذيبهم لرسولين من جانب عيسى عليه السلام
فامن في جميع من اهل الانطاكية مع انه ايضا كان من المرسلين والموحدين قبل
الارسال فلا يلزم من الايمان والتصديق لشخص في امر علانية ان يكون ذلك
المصدق خاليا عن ذلك التصديق قبل ذلك وايضا ان قريشا رمت نبينا صلى الله وسلم
بكل ما افترته وغير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلفت مما نص الله او نقلت
الينا الرواة ولم نجد في شئ من ذلك لغير الواحد منهم برفضة الهتهم وتقريعه بدله
بترك ما كان قد جاء معهم عليه ولو كان هذا كائنا بذلك مبادرين ويتلونه
في معبوده محتجين ولكانوا ابتى بحجتهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل اقطع واقطع
في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم الهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل فنفى
اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان

نقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها وسابعها قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى والضلال
المنفي ههنا عبارة عن الكفر اي ما كفر صاحبكم فانتفى عنه عليه السلام الكفر
وانتفاء الكفر عنه عليه السلام انتفاء عن الانبياء كلهم لعدم القول بالفرق
وخامسها ما قال شارح التعرف في التصوف ان النبوة اعلى منزلة واقصى
مرتبة لا منزلة فوقها فاعطائه لنبي من الانبياء يقتضي سبق محبة الله تعالى معه
ومحبة الله صفة ازلية قديمة فلو جاز عليهم الكفر والكفر محل العداوة لزم
كونه تعالى عدوا لهم اولا ثم صار محبا لهم لاعطاء النبوة وهو باطل لاستلزامه
التغير في صفات الله تعالى ويعلم من هذا ان الانبياء عليهم السلام ما صدر عنهم
من عزل النبوة وسوء الخاتمة ولا يلزم كونه تعالى عدوا لهم بعد ما كان محبا
وهو كما ترى وسادسها ايضا قوله ان النبي هو الذي بعث الى الخلق لا ان يخرج
العدو الظاهري من مقام العداوة الى مقام الولاية ومحال ان يصير العدو
بسببه وليا وهو عدو انتهى فتامل وسابعها قد توارث من لدن آدم الى البشر
الى نبينا صلى الله عليه وسلم انه لم يبعث نبي قط اشرك بالله طرفة عين ونقل الاتفاق
الاجماع على عصمة الانبياء كلهم من الكفر والشرك وهو دليل قطعي يقيني لا يعارضه

دليل ظني والحاصل ان الله تعالى لما اصطفى الانبياء في سابق علمه للنبوة واداء
الرسالة رشحهم لذلك في مبادئ امورهم وحماهم عن مكائد الشيطان وصفا
سرائرهم من الكدورات وشرح صدورهم بنوره وزينهم بالاخلاق
الحميدة والعادات الجميلة وطهرهم عن الرجس والرذائل فلا يقع عنهم
الذنب عمدا في وقت من الاوقات ولا يقع عنهم الشرك مطلقا اي لا قصدا
ولا سهوا ولا تاويلا ولا قبل النبوة ولا بعد النبوة اذا تحققت هذا فاعلم ان
ما نقل عن الانبياء عليهم السلام مما يشعر بكذب ومعصية فما كان منقولا بطريق
الاحاد فمردود وما كان بطريق التواتر مصروف عن ظاهره ان امكن والا
فمحمول على ترك الاولى والافضل يعني ان كان له محمل اخر لا يلزم منه نسبة الذنب
الى الانبياء يحمل عليه وان كان خلاف الظاهر جمعا بين الادلة ولا يحمل على
ترك الاولى كما سيجئ في الباب الثاني انشاء الله تعالى **الباب الثاني**
في بيان ادلة الطاعنين في عصمت الانبياء عليهم السلام وبيان الاجوبة عن
ادلتهم وهو مشتمل على فصول **الفصل الاول** في شان انبياء ادم عليه السلام اعلم
ان تمسك الطاعنون في عصمت الانبياء عليهم السلام بايات واخبار كثيرة اما تمسكهم
في حق ادم عليه السلام فمن وجهين في اعتقاده واعماله اما التمسك بالطعن

فى اعتقاده فبقوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله
ربهما لان اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء
فى ما اتاهما فتعالى الله عما يشركون كان النفس الواحدة هى آدم وزوجها
المخلوقة عنها هى حواء فهذه الكنايات باسرها عائدة اليهما فقوله جعلا له
شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون يقتضى صدور الشرك عنهما لما روى
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو الذى خلقكم من نفس واحدة وهى
نفس آدم وخلق منها زوجها اى حواء خلقها الله من ضلع آدم عليه السلام
من غير اذى فلما تغشاها آدم حملت حملا خفيفا فلما اثقلت اى ثقل الولد
فى بطنها اتاها ابليس فى صورة رجل وقال ما هذا يا حوا انى اخاف ان يكون
كلبا او خنزيرا او بهيمة وما يدريك من اين يخرج امن دبرك فيقتلك
او ينشق بطنك فخافت حواء وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم يزالا مهتما
من ذلك ثم اتاها وقال ان سألت الله ان يجعله صالحا سويا مثلك وسهل خروجه
من بطنك تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحارث فذلك
قوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما اى لما اتاهما الله ولدا سويا صالحا

جعلا له شريكا اى جعل آدم وحواء له شريكا والمراد به الحارث والجواب انا لا نسلم
ان معنى الاية ما ذكرتم لانه فاسد ويدل على فساده وجوه الاول ان قوله
قال الله تعالى فتعالى الله عما يشركون وذلك يدل على ان الذين اتوا بهذا الشرك جماعة
اخر قال الله تعالى بعده ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وهذا يدل على ان المقصود
من هذه الاية الرد على من جعل الاصنام شركاء لله وما جرى لابليس اللعين ذكر في
هذه الاية الثالث لو كان المراد ابليس لقال ايشركون من لا يخلق شيئا ولم يقل
ما لا يخلق شيئا لان العاقل انما يذكر بصيغة من لا بصيغة ما
الرابع ان آدم عليه السلام كان من اشد الناس معرفة بابليس وكان
عالما بجميع الاسماء كما قال الله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها فكان لا بد و
ان يكون قد علم ان اسم ابليس هو الحارث مع العداوة الشديدة التي بينه
وبين آدم ومع علمه بان اسمه هو الحارث كيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث
وكيف ضاقت عليه الاسماء حتى انه لم يجد سوى هذا الاسم اسما الخامس ان الواحد
منا لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح فجائه انسان ودعاه الى ان يسميه
بمثل هذه الاسماء لزجره وانكر عليه اشد الانكار وآدم عليه السلام مع نبوته
وعلمه الكثير الذي حصل من قوله وعلم آدم الاسماء كلها وتجاربه الكثيرة التي حصلت له

بسبب هذه الآية التي وقع فيها الاجمل وسوسة ابليس كيف لم يتنبه لهذا القدر
وكيف لم يعرف ان ذلك من الاقوال المنكرة التي يجب على العاقل الاحتراز
منها السادس ان تقدير ان آدم عليه السلام سماه بعبد الحارث فلا يخلو اما ان
يقال انه جعل هذا اللفظ اسما علما له او جعله صفة له بمعنى انه اخر بهذا اللفظ
انه عبد الحارث ومخلوق من قبله فان كان الاول لم يكن هذا شركا بالله لان
اسماء الاعلام والالقاب لا تفيد في المسميات فائدة فلم يلزم من التسمية
بهذا اللفظ حصول الاشراك وان كان الثاني كان هذا قولا بان آدم عليه السلام
اعتقد ان لله شريكا في الخلق والايجاد والتكوين وذلك يوجب الجزم
بتكفير آدم وذلك لا يقوله قائل للتواتر وانعقاد الاجماع وعدم القائل بالفرق
بعد الذي ذكرنا فثبت بهذه الوجوه ان هذا القول فاسد ويجب على العاقل المسلم
ان لا يلتفت اليه اذا عرفت هذا فنقول في تاويل الاية وجوه صحيحة سليمة خالية
عن هذه المفاسد التاويل الاول ما ذكره القفال فقال انه تعالى ذكر هذه القصة
على سبيل ضرب المثل وبيان ان هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في
جهلهم وقولهم بالاشراك وتقرير هذا الكلام كانه تعالى يقول هو الذي خلق كل واحد منكم
من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجا انسانا يساويه في الانسانية فلما تغشى

الزوج زوجته وظهر الحمل دعا الزوج والزوجة ربهما لئن اتيتنا ولدا صالحا
سويا لنكونن من الشاكرين آلائك ونعمائك فلما اتاهما الله ولدا صالحا
سويا جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما اتاهما لانهم تارة ينسبون ذلك الولد
الى الطبائع كما هو للطبايعيين وتارة الى الكواكب كما هو قول المنجمين وتارة
الى الاصنام كما هو قول عبدة الاصنام ثم قال الله تعالى فتعالى الله عما يشركون
اى تنزه الله عن ذلك الشرك وهذا الجواب فى غاية الصحة والسداد واما التاويل
الثانى بان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهم آل قصى والمراد من قوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة اى من نفس قصى
وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتاهما صالحا من
الولد الصالح الذى جعلا له شركاء فيما اتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة
بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الات وجعل الضمير فى يشركون لهما
ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك التاويل الثالث انا نسلم ان هذه الآية
وردت فى شرح قصة آدم عليه السلام وعلى هذا التقدير ففى دفع هذا الاشكال
وجوه الاول ان المشركين كانوا يقولون ان آدم عليه السلام كان يعبد الاصنام
ويرجع فى طلب الخير ودفع الشر اليها فذكر الله تعالى قصة آدم وحواء عليهما السلام

وحكى عنهما انهما قالا لان اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين اى ذكر الله تعالى
لو اتاهما ولدا سويا صالحا لاشتغلوا بشكر تلك النعمت ثم قال فلما اتاهما صالحا
جعلا له شركاء فيما اتاهما ثم قال فتعالى الله عما يشركون اى تعالى الله عن شرك
هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وينسبون الى آدم عليه السلام ونظيره
ان ينعم الرجال على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم ان ذلك
المنعم عليه يقصد ذلك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت فى حق فلان
كذا واحسنت اليه بكذا ثم انه يقابلنى بالشر فلا ساءت والبغى على سبيل التبعيد
فكذا ههنا الوجه الثانى فى الجواب ان نقول ان هذه القصة من اولها الى آخرها
فى حق آدم وحواء ولا اشكال فى شئ من الفاظها الا قوله فلما اتى هما صالحا
جعلا له شركاء فيما اتى هما فنقول التقدير فلما اتى هما ولدا صالحا سويا جعلا له
شركاء اى جعلا اولادهما له شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذا
فيما اتى هما اى فيما اتى اولادهما ونظيره قوله واسئل القرية اى اسئل اهل القرية
فان قيل هذا الوجه لا يستقيم لان اشراك اولادهما لم يكن حين اتى هما صالحا بل بعده
بازمنة متطاولة قلنا ليس كلمة لما للزمان المتضائف بل الممتد فلا يلزم ان يقع مضمون
الشرط والجزاء فى يوم واحد او شهر او سنة بل يختلف ذلك باختلاف الامور فان قيل فعلى

هذا التاويل ما الفائدة فى التثنية فى قوله جعلا له شركاء قلنا كان ولده تسعة اذكر
واثنى فقوله جعلا المراد منه الذكر والانثى مرة عبر عنهما بلفظ التثنية لكونهما صنفين
ونوعين ومرة عبر عنهما بلفظ الجمع وهو قوله تعالى الله عما يشركون فان قيل
لما كان العبارة تحذف المضاف كان المراد اولادهما وليس كل اولادهما مشركين فكيف جاء
بصيغة الجمع وكيف يصح على طريق العموم قلنا هذا من قبيل نسبت فعل البعض الى الكل
قوله تعالى ايتها العير انكم لسارقون ويدل على صحت الوجه الثانى قوله عليه السلام فى حديث
طويل عن سمرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبس المؤمنون يوم القيمة حتى يهموا له
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون انت آدم ابو الناس خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ
فاشفع لنا عند ربك فيريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى اصاب
اكله من الشجرة فقد نهى عنها ولم يذكر هذه الخطيئة من آدم عليه السلام ولو كانت
تلك الخطيئة من آدم عليه السلام كانت اغلظ من الاولى فعلم ان هذا النص
يأولادهما الوجه الثالث فى الجواب سلمنا ان الضمير فى قوله جعلا له شركاء فيما
اليهما عائد الى آدم وحواء عليهما السلام لكنا نقول انه تعالى لهما ذلك لانهما
سميا الصالح عزما على ان يجعلاه وقفا على خدمت الله تعالى وطاعته وعبوديته

على الاطلاق وتقريرهما في ذلك فتارة كانوا ينتفعون به في مصالح الدنيا
ومنافعها وتارة كانوا يأمرونه بخدمت الله تعالى وطاعته وهذا العمل وان كان من
قربة وطاعة الا ان حسنات الابرار سيئات المقربين فلهذا قال الله تعالى فتعالى
عما يشركون ويؤيده ما نقل عنه عليه السلام انه قال حاكيا عن الله سبحانه انا اغنى الاغنياء
عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته ونتركه وعلى هذا التقدير فلا اشكال
زائل الوجه الرابع في التاويل ان نقول سلمنا صحت تلك القصة المذكورة الا
انا نقول انهم سموا عبد الحارث لاجل انهم اعتقدوا انه انما سلم من الافة والمرض
بسبب دعاء ذلك الشخص المسمى بالحارث وقد يسمى المنعم عليه عبد المنعم يقال في المثل
انا عبد من تعلمت منه حرفا وآدم وحواء عليهما السلام سميا ذلك الولد عبد الحارث
تنبيها على انه انما سلم من الافة ببركت دعائه وهذا لا يقدح في كونه عبد الله من حيث انه
مملوكه ومخلوقه الا ان حسنات الابرار سيئات المقربين فلما حصل الاشتراك في
لفظ العبد لا جرم صار آدم عليه السلام معاتبا في هذا العمل بسبب الاشتراك الحاصل
في مجرد العبد والوجه الخامس في التاويل ان المراد بقوله تعالى وجعلا له شركاء واحد منهما
حواء وقد كثر في كلام العرب نسبة الفعل الصادر عن الواحد الى الجمع كما قال الله تعالى
وتسيا حوتهما وقال فلا جناح عليهما فيما افتدت به واخبر عن الواحد بلفظ الجمع في قوله جعلا

شركاء مع ان المطاع واحد وهو ابليس لان من اطاع ابليس فقد اطاع جميع الشياطين
والدليل على صحة الوجه الخامس ما روى سمرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال ولما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث
فانه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان رواه الحاكم وهذا التاويل وان كان
مرضيا لبعض الاذكياء لخلوه عن حذف المضاف وغيره كما فى التاويلات الاخر الا انه
غير مرضى عندى لما فيه من نسبة الاشراك الى حواء وايضا قال ذلك البعض
انما اسند الشرك الى آدم عليه السلام لاجل علم صيانة حال زوجته مع ان الرجال
قوامون على النساء فلما غفل عن حالها اسنده اليه فقال عز وجل جعلا له شركاء كما وقع
لسليمان عليه السلام فى الفتنة كما قال الله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا
ثم اناب لسبب عبادة زوجة جراءة بنت صيدون تصور فى بيت سليمان عليه السلام بغير علمه
وما ظهر هذا القائل الى انه لم لم يقع نوح فى المحنة والمشقة لسبب اشراك زوجته ولم
لم يقع لوط عليه السلام فى الفتنة لسبب اعمال زوجته ولم ينسب شركهما اليه فالجواب
واما التمسك فى افعال آدم عليه السلام فبقوله تعالى وسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وتسكهم بها من سبعة اوجه الاول انه

كان عاصيا والعاصي لابد وان يكون صاحب الكبيرة وانما قلنا انه كان عاصيا
لقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وانما قلنا ان العاصي صاحب الكبيرة لوجهين الاول
ان النص تقتضي كونه معاقبا لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فلا معنى
لصاحب الكبيرة الا ذلك الثاني العاصي اسم ذم فوجب ان لا يتناول الا صاحب
الكبيرة الوجه الثاني في التمسك بانه كان غاويا بقوله تعالى فغوى والغي ضد الرشد
لقوله تعالى قد تبين الرشد من الغي فجعل الغي مقابلا للرشد فبالضرورة يكون صاحب الذنب
الوجه الثالث انه تائب والتائب مذنب انما قلنا انه تائب لقوله تعالى فتلقى آدم
من ربه كلمات فتاب عليه وقال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وانما قلنا التائب
مذنب لان التائب هو النادم على فعل الذنب والنادم على فعل الذنب مخبر عن كونه
فاعلا للذنب فان كذب في ذلك الاخبار فمن مذنب بالكذب وان صدق
فيه فهو المطلوب انه مذنب فعلى كلا التقديرين لا يخلو عن الذنب الوجه الرابع
انه ارتكب المنهي عنه في قوله الم انهكما عن تلك الشجرة وكل من ارتكب
المنهي عنه عين الذنب الوجه الخامس سماه ظالما في قوله فتكونا من الظالمين وهو
سمى نفسه ظالما في قوله ربنا ظلمنا انفسنا والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين
ومن استحق اللعن كان صاحب كبيرة الوجه السادس انه اعترف بانه لولا مغفرة الله

ایاه لکان خاسرا فی قوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنکونن من الخاسرین وذلک یقتضی کونه
صاحب الکبیرة والوجه السابع انه اخرج من الجنة بسبب وسوسة الشیطان وان لا
جرم علی ما اقدام علیه من طاعة الشیطان وذلک یدل علی کونه صاحب الکبیرة ثم قالوا
هب ان کل واحد من هذه الوجوه لا یدل علی کونه فاعلا للکبیرة لکن مجموعها لا شک
فی کونه قاطعا فی الدلالة علیه ویجوز ان کل واحد من هذه الوجوه ان لم یدل علی شیء لکن
مجموع تلک الوجوه یکون دالا علی الشیء واجاب عن هذا التمسک بوجوه وتها نقل فی الوا
ما قال الشیخ محی الدین قدس سره فی الباب التاسع والثلاثین من الفتوحات
کانت معصیة آدم علیه السلام من عین منة الله علیه لان الانبیا علیهم السلام
لا ینقلون من حالة الا الا علی منها فان الله تعالی اجتباهم واصطفاهم
لسابق العنایة فلا یمکر الله بهم ابدا ومن هبوط آدم وحواء الی الارض لم یکن
عقوبة لهما وانما کان عقوبة لابلیس وحده فان آدم علیه السلام اهبط لصدق
وعد السابق بان یکون خلیفة فی الارض من بعدها تاب الله علیه واجتباه ولقد
ما تلقی آدم من ربه بالاعتراف فکان اعترافه علیه السلام فی مقابلة قول
ابلیس ناخیر منه فعرفنا الله تعالی مقام الاعتراف عند الله وما یستحقه من سعادة
لنتخذ ذلک طریقا اذ لم خلقنا من امر ربنا فکان ما وقع من آدم علیه السلام فالتعلیم

لبنيه اذا وقعوا فى مخالفة كيف يكون خلاصهم وأما ابليس فعرفنا الحق تعالى
بدعواه الخيرية ان كل من اتبعه فى هذه الدعوى طرد عن حضرة الله ولعن ورجم
ليحذر من ان يقول نحن خير من فلان فلذلك كان هبوط ابليس الى الارض عقوبة
لهؤلاء دون آدم وقال الشيخ ابو العباس العربى لم يعص آدم ربه معاذ الله وانما
عصى من كان فى ظهره من ذريته الذين هم اهل الشقاوة كان ظهره كالسفينة
لسائر اولاده وقد سمح لى ان اضرب لك مثلا لتعلم به يقينا تنزيه آدم
عليه السلام من المعصية ولا تقوم ببعض واجب حق ابيك عليك
عليه السلام فاقول وبالله التوفيق اعلم انه سبحانه تعالى لما قضى فى سابق علمه
بالسعادة لقوم الشقاوة لقوم آخر ولم يبدل ذلك القول لديه فلا بد من فاتح
يفتح القبضتين فكان ابليس فاتحا لقبضة الشقاوة وآدم عليه السلام فاتحا
لقبضة السعادة فابليس شقى وآدم عليه السلام سعيد هو وذريته الذين اتبعوا
آثاره فى التوبة والاعتراف فان آدم عليه السلام مع علمه بان ما وقع منه كان بقضاء
وقدر اعترف بذنبه وقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين واضاف الذنب الى نفسه ليعلم بينه كيف يخرجون اذا وقعوا فى
معصية عن الا تذرفلا يصرون على المعاصى من غير توبة والاعتراف كما وقع

فيه ابليس وجنوده من الانس والجن فكان حكم آدم عليه السلام فيما وقع له
مع الحق حكم عبد قال له الحق تعالى فيما بينه وبينه الى اريد ان اظهر في هذا الوجود
ما كان مكتوما في علمي وتحكم اسمائي في اهل حضراتها من السعداء والاشقياء
وتظهر على عبادي قبل ان اخرجهم من جواري فان علمي سبق ذلك وانا كريم من
شان الكريم ان لا يخرج احدا من جواره الا لحجة ظاهرة تقام عليه بين المحجوبين
عن سماع ما قلته لك من سري فاذا قلت لك لا تقرب هذه الشجرة فاعلم اني
اذنت لك في القرب منها فقرب لا قيم عليك الحجة واخرجك الى دار خلافتك
وترقيك باعمالك فان هذه الدار التي انت فيها لا تكليف فيها ولا ترقي لاحد
باعماله كما هي اعمال اهل الجنة التي يؤل امير المومنين اليها بعد يوم القيمة
فلا يسمع العبد صاحب هذا السر الا ان يبادر الى ما اذن له فيه سيده سرا من وراء
المحجوبين ولم يكن ذلك معصية الا عند المحجوبين عن سماع ذلك السر الذي اسره الحق
لآدم عليه السلام واما الحاضرون السامعون ذلك فليس ذلك بمعصية عندهم
فان الاذن من الحق في شئ والامر به واحد في تلك الحضرة فعلم ان في نداء
الحق تعالى على آدم بالمعصية والغواية نفعا عظيما لذرية المحجوبين الذين يتعدون
حدود الله فيقعون بابصارهم في الندم والاستغفار والاعتراف فلم تكن تلك المعصية

مقصودة لآدم بالاصالة كما هي ذنوب لنعاوين من ذريته وانما بكى آدم
مع اذن الحق له فى اكله من الشجرة سرا على ما مر تشريعا لذريته فكان بكائه
كبكاء صوريا فان قلت فلم لم يفتح لآدم قبضة السعادة بالطاعة الصرفة
دون وقوعه فى المعصية ثم توبة منها قلت انما كان المراد الفتح المذكور بعد وقوع
المعصية ليظهر آدم بذلك سعة فضل الله تعالى ورحمه وحلمه على عباده الذين سبق
فى علمه انهم يقعون فى معصية الله تعالى ولو انه فتح قبضة السعادة بالطاعة
المحضة لتعطلت حضرات كثير من الاسماء الالهية المتعلقة بالعالم المخالف
اذ الطائع لا يحتاج الى مغفرة ولا رحمة لعدم من يغفر له او يرحم عليه او يحلم عليه
ويؤيد ذلك حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولاتى بقوم يذنبون فيستغفرون
الله تعالى فيغفر لهم انتهى ويدل على صحت ما نقلناه ما وقع بين آدم وموسى عليهما السلام
من المحاجة فان موسى عليه السلام لما كان فى عالم الاسباب الذى لا يجوز فيه
قطع النظر عن الوسائط ولا الاستناد على ادم النعم المختصة به تعلق نعله
الى المعصية والخطيئة فقال انت ادم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من
روحه واسجد لك ملائكته واسكنك فى جنته ثم اهبط الناس بخطيئتك منها
الى الارض وآدم عليه السلام لما كان فى عالم المثال وارتفع عنه وامساب التكليف

وموجبات الكسب للعصيان واجتمع روحه معه روح موسى عند ربهما عند تلقى
موسى من النعم المختصة به فتراستبعد منه نسبة الخطية اليه فقال انت موسى الذى
اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ وقربك
نجيا فيكم وجد الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال باربعين قال فهل وجدت
فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومنى على ان عملت عملا كتب الله
على ان اعمله قبل ان خلقنى باربعين سنة يعنى ان صدور اكل الشجرة عنى كائن
فى علمه تعالى فهل يمكن ان يصدر عنى خلاف علم الله وانت يا موسى من الذين
يشاهدون سر الله من وراء الاستار فكيف تغفل عن العلم السابق وتنسى الاصل
الذى هو القدر وتتذكر الاسباب الكسبية التى هى السبب وتنسب الفعل الى الخطيئة وهذا
بعيد من شانك كان اكل الشجرة وان كان خطيئة لكنه عند المحجوبين عن مشاهدة
السر وانت لست منهم فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم اى غلب
فى حجته على موسى لانه اظهر مما كان بينه وبين الله فى السر قال صاحب الميزان الكبرى
نا قلا عن قول شيخه على الخواص مثال واقعة لسيدنا ادم عليه الصلوة والسلام مثال ملك
مطاع قال يوما لاهل حضوته الخاصة انى ريدان احدث امرا فى الوجود وانزل
كتبا وارسل رسلا بامر دينى واجعل لمن اطاعهم دار النعيم الجنة ولمن عصاهم دارا

تسمى النار واخرج من ظهر عبدى آدم ذريته يعبرون الارض واوجه اليهم التكاليف
بعدان اقدر عليه الاكل من شجرة وبعدان انهاه عن القرب منها ظاهرا ثم اقيم
عليه وعلى ذريته الذين عصوا الحجة بحجاز الصور يا وعلى ذريته الذين لم يعصوا
حقيقة لا مجازا ثم اخرجه من تلك الجنة التى اكل فيها من الشجرة الى دار اخرى
انزل منها فى الدرجة تسمى الدنيا واجعل كمال مقامه فيها من طلب ان يكون
مكان آدم فليتقدم فما اجترء احد من اهل الحضرة ان يتقدم لذلك غير السيد
آدم فانه تقدم وقال انا لها طلبا لتنفيذ قضاء الله تعالى وقدره فى عباده من
كان حاضرا المجلس هذا الاتفاق لم يحكم على آدم بالمعصية الخالصة وانما يحكم
له بطاعة ربه فى ذلك عكس من كان غائبا عن هذا المجلس فانه يحكم عليه بالعصيان
ولا بد كما هى حضرت المحجوبين من اولاد آدم فكان ذلك من اكبر المصالح لهم ليقعوا
فى قضاء الله وقدره تارة بالمعصية فيظهر حلمه وعفوه وتارة بالطاعة فيظهر
كرمه ومجده فكان آدم عليه السلام تحمل عن اولاده المحجوبين بعد ذلك البكاء
الصورى الذى وقع عنه وكثرة الحزن غالبا ما كان يقع منه اولاده الذين يتعدون
حدود الله وكانه فتح بوا تعنه باب المغفرة لاولاده اذ لا بد للقبضة من فاتح
يفتحها بحكم القضاء والقدر ليترتب على ذلك الحدود فى الدنيا والآخرة

وايضا قال قائل المذكور انا قلا عن شيخه المذكور ان جميع ما وقع من آدم عليه السلام
من مسمى المعصية كالطاعة لله تعالى فان الله تعالى كان راضيا عنه حال اكله من الشجرة
كرضاه عنه حال كونه في الصلوة على حد سواء ومن قال في ابيه غير ذلك قياسا
على حال بني آدم فعليه الخروج من عهدته يوم القيمة وايضا اجاب قوم عن الكلام
الاول فقالوا المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون بالواجب والمندوب
فانهم يقولون اشرت عليه في امر ولده في كذا فعصاني وامرته ليشرب الدواء
فعصاني واذا كان الامر كذلك لم يمتنع اطلاق اسم العصيان على آدم لا
لكونه تاركا للواجب بل لكونه تاركا للمندوب واجاب المستدل عن هذا بانا
بينا ان ظاهر القرآن يدل على ان العاصي مستحق للعقاب والعرف يدل على
انه اسم ذم فوجب تخصيص اسم العاصي بتارك الواجب لانه لو كان تارك المندوب
عاصيا لوجب وصف الانبياء باسرهم بانهم عصاة في كل حال لانهم لا ينفكون
عن ترك المندوب فان قيل وصف تارك المندوب بانه عاص مجازا والمجاز
لا يطرد قلنا انا سلمنا كونه مجازا فالاصل عدمه واما قوله اشرت عليه في امر ولده
في كذا فعصاني وامرته ليشرب الدواء فعصاني قلنا لا نسلم ان هذا الاستعمال مروي
عن العرب ومن المسلم ان الآية تدل على صدور المعصية منه لكنه زعم ان المعصية

كانت من الصغائر لا من الكبائر وهذا قول عامة المعتزلة وهو ايضا ضعيف
لما بينا ان اسم العاصي اسم للذم وكان ظاهر القرآن يدل على انه يستحق العقاب
وذلك لا يليق بالصغيرة واجاب ابو مسلم الاصفهاني بانه عصى في مصالح الدنيا
لا في ما يتصل بالتكاليف وكذلك القول في غوى وهدى وهذا ايضا بعيد لان
مصالح الدنيا تكون مباحة ومن يفعلها لا يوصف بالعصيان الذي هو اسم للذم
ولا يقال ذلك لهما بغرة واما التمسك بقوله تعالى فغوى فاجابوا عنه من وجوه احدها
انه خاب من نعيم الجنة وذلك لانه اكل من تلك الشجرة ليصير ملكا دائما ثم لما اكل
زال عما كان فيه فلما خاب سعيه وما نجح قيل انه غوى وتحقيقه ان الغي ضد الرشد
والرشد هو ان يتوصل بشيء يوصل الى المقصود فمن توصل بشيء الى شيء فحصل
له ضد مقصوده كان ذلك غيا وثانيها قال بعضهم غوى اي تشبم من كثرة الاكل
قال صاحب الكشاف هذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها
الفا فيقول في فتى وبقى فنا وبقاوهم بنو طي فهو تفسير خبيث وثالثها انا نقول كلامكم
انما يتم لو انتهم بالدلالة على ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع فلم لا يجوز
ان يقال ان آدم عليه السلام حال ما صدر عنه هذه الزلة ما كان نبيا ثم بعد ذلك
صار نبيا وكما استحالة فيه هذا الجواب كما هو جواب عن الوجه الثاني وكذلك يكون جوابا

عن الوجوه كلها اى على تقدير صدور الاكل الشجرة عنه عليه السلام حال كونه نبيا وعلى الاول
فالاولى عندى فى الجواب عن الوجه الاول ان اتصاف آدم عليه السلام بالعصيان فى قوله تعالى
وعصى آدم ربه اتصاف مجازى لا حقيقى لان العصيان والمعصية فى الحقيقة عبارة عن فعل حرام صدر
عن الفاعل بقصد المخالفة كما قال الفاضل الكامل الشيخ اسمعيل فى تفسيره المسمى برواح البيان
واعلم ان المعصية فعل حرام وقع عن قصد اليه والزلة ليست بمعصية ممن صدرت
عنه لانها اسم لفعل حرام غير مقصود فى نفسه للفاعل ولكن وقع عن فعل مباح
فاطلق اسم المعصية على الزلة فى هذه الآية مجازا لان الانبياء معصومون
عن الكبائر والصغائر لا من الزلات عندنا قال فخر المحدثين زبدة المتاخرين
صاحب الكشف والتمييز يعنى شاه عبد العزيز فى تفسيره ملخصا صلة انه كانت
معصية آدم عليه السلام بطريق الزلة ومعنى الزلة ان يقصد الرجل امرا
مباحا او طاعة وقع فى امر غير مشروع بسبب الغفلة وعدم الاحتياط فيكون
هذا الامر معصية صورة وطاعة معنى انتهى قال بعض اهل الكشف والشهود
ان زلة الانبياء عليهم السلام ليست من الحق الى الباطل بل معناه انهم زلوا
من الافضل الى الفاضل وانهم يعاتبون لجلال قدرهم ومكانتهم من الله تعالى
فهذه الاقوال كلها مؤيدة لما قلنا من ان اتصاف آدم عليه السلام بالعصيان ليس

بحقيقي واما قول المستدل لما سلمت كونه مجازا فالاصل عدمه فهو مسلم
اذا لم تكن القرينة الصارفة عن الحقيقة موجودة واما اذا كانت القرينة
المذكورة موجودة فلا وههنا كذلك لان قوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما يدل
دلالة واضحة على ان صدور اكل الشجرة عن آدم عليه السلام كان حال الغفلة
عن المنع واذا كان كذلك فلا يصدق عليه عليه السلام انه فعل فعل الحرام
بحيثية الحرمة والمخالفة لعدم قصده المخالفة والعصيان لا يوجد عرفا بدون
قصد المخالفة وكلا لصدق على كل من اكل شيئا ناسيا او خطاء في صوم رمضان
او غيره انه عاص وكلا مر ليس كذلك كلا انه عليه السلام لعلو مرتبته وعظمت منزلته
عند الله لما نسي وغفل عن حفظ التعهد نزل منزلة القاصد مجازا فاطلق عليه
ما ينا سب لقاصد المخالفة ولوجه آخر ان للانبياء عليهم السلام جهتان نسبتا
نسبة الى الخلق كما قال الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم ولقد جاءكم رسول من انفسكم
من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ونسبة الى الله كما قال عليه الصلوة
والسلام انا لست كاحدكم ابيت عند الله وتنام عيناي ولا تنام قلبي فظواهرهم
مع الخلق ليعلمهم ويؤدبهم ولو لم يكونوا مع الخلق ظاهرا لامتنع اخذ الشريعة
عنهم فلم تظهر فائدة البعث واذا كان الامر كذلك فجاز على ظواهرهم ما يجوز على

ظواهرنا من السهو والغفلة وغيرهما كالمعاشرة والمخالطة دون الكفر لما مر
ببواطنهم مع الحق لا تغفل اسرارهم عن مشاهدة الحق لحظة واحدة لان منازلهم
تتزايد في الترقي ساعة فساعة كما يدل عليه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استغفر
سبعين مرة في كل يوم فاسرارهم وبواطنهم تتزايد في الترقي خوفا بعد خوف
ورجاء بعد رجاء ومحبة بعد محبة وشوقا بعد شوق ومعلوم بالهداية ان الباطن
اقوى وخير من الظاهر ولهذا لا يخرج احد من الايمان باجراء كلمة الكفر
على اللسان وقت الاكراه مع اطمينان القلب على التوحيد بخلاف العكس ولهذا
لا يجوز اداء الصلوة باداء الاركان مع عدم بنيتها فاسراد الانبياء عليهم السلام
على الصحة والاستقامة دائما لا يحجب عن الحق لحظة فلا يقع التقصير والغفلة والسهو
على بواطنهم اصلا بل التقصير والغفلة ان وقع فعلى ظواهرهم ومعلوم ان وجود الفعل
بدون القصد كالعدم في حق الحكم لما قال عليه الصلوة والسلام انما الاعمال بالنيات
اي صحت الاعمال بالنيات ولا فمجرد الوجود غير موقوف على النية والقصد و
لما كانت زلاتهم لا عن قصد المخالفة سراً صارت كالعدم فلهذا قال الله تعالى شأنه
ولم نجد له عزما ولكنها لما كانت موجودة ظاهرا رتب عليها العتاب كما هو في الكتاب
من قوله عصى آدم ربه فغوى فاطلاق العصيان ههنا لبس على حقيقته لان العصيان

حقيقة عبارة عن مجموع قصد المخالفة والفعل فاطلاقه على الفعل بقيد
قصد المخالفة اطلاق اللفظ على جزء مافهم منه ولا شك في صحبانيته ويؤيده
كلام العارف الكامل الشيخ جنيد رحمة الله تعالى ان ما جرى على الانبياء
جرى على ظواهرهم واسرارهم مستوفات بمشاهدة الحق وايضا يؤيده ما في الميزان
الكبرى حكاية عن علي الخواص قدس سره انه قال العلم يا ولدي ان ما قصد الله تعالى
عن الانبياء من مسمى المعصية والخطيئة انما هو على سبيل المجاز لان احدا منهم لم يخرج
من حضرات الاحسان في لحظة في ليل او نهار وتلك الحضرة مشاهدة للحق جل وعلا
فلا يصح لاحد فيها عصيان وانما يقع العصيان ممن يحجب عن شهوده تعالى فسمى
معاصي الانبياء وخطياتهم كذلك صورية لا حقيقية والحجاب عن الوجه الثالث
بان التوبة عن الذنوب لازمة سواء كانت صغيرة او كبيرة اما لان المفارقة
عنها لا يحصل الا بالندامة او لان فعل الصغيرة موجبة لنقصان الثواب فلا يعود
ذلك الا بالتوبة فآدم عليه السلام تاب عن زلته لاجل ما ذكرنا لا انه فعل
فعل الكبيرة واما ارتكاب الصغيرة سهوا او تاويلا فلا ذنب في عصمت الانبياء
لانهم معصومون عندنا عن الكبائر مطلقا وعن الصغائر عمدا الا اذا كانت
الصغيرة تدل على الخسة فانهم مبرؤن عنها مطلقا كما ذكرنا في الباب الاول

وايضا يجوز ان يكون استغفاره وتوبته لاجل اولاده كما قال على الخواص
قدس سره مما قال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
يعني معاشر اولادي الذين يعصون امرك فكانه بذلك كان مستغفرا عنهم
لانهم من نفسه هم فمنوكا لشافع فيهم عند ربه وايضا يجوز ان يكون استغفاره عليه السلام
لتعليم اولاده كما مر وجميع ما وقع له من تطاير التاج والثياب عن راسه
وبدنه والبكاء والندم كان صوريا لينقل ذلك عنه الى نبيه الذين لم يكونوا
موجودين حال نزوله الى الارض اعلم انه اختلف في النهي المذكور في قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة من انه للتحريم او للتنزيه فقال قائلون ان هذه
الصيغة للنهي التنزيه وذلك لان هذه الصيغة وردت تارة في
التنزيه واخرى في التحريم والاصل عدم الاشتراك فلا بد من جعل اللفظ حقيقة
في القدر المشترك بين القسمين وما ذلك الا ان يجعل حقيقة في ترجيح جانب
الترك على جانب الفعل من غير ان يكون فيه دلالة على المنع من الفعل او على الاطلاق
فيه لكن الاطلاق متى كان ثابتا بحكم الاصل فان الاصل في المنافع الاباحة
فان ضم ما سبق للفظ الى هذا الاصل صار المجموع دليلا على التنزيه قالوا وهذا
هو الاولى في هذا المقام كان على هذا التقدير يرجح حاصل معصية آدم عليه السلام

الى ترك الاولى ومعلوم ان كل مذهب كان افضى الى عصمت الانبياء عليهم السلام
كان اولى بالقبول وقال اخرون بل هذا النهى نهى تحريم واحتجوا عليه بوجوه
احدها ان قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة كقوله ولا تقربوهن حتى يطهرن وقوله
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن فكما ان هذا التحريم فكذا ذاك وتانيها
انه قال فتكونا من الظالمين معناه ان اكلتما منها ظلمتما انفسكما الا ترى انهما
لما اكلا قالا ربنا ظلمنا انفسنا وثالثها ان النهى لو كان نهى تنزيه لما استحق
آدم بفعله الاخراج من الجنة ولما وجبت التوبة عليه والجواب عن هذه الوجوه
اما عن الاول فنقول ان النهى وان كان فى الاصل للتنزيه ولكنه قد يحمل على التحريم
لدلالة منفصلة يعنى ان النهى فى الاصل للتنزيه كما قلنا واما كونه للتحريم فى قوله
ولا تقربوهن ولا تقربوا مال اليتيم وامثالهما لا يضر مدعانا لانه بسبب امر منفصل لا تكونه
عرضوعا له للنهى وعن الثانى ان قوله فتكونا من الظالمين اى فتظلما انفسكما بفعل
الاولى بكما تركه لانكما اذا فعلتما ذلك لخرجتما من الجنة التى لا تظمأ ان فيها ولا
تجوعان ولا تضحيان ولا تعريان الى موضع ليس لكما فيه شئ من هذا وعن الثالث
انا لا نسلم ان الاخراج من الجنة كان بهذا السبب بل بسبب آخر كما سياتى بيانه ان شاء الله
تعالى فى الجواب عن الوجه السابع وظهر من هذا جواب الوجه الرابع والخامس والسادس

ايضا كان ارتكاب المنهي عنه بالنهي التنزيه لا يكون كبيرة والظلم ههنا عبارة عن فعل
ما الاولى له ان لا يفعله ومثاله ان من طلب لوزارة تفرتكها واشتغل بالحياكة
فانه يقال له يا ظالم نفسه لم فعلت ذلك فان قيل هل يجوز وصف الانبياء عليهم السلام
بانهم كانوا ظالمين او بانهم كانوا ظالمي انفسهم والجواب ان الاولى انه لا يطلق
ذلك لما فيه من ايهام الذم وكان ادم عليه السلام لما ارتكب النهي عنه بالنهي التنزيهي
وان كان ارتكابه ناسيا كما سيجئ عن قريب تشاء الله تعالى صار مرتكبا للصغيرة لعدم شانه
والصغائر معاقب عليها ان لم تغفر ولاجل هذا قال آدم عليه السلام وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين خلافا للمعتزلة لانهم لا يجوزون المعاقبة على الصغائر ومع اجتناب
الكبائر لان عادة المقربين لما كانت جارية على استعظام الصغيرة من السيئات
واستحقار العظيمة من الحسنات فالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين والجواب عن السابع اي بانا لا نسلم ان اخراج آدم عليه السلام
كان لاجل ما ذكرتم بل كان اخراجه عليه السلام من الجنة الى الارض لاجل ما قال الله
للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فاقتضت الحكمة الازلية الالهية الى ذلك
الاخراج ايفاء لوعده وليتصف آدم عليه السلام بالكمالات والتعظيمات والتشريفات
الا تعالى لما كان كرسيه في الجنة مقام القرب وهو عادة الكريم ان لا يخرج من قربه احدا

الا بحجة قائمة على الاخراج والتبعيل جعل الله اكل الشجرة من آدم عليه السلام سببا ظاهرا
لاخراجه ويؤيده قول القرطبي في تفسيره ان الصحيح في اهباط آدم عليه السلام وسكناه
في الارض ما قد ظهر من الحكمة الازلية في ذلك وهي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم
ويترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروي واخذ الجنة والنار ليست بدار تكليف فكانت
تلك الاكلة سببا لهباطهما من الجنة فاخرجهما لانهما خلقا منها وليكون آدم
خليفة الله في الارض ولله ان يفعل ما يشاء وقد قال اني جاعل في الارض خليفة
وهذه منقبة عظيمة وفضيلة شريفة كريمة انتهى فهبوطه هبوط التشريف والامتحان
والتمييز بين قضيتي السعادة والشقاوة كان ذلك من مقتضيات الخلافة الالهية
فان قيل ان هذا الكلام يعني كلام القرطبي يدل على كون الاكل سببا للاخراج كما صرح
به بقوله فكانت تلك الاكلة سببا لهباطهما من الجنة فكيف يكون مريدا
قلت مراده ان الاكل من الشجرة سبب للاخراج من الجنة في الظاهر واما السبب الحقيقي
للاخراج فشيء اخر كما صرح به في صدر كلامه وهو عين المطلوب وقال بعض اهل العرفان
سر خروج آدم عليه السلام من الجنة انه راى مرتبة من مراتب التوحيد اعلى من
المرتبة التي هو فيها فسئلها من الله فقيل له لا تصل اليها الا بالبكاء فاحب
آدم ان يبكي فقيل له ان الجنة ليست موضع البكاء بل هي موضع السرور

فطلب ان ينزل الى الدنيا فيكون ما صدر عنه ذنبا بالنسبة اليه باعتبار
قصور مرتبته عن المرتبة المطلوبة على نهج حسنات الابرار سيئات المقربين
فلاجل الوصول الى تلك المرتبة بكى آدم بكاء شديدا كما روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود كان بكاء داود اكثر
ولو جمع كل ذلك الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر وانما سمي نوحا لنوحه على نفسه
ولو جمع كل ذلك الى بكاء آدم لكان بكاء آدم على خطيئته اكثر وقيل السر في
خروج آدم عليه السلام اظهار كمال المحمدي وجمال الاحمدي ولو علم ابونا آدم عليه السلام
انه يخرج من صلبه مثل محمد عليه السلام لصار يأكل الشجرة مع عروقها فكيف ثمرها ليسارع
في الخروج على وجه الارض وقال المولاء الشهير بابن الكمال في رسالة القضاء والقدر
عتاب آدم عليه السلام بقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما
عدو مبين عتاب تلطيف لا عتاب تعنيف وتعذيب وتنزيله من السماء الى الارض
بقوله اهبطوا جميعا تكميل وتبعيد تقريب كما في قول الشاعر ع عسا طلب بعد الدار عنكم
لتقربوا انتهى قال الشيخ النجم الدين قدس سره ان آدم خاطبه ربه خطاب الابتلاء والامتحان
والنبي يعزز كانه قال يا آدم انبت تلك الجنة وما فيها الا هذه الشجرة فانها شجرة المحبة
والمعرفة والمحبة مطوية المحنة وان منعه منها كان تحريصا على تناولها فان الانسان

حريصا على ما منع فسكنت نفس ادم الى حواء والى الجنة والى ما فيها الا الشجرة اى حصول الاون فيها ١٢
المنهى عنها لانها كانت منتهى القلب وكان للنفس فيها حظ ولا يزال يزداد توقانه
اى منتهى عنها ١٢
اليها فيقصدها حتى تناول منها فظهر سر الخلافة والمحبة والمحنة واتصف بمظاهر الجمال
والجلال كالتواب الغفور والعفو والقهار والستار والحاصل انه لما علم الله تعالى انه
يأكل من الشجرة اهناه ليكون اكله عصيانا يوجب توبة ومحنة وطهارة من تلوث
يضحك في الناسوت ١٢
الذنب كما قال الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فامره بذلك ونهاه عن اكل الشجرة
عصيانا بسبب النسيان ثم توبة بسبب العصيان ثم محبة بسبب التوبة ثم طهارة
بسبب المحبة كما ورد في الحديث اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب اى حفظه من الذنب
واذا وقع فيه وفقه للتوبة والندامة وكل زلة عاقبتها التوبة والتشريف
والاجتباء فقيل هي زلة تنزيه واستحقاق آدم اللوم بالنهي التنزيهي
من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقيل خلقنا في الدنيا ليميز الله
الخبيث من الطيب والمطيع من المخالف لاقتضاء الصفات الجلالية لان
الجنة ليست من مظاهر الجلال ولو خلقنا وبقينا في الجنة لما ظهر فينا صفات
الجلال كما لو تظهر في الملك فالحكمة الالهية اقتضت خلق الانسان في الدنيا
وظهور المخالفة منه ليظهر فيه الرحمة والغفران فلو بقي ادم في الجنة لفاته

نصف الكمال الذى هو التجليات القهرية فخرج ليتحقق بمظاهر اسماء الجلال والجمال
ثم يرد الى عالم الجنان كاملا مكملا بانواع الفضائل والكمالات والمقصود
ايضا كما سبق تميز الخبيث من الطيب وقد قدر الله تعالى ان يخرج من صلبه سيد المرسلين
صلى الله تعالى عليه وسلم واخوانه من الانبياء والاولياء والمؤمنين وخمر طينته بتراب
كل مؤمن من عدو فاخرجه الى الدنيا ليخرج من ظهره الذين لا نصيب لهم فى الجنة
وقد علم مما ذكرنا ان اخراج آدم عليه السلام من الجنة الى الارض ما كان فى
الحقيقة بسبب اكل الشجرة وما كان ذلك الا اخراج للتعذيب والتذليل بل كان للاعزاز
والاكرام والاكمال فلا تكون سببه الكبيرة ثم اعلم ان القرآن وان دل على ان آدم عصى
وغوى لكن ليس لاحد ان يقول ان آدم كان عاصيا غاويا ويدل على صحة قولنا
امور احدها قال العتبى يقال لرجل قطع ثوبا وخاطه قد قطعته وخاطه ولا يقال
خائط ولا خياط حتى يكون معاودا لذلك الفعل معروفا به ومعلوم ان هذه الزلة
لم تصدر عن آدم عليه السلام الا مرة واحدة فوجب ان لا يجوز اطلاق هذا الاسم
عليه وثانيها ان على تقدير ان تكون هذه الواقعة انما وقعت قبل النبوة لم يجز
بعد ان قبل الله توبته وشرفه بالرسالة والنبوة اطلاق هذا الاسم عليه كما لا يقال لمن
اسلم بعد الكفر انه كافر بمعنى انه كان كافرا وثالثها ان يقال ان هذه الواقعة

وقعت بعد النبوة لم يجز ايضا ان يقال ذلك لانه عليه السلام تاب عنها وكما
ان الرجل المسلم اذا شرب الخمر او زنى ثم تاب وحسنت توبته لا يقال له بعد ذلك
انه شارب خمر او زان فكذا ههنا وثالثها ان قوله عاصى وغاوى يوهم
كونه عاصيا فى اكثر الاشياء وغاويا عن معرفة الله تعالى ولم ترد هاتان اللفظتان
فى القرآن مطلقتين بل مقرونتين بالقصة التى عصى فيها فكانه قال عصى فى
وكيت وذلك لا يوهم التوهم الباطل الذى ذكرنا ورابعها انه يجوز من الله ما لا يجوز
من غيره كما يجوز للسيد فى عبيده وولده عند معصية من اطلاق القول ما لا يجوز لغيره
السيد ثم اختلف فى ان ارتكاب الزلة المذكورة صدر عن آدم عليه السلام حال
كونه ناسيا للنهى او ذاكرا له فيه قولان الاول قول طائفة من المتكلمين انه
فعله ناسيا واحتجوا بقوله تعالى فنسى ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم فيشتغل بامر
وليستغرقه ويغلب عليه فيصير ساهيا عن الصوم ويأكل فى اثناء ذلك السهو عن
قصد لا يقال هذا باطل من وجهين الاول ان قوله تعالى ما نهى كما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين يدل على انه
ما نسى النهى حال الاقدام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ما يدل
على ان آدم تعمد لانه قال لما اكلا منها فبدت لهما سوآتهما حرم آدم

فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحسبته فناداه الله تعالى افرارا مني فقال بل حياء
منك فقال له اما كان فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمته عليك قال
بلى يا رب ولكن وعزتك ما كنت اروان احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي
لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا كدا الثاني وهو انه لو كان ناسيا لما
عوتب على ذلك الفعل اما من حيث العقل فلان النسيان غير قادر على العقل
فلا يكون مكلفا به لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما من حيث النقل
فلقوله عليه الصلوة والسلام رفع القلم عن ثلاث فلما عوتب عليه دل ان ذلك
لم يكن على سبيل النسيان لانا نقول اما الجواب عن الاول فهو انا لا نسلم ان
آدم وحواء قبلا من ابليس ذلك الكلام ولا صدقاه فيه لانهما لو صدقاه كانت
معصيتهما في ذلك التصديق اعظم من اكل الشجرة لان ابليس لما قال لهما ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فقد القى اليهما
سوء الظن بالله ودعاهما الى ترك التسليم لامره والرضاء بحكمه والى ان
يعتقد فيه كون ابليس ناصحا لهما وان الرب تعالى قد غشهما ولا شك ان
هذه الاشياء اعظم من اكل الشجرة فوجب ان تكون المعاتبة في ذلك اشد
وايضا كان آدم عليه السلام عالما بتمرد ابليس عن السجود وكونه مبغضا له

وحاسد الله على ما اتاه الله من النعم فكيف يجوز من العاقل ان يقبل قول عدوه
مع هذه القرائن وليس في الآية انهما اقدما على ذلك الفعل عند ذلك
الكلام او بعده ويدل على ان ادم كان عالما بعداوته قوله تعالى ان هذا
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى واما ما روي عن ابن عباس فهو اثر
مروي بآحاد فكيف يعارض القرآن وفي القرآن فنسي ولم نجد له عزما واما الجواب عن الثاني
وهو ان العتاب انما حصل على ترك التحفظ من اسباب النسيان وهذا الضرب
من السهو موضوع عن المسلمين وقد كان يجوز ان لا يواخذوا به وليس بموضع
من الانبياء لعظم خطرهم ومتلوه بقوله يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ثم قال
من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقال عليه السلام
اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فان قيل كيف يجوز ان
يؤثر عظم حالهم وعلو منزلتهم في حصول الشرط في تكليفهم دون تكليف غيرهم قلنا اما
سمعت ان حسنات الابرار سيئات المقربين ولهذا كان على النبي صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم من التشديدات في التكليف ما لم يكن على غيره ولان جفاء الحبيب
على الحبيب شديد وقال بعضهم ان الباعث على ارسال الرسل تعليم سائر الناس
وتاديبهم فالناس كما تحتاجون الى اقامة الطاعة تحتاجون الى اصلاح تقاصيرهم

بل الثانی اذ یدل من الاول فلم یصدر عن الانبیاء الا الطاعة ولم یواخذوا
بالزلات ولم یرجعوا بالتوبة والاستغفار الی الله یهمل علی غیرهم طریق اصلاح التقا
فلهذا عوتبوا علی الزلات لیعلم غیرهم ان الانبیاء مع علو منزلتهم وقربهم من الله
اخذوا بالصغائر التی صدرت عنهم نسیانا اوتاویلا ولم یستغنوا عن التوبة
والاستغفار فالواحد منا مع کثرة ذنوبه من الصغائر والکبائر وقلة طاعته وبعد
منزلته ومرتبته من الله لا بأن یشتغل طول عمره بالتوبة والندامة والبکاء
کان التوبة بمنزلة الصابون فکما ان الصابون یزیل الاوساخ الظاهرة فکذلک
التوبة تزیل الاوساخ الباطنة والعیاذ اذا رجع عن السیات واصلح عمله اصلح
الله شانه واعاد علیه نعمه الفائتة فی المثنوی ؎ چون خدا خواهد که ما یاری کند
میل ما را جانب زاری کند ؎ ای خنک چشمی که آن گریان اوست ؎ وی همایون
دل که آن بریان اوست ؎ آخر هر گریه آخر خندهٔ ایست ؎ مرد آخر بین مبارک بندهٔ ایست
باش چون دولاب نالان چشم تر ؎ تا رسی در صحن جان بروی دری ؎ وقال بعض العلماء
ان آدم علیه السلام اکل من الشجرة وقت کونه سکران کان حواء سقته الخمر حتی
سکر ثم فی اثناء السکر فعل ذلک قالوا وهذا لیس ببعید لانه علیه الصلوة والسلام
کان ماذونا له فی تناول کل الاشیاء سوی تلک الشجرة فاذا حملنا الشجر

على البركان ماذونا في تناول الخمر ولقائل ان يقول ان خمر الجنة لا يسكر
لقوله تعالى في صفة خمر الجنة لا فيها غول واما القول الثاني وهو انه عليه السلام
فعله عامدا فههنا اربعة اقوال احدها ان ذلك النهي كان نهي تنزيه لا نهي
تحريم وقد تقدم الكلام في هذا القول وعلته الثاني انه كان ذلك عمدا من
آدم عليه السلام وكان ذلك كبيرة وقد عرفت فساده بما قدمنا الثالث انه
عليه السلام فعله عمدا لكن كان معه من الوجل والفزع والاشفاق ما صيره ذلك
في حكم الصغيرة وهذا القول ايضا باطل لان المقدم على ترك الواجب او
فعل المنهي عمدا وان فعله مع الخوف الا انه يكون مع ذلك عاصيا مستحقا للذم
واللعن والخلود في النار ولا يصح وصف الانبياء عليهم السلام بذلك ولانه تعالى
وصفه بالنسيان في قوله فنسي ولم نجد له عزما وذلك ينافي العمدية القول الرابع
وهو اختيار اكثر المعتزلة انه عليه السلام اقدم على الاكل بسبب الاجتهاد اخطاء
فيه وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان اجتهاد الخطاء انه لما قيل له
ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار به الى الشخص وقد يشار به الى النوع روي
ان النبي عليه الصلوة والسلام اخذ حريرا وذهبا وقال هذان حل لاناث امتي حرام
على ذكورهم واراد به نوعهما وروي انه عليه السلام تضمأ مرة

وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به واراد نوعه فلما سمع آدم عليه السلام
قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة ظن ان النبي انما يتناول تلك الشجرة المعينة
فتركها وتناول من شجرة اخرى من ذلك النوع الا انه كان مخطئيا في ذلك
الاجتهاد لان مراد الله تعالى من كلمة هذه كان النوع لا الشخص والاجتهاد
في الفروع اذا كان خطأ لا يوجب استحقاق العذاب و اللعن لاحتمال كونه
صغيرة مغفورة كما في شرعنا وهذا القول ايضا باطل لان كلمة هذا في اصل اللغة
للاشارة الى الشئ الحاضر والشئ الحاضر لا يكون الا شيئا معينا فكلمة هذا
في اصل اللغة للاشارة الى الشئ المعين فاما اراده الاشارة بها الى النوع فذلك
على خلاف الاصل وايضا فلانه تعالى لا يجوز الاشارة عليه فوجب
ان يكون قد امر بعض الملائكة بالاشارة الى ذلك الشخص فكان ما عداه خارجا
عن النهي لا محالة اذا ثبت هذا فنقول المجتهد مكلف بحمل اللفظ على حقيقته
فآدم عليه السلام لما حمل لفظة هذا على المعين كان قد فعل الواجب ولا يجوز له
حمله على النوع قيل يمكن ان يقال في المسئلة وجه آخر وهو انه تعالى لما قال ولا تقربا
هذه الشجرة ونهاهما عن لفظ آدم عليه السلام انه يجوز لكل واحد منهما وحده
ان يقرب من الشجرة وان يتناول منها لان قوله ولا تقربا نهي لهما على الجمع لا يلزم

من حصول النهي حال الاجتماء حصوله حال الانفراد فلعل الخطاء في هذا الاجتهاد
انما وقع من هذا الوجه وقيل الاصل ان الانبياء عليهم السلام لا يجوز لهم الاجتهاد
لان الاجتهاد اقدام على العمل بالظن وذلك انما يجوز في حق من لا يتمكن
من تحصيل العلم اما الانبياء فانهم قادرون على تحصيل اليقين فوجب ان
لا يجوز لهم الاجتهاد لان الاكتفاء بالظن مع القدرة على تحصيل اليقين غير جائز عقلا
وشرعا انتهى وفيه ضعف ظاهر والحق انه عليه السلام ما ارتكب هذه الزلة
بالاجتهاد بل صدرت عنه ناسيا للنهي كما مر ان قيل اذا نسي آدم عليه السلام وفعل
ما فعل فلم اخذ وعوتب لان النسيان مرفوع عن الانسان قلت رفع النسيان
اما ان يكون مختصا بهذه الامة كما يدل عليه قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء
والنسيان وما استكرهوا عليه رواه الطبراني عن ثوبان وما كان مرفوعا
عن الامم السابقة لان المواخذة على الخطاء والنسيان لم تكن ممتنعا عقلا
فان الذنوب كالسموم فكما ان تناول السموم عمدا كان او خطاء يفضي الى الهلاك
كذلك الذنوب يفضي الى العقاب لو لم يغفرها الله وانما كان بغير عزم وتوئيده ما قال ابن عباس
كانت بنو اسرائيل اذا اذنبوا شيئا مما امروا به اوخطأ عجلت عليهم العقوبة فحرم
عليهم من مطعوم او مشروب على حسب ذلك الذنب انتهى ولهذا حرم على آدم

مطاعم الجنة ومشاربها واما ان حسنات الابرار سيئات المقربين فالخطاء
والنسيان وان كان مرفوعًا عن الانسان لا يؤاخذ بهما في الاخرة بالنار لكن الخواص
من الناس لعلو درجتهم مؤاخذون بهما وبما هو ترك الاولى والافضل لا بالنار
في الاخرة بل في الدنيا بالعتاب والهجران من المعاملات كان الشيطان لما قال
لآدم وحواء عليهما السلام ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين وقال اني لكما لمن الناصحين ادرك فيه عليه السلام ميلًا طبعيًا الى
اكل الشجرة فقرانه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال
المانع عن اكله فحمله طبعه عليه فان قيل لما كان الاكل بميلان طبعه عليه السلام
فما وجه اضافة الاخراج الى الشيطان في قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما
مما كانا فيه وفي قوله لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قلت لما
كان الانسان قادرا على الفعل والترك ومع التساوي يستحيل ان يصير مصدرا
لاحد هذين الامرين الا عند انضمام الداعي اليه والداعي عبارة في حق العبد عن علم
او ظن يكون الفعل مشتملا على مصلحة فاذا حصل ذلك العلم او الظن يسمى به
عليه كان الفعل مضافا الى ذلك السبب لاجله صار الفاعل بالقوة فاعلًا بالفعل
ولما كان الشيطان هو الموسوس الباعث على ميلان طبعه عليه السلام والمنبه على فائدة لا

ضافه لاخراجه اليه وقال قيل الوسوسة عبارة عن الكلام الخفي الذي يلقيه الشيطان
الى قلب البشر ليزين له ما هو المنكر شرعًا وابليس كافر والكافر لا يدخل الجنة
فكيف وسوس لآدم عليه السلام اقول انه منع من الدخول على وجه التكرمة كما
يدخلها الملائكة ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء او نقول ان
آدم وحواء عليهما السلام كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب
ويوسوس اليهما وقال الحسن ان ابليس كان في الارض يوسوس من الارض الى الجنة
بالقوة التي جعلها الله تعالى وهذا بعيد لان الوسوسة كلام خفي والكلام الخفي
لا يمكنه ايصاله من الارض الى السماء وقال ابو القاسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني
بل كان آدم عليه السلام وابليس في الجنة وليست تلك الجنة هي دار الثواب
وجنة الخلد بل كانت بعض من جنات الارض وحملا الاهباط في قوله تعالى
وقلنا اهبطوا على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا واحتجا
عليه بوجوه احدها ان هذه الجنة لو كانت هي دار الثواب لكانت جنت الخلد ولو كان
آدم في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك
لا يبلى لما صح قوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين فانه تعالى قد اسكن آدم جنت الخلد وملك لا يبلى فكيف لم يرد عليه ويقال له

كيف تدلني على شئ انا فيه وكيف ركن الى قول ابليس وتصيحته ولكنه لما كان
في غير دار الخلد اخرة بما اطمعه من الخلود وثانيها ان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها
لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين وثالثها ان ابليس لما امتنع من السجود لعن
فما كان يقدر مع غضب الله عليه على ان يصل الى جنت الخلد ورابعها الجنت التي
هي دار الثواب لا يفنى نعيمها لقوله تعالى اكلها دائم ولقوله تعالى واما الذين
سعدوا ففي الجنت خالدين فيها الى ان قال عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع
فهذه الجنت لو كانت هي التي دخلها آدم عليه السلام ولما تنيت لكنها تفنى لقوله تعالى
كل شئ هالك الا وجهه ولما خرج منها آدم عليه السلام لكنه خرج منها وانقطعت
تلك الراحات وخامسها انه لا يجوز في حكمته تعالى ان يبتدئ الخلق في جنة يخلدهم
فيها ولا تكليف لانه تعالى لا يعطي جزاء العاملين من ليس بعامل ولانه لا يهمل عباده
بل لا بد من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وسادسها انه لا نزاع في ان الله تعالى
خلق آدم عليه السلام في الارض ولم يذكر في هذه القصة انه نقله الى السماء ولو كان
تعالى قد نقله الى السماء لكان ذلك اولى بالذكر لان نقله من الارض الى السماء
من اعظم النعم فدل ذلك على انه لم يحصل وذلك يوجب ان المراد من الجنة التي
قال الله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة جنة اخرى غير جنت الخلد وسابعها

انه تعالى اخبر على لسان جميع رسله ان جنت الخلد انما يكون الدخول فيها
يوم القيمة ولم يات زمان دخولها بعد وثامنها انه قد وصفها الله تعالى في كتابه
بصفاتها ومحال ان يصف الله شيئا بصفة ثم يكون ذلك الشئ بغير تلك الصفة
التي وصفها به فوجدنا الله وصف الجنت التي اعدت للمتقين بانها دار المقامة
فمن دخلها اقام بها ولم يقم ادم بالجنت التي دخلها ووصفها بانها جنة الخلد
وآدم لم يخلد فيها ووصفها بانها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وامر ونهي ووصفها
بانها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان وقد ابتلى فيها ادم باعظم الابتلاء
ووصفها بانها دار لا يعصى الله فيها احد ابدا وقد عصى ادم ربه في جنة التي دخلها
ووصفها بانها بيت دار خوف ولا حزن وقد حصل لآدم فيها من الخوف والحزن
ما حصل وسماها دار السلام ولم يسلم فيها آدم من الفتنة ووصفها بانها
دار القرار ولم يستقر فيها آدم وقال الله تعالى لا يمسهم فيها نصب وقد
نال فيها آدم هابوطا وطفق يخصف ورق الجنت على نفسه وهذا هو النصب
بعينه واخبر بانه لا لغو فيها وقد سمع لغو ابليس واثمه واخبر انه لا يسمع
فيها لغوا ولا كذابا وقد سمع فيها آدم كذب ابليس وقد سماها الله تعالى
مقعد صدق وقد كذب فيها ابليس وحلف على كذبه وقد قال الله تعالى

للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ولم يقل انى جاعل فى الجنت الماوى فقالت
الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومحال ان يكون هذا فى
جنت الخلد وقاسعها انه قدروى عن النبى عليه السلام ان آدم نام فى جنت
وجنت الخلد لا ينوم فيها بالنص واجماع المسلمين فان النبى عليه السلام سئل
اينام اهل الجنت فى الجنت قال لا النوم اخو الموت والنوم وفات وقد نطق
به القران والوفات تنقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الاحوال والنائم
ميت او كالميت والجنت التى هى دار الخلد ليست موضع الموت وحاشرها
ان الله تعالى لما خلق آدم اعلمه ان لعمره اجلا ينتهى اليه وانه لم يخلقه للبقاء
كما روى الترمذى فى جامعه من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله باذنه فقال له
ربه يرحمك الله يا آدم اذهب الى ذلك الملائكة الى ملاء منهم جلوس
فقل السلام عليكم ثم رجع الى ربه فقال ان هذه تحيتك وتحيته بينك وبينهم فقال له
ويداه مقبوضتان اختر ايتهما شئت فقال اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربى
يمين مباركة ثم بسطها فاذا فيها آدم وذريته قال يا رب ما هؤلاء قال هؤلاء
ذريتك فاذا كل انسان مكتوب عمره بين عينيه فاذا رجل اضوء هم

اومن اضوءهم قال يارب من هذا قال هذا ابنك داؤد وقد كتبت له عمرا
اربعين سنة قال يارب زد فى عمره قال ذاك الذى كتبت له قال اى رب
فانى قد جعلت له من عمرى ستين سنة قال انت وذاك قال ثم اسكن الجنت
ما شاء الله ثم اهبط منها وكان آدم يعد لنفسه فاتاه ملك الموت فقال له ادم
قد عجلت قد كتب لى الف سنة قال قد جعلت لابنك داؤد ستين سنة فجحد
فجحدت ذريته ونسى فنست ذريته قال فمن يومئذ امر بالكتاب والشهود
قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روى من غير وجه عن ابى هريرة
وهذا صريح فى ان ادم لم يخلق فى دار البقاء التى لا يموت من دخلها وانما خلق
فى دار الفناء التى جعل الله لها ولسكانها اجلا معلوما فان قيل اذا كان
آدم قد علم ان له عمرا مقدرا واجلا ينتهى اليه وانه ليس من الخالدين فكيف
لم يعلم كذب ابليس فى قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وفى قوله اولتكونا من
الخالدين والجواب من وجهين احدهما ان الخلد لا يستلزم الدوام
والبقاء بل هو المكث الطويل الثانى ان ابليس لما حلف له وغره
وطمعه فى الخلود نسى ما قدر له من العمر هذه الوجوه التى ذكرت لاثبات
ان جنت آدم غير دار الخلد وكلها ضعيفة اما ضعف الوجه الاول فلان

دخول آدم فى دار الخلد لا يستلزم علمه بكونها دار الخلد ومن اين لكم ان الله
قد علمه بجميع صفاتها وأما ضعف الوجه الثانى فسيجئ انشاء الله تعالى فى تزييف
الوجه الثامن وأما ضعف الوجه الثالث فلما بينا ان ابليس منع من الدخول
الى الجنت على وجه التكرمة لا عن مطلق الدخول والصعود الى هناك صعودا
عارضا لتمام الابتلاء والامتحان الذى قدره الله تعالى وقدر اسبابه وان لم يكن
المكان مقعدا او مستقرا له كما كان وقد اخبر الله تعالى عن الشياطين انهم كانوا
قبل مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقعدون من السماء مقاعد للسمع
فيستمعون الشئ من الوحى وهذا صعود الى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون
فى المكان الذى يصعدون اليه ولا تنافى بين هذا الصعود والامر بالهبوط
وكونه ملعونا فى قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو وفى قوله ان عليك لعنتى
وأما ضعف الوجه الرابع فلان الهلاك يطلق على معان احدها العدم
بعد الوجود وثانيها خروج الشئ من الانتفاع وثالثها افتراق الاجزاء الذى هو
خروجها من الانتفاع ودوامها باعتبار بقى ذاتها فجاز ان تفترق اجزاء ثم تجتمع
من الانتفاع لحظة ثم تعاد على ما كانت وذلك كان فى هلاكها
فتكون دائمة ذاتا هالكة صورة فى آن او نقول ان اكلها

دائم ملكًا اى كلما فنى منه شئ جئ ببدله فان دوام اكل بعينه غير متصور
لانه اذا اكل فقد فنى وذلك اى دوام اكلها على سبيل البدل لا ينافى هلاكه
او نقول ان المراد هلاك كل شئ انه هالك فى حد ذاته لضعف الوجود الامكانى
فالتحق بالهالك المعدوم واما ضعف الوجه الخامس فلان ذلك الدخول
ما كان جزاء عمل بل كان تكرمًا وتفضلا من الله كما جاء فى رواية اسحق
ابن بشير وابن عساكر عن عطاء ثم قال له ربه يا آدم ادخل الجنت
تحيةً وتكرمًا والسر فى ادخال الجنت قبل العمل انه لو لم يدخل ولم يعاين
نعم الجنان يحتمل ان يختار العاجل الخسيس على الآجل النفيس ويتبع
هواه ولا يجتهد فى رعاية ما كلف به فادخل الجنت او لا ليعرف نعيم الذى
اعد له عيانا فيكون اليه اشوق وعن فوته بسوء تدبيره اقلق وذلك
لان الانسان مجبول على الاشتياق الى ما عاينه من الخيرات وراغب فيه كما
الرغبة اذ ليس الخبر كالمعاينة وتقول كم انها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وقد
كلف الله تعالى آدم بالنهى عن الاكل من تلك الشجرة بل كلف آدم عليه السلام اشد التكليف
لان السكون فى موضع تحصيل فيه ما يكون مشتهى له مع منعه من تناوله اشد التكاليف
وايضا ليس بدأ خلق آدم فى الجنت بل فى الارض كما تدل عليه النصوص وما كان

دخوله فيها لاجل الخلود والدوام لان قوله اسكن انت يدل دلالة ظاهرة
على اخراجه لانه خلق لاجل الخلافة فكان اسكانه الجنة كالمقدمة على ذلك
ولان السكون لا يدل على التمليك كما يقول احد لغيره اسكنتك داري فلا يصير
الدار ملكا له بخلاف وهبتك داري فهنا لم يقل الله وهبت منك الجنة حتى
يدل على عدم الخروج وايضا قوله لا تقربا اشعار بالخروج من الجنة وان اسكانه
فيها لا يدوم لان الخلد الدائم لا يحظر عليه شيء ولا يوصف بانه زائل وايضا ضعف الوجه
السادس فلان احتجاجكم بكون آدم خلق في الارض لا مريبا في ذلك لكن
من اين لكم انه كمل خلقته فيها وقد جاء في بعض الآثار ان الله تعالى القاه على
باب الجنة اربعين صباحا فجعل ابليس يطوف به ويقول لله ما خلقت
فلما رآه الجوف علم انه خلق لا يتمالك فقال ان سلطت عليه لاهلكته وان سلطت
علي لا عصيته فهذا ان قوله تعالى وعلم آدم الاسماء الى قوله اعلم غيب السموات والارض
يدل على انه كان في السماء معهم حيث انبأهم بتلك الاسماء والا فهم لم ينزلوا
كلهم الى الارض حتى سمعوا منه ذلك ولو كان خلقه قد كمل لم يمتنع ان يصعده
الى السماء لا مرد تبرة وقدرة ثم يعيده الى الارض فقد اصعد المسيح عليه السلام
الى السماء ثم ينزله الى الارض قبل يوم القيمة وقد اسرى بنبينا صلى الله

صلى الله عليه وسلم وروحه فوق السموات واما ضعف الوجه السابع فلان
قولكم ان الله سبحانه اخبر بلسان جميع رسله ان جنت الخلد انما يقع الدخول فيها
يوم القيمة ولم يات زمن دخولها بعد مسلم فى دخول الذى هو دخول استقرار ودوام
واما دخول العارض فيقع قبل يوم القيمة وقد دخل النبى عليه السلام الجنت
ليلة الاسرء وارواح المومنين والشهداء فى البرزخ فى الجنت وهو غير دخول الذى اخبر الله
به فى يوم القيمة فدخول الخلود انما يكون يوم القيمة لا الدخول العارض فالكلية
كاذبة والجزئية لا تثبت مدعى كم وبهذا ظهر الجواب عن استدلالكم بكونها دار الفناء
ودار الخلد كما ذكرتم فى الوجه الثامن واما ضعف الوجه الثامن ايضا فلان ما ذكر
فيه من وصول التعب والنصب والحزن لآدم واستماعه اللغو والكذب
وغيرها فهذا كله حق لا ينكره احد من اهل الاسلام ولكن امتناعه اذا دخلها
المؤمنون يوم القيمة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فان نفى ذلك مقرون
بدخول المؤمنين فهذا لا ينفى ان يكون فيها ما ذكر من وصول العرى وغيرهم
ثم يصير الامر عند دخول المؤمنين اياها الى ما اخبر الله تعالى عنه واما
قولكم انها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وقد كلف الله تعالى آدم
بالنهى عن الاكل من الشجرة فدل ذلك على ان تلك الجنة دار تكليف

لا دار خلود فجوابه من وجهين احدهما انه انما يمتنع ان يكون دار تكليف
اذا دخلها المؤمنون يوم القيمة فحينئذ ينقطع التكليف واما وقوع التكليف
فيها فى دار دنيا فلا دليل على امتناعه البتة كيف وقد ثبت عن النبى
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انه قال دخلت الجنة فرائيت
امرأة تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن انت الحديث وغير ممتنع ان
يكون فيها من يعمل بامر الله ويعبد الله قبل يوم القيمة بل هذا هو الواضح
فان من فيها الآن ما مورون باوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمى
ذلك تكليف او لم يسم الوجه الثانى ان التكليف فيها المركين بالاعمال
التى يكلف بها الناس فى الدنيا من الصيام والصلوة والجهاد ونحوها وانما
كان جزاء عليها فى شجرة واحدة من جملة اشجارها وهذا القدر لا يمتنع وقوعه
فى دار الخلد كما ان كل احد يحبى عليه ان يقرب اهل غيره فيها فان اردتم بكونها
ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها فى وقت من الاوقات
فلا دليل عليه وان اردتم ان تكاليف الدنيا منتفية عنها فهو حق ولكن
لا يدل على مطلوبكم فظهر من هذا جواب الوجه الثانى والتاسع ايضا واما ضعف
الوجه العاشر فلان علم آدم عليه السلام باجله لا ينافى ادخاله جنت الخلد

واسكانه فيها مدة قليلة كما كان لنبينا عليه الصلوة والسلام ليلة الاسرا وقال
جمهور اصحابنا ان الجنت التى اسكن فيها ادم وحواء عليهما السلام هى
دار الخلد وهو الحق عندى بوجوه احدها ان قولنا هذا هو الذى فطر الله
عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لا يخطر بقلوبهم سواه واكثرهم لا يعلم فى ذلك
نزاعا اجيب عنه بان المسئلة سمعية لا تعرف الا باخبار الرسل ونحن
وانتم انما بلغنا هذا من القرآن لا من المعقول والفطرة فالمتبع فيه ما دل عليه
كتاب الله وسنة رسول الله ونحن نطالبكم بصاحب واحد او تابع او اثر
صحيح او حسن يصرح بانها جنت الخلد التى اعدها الله للمؤمنين بعينها وان تجدوا
لذلك سبيلا وقد وجدنا كم من كلام السلف ما يدل على خلافه ولكن لما وردت
الجنت مطلقة فى هذه القصة وافقت اسم الجنة التى اعدها الله لعباده
فى اطلاقها وبعض وصافها ذهب كثير من الاوهام الى انها هى بعينها
فان اردتم بالفطرة هذا فليس بشئ وان اردتم ان الله فطر الخلق على ذلك
كما فطر الخلق على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الامور الفطرية فقد عرفت
باطلة لانا اذا رجعنا الى فطرتنا لم نجد بذلك كعلمها بوجوب الواجبات
واستحالة المستحيلات اقول هذا الجواب مردود باطل من اوله الى آخره

أما بطلان قول المجيب بأن المسئلة سمعية الى قوله ولن تجدوا لذلك سبيلا
فلما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابي العالية انه قال خلق الله آدم يوم الجمعة وادخله
الجنة يوم الجمعة فجعله في جنات الفردوس انتهى وليس هذا الا التصريح بجنت الخلد
لان جنات الفردوس ليست اسما وعلما لجنت من جنات الارض ولا لجنة فالسماء
سوى جنت الخلد بالاجماع بل لاعلى درجة منها لقوله تعالى ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون
عنها حولا ولما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انه قال لجنت مائة
درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها درجة ومنها الانهار
الاربعة فاذا سألتم الله الجنت فاسئلوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ولما روي
عن قتادة انه قال الفردوس وسط الجنت وافضلها ولما روي عن كعب انه قال ليس في الجنان
اعلى من جنت الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر واما بطلان قوله ولكن
الى قوله هي بعينها فلانه اعترف بذهاب الاذهان الى ارادة دار الخلد من
لفظة الجنت للاطلاق ولا شك فان اللفظ اذا اطلق مطلقا وتبادر الاذهان
الى فهم معنى واحد منه بعينه يكون ذلك هو المراد للافظ الا اذا دلت القرينة
على عدم ارادة اللافظ ذلك ولم نجد فيما نحن فيه قرينة عدم ارادة الله تعالى

من تلك الجنت دار الثواب بل انعقد الاجماع على ان ارادة الله من تلك الجنت
هو دار الخلد والاجماع حجة من حجج الشرع وقد صرانقا من تصريح رواية ابن
ابي حاتم عن ابي العالية فقد ثبت بالاجماع والنص الصريح ان المراد من جنت
آدم دار الخلد لا غيرها وآما بطلان قوله فان اردتم الى آخره فلما اقول من تعيين
مرادنا بالفطرة ان الله تعالى فطر الخلق على ذلك كما فطر الخلق على حسن
العدل وقبح الظلم الا ان الامور الفطرية البديهية قد يقع فيها الخفاء
بعدم الالف فلا يقدح عدم وجدان فطرة بعض المعتزلة والقدرية على
ذلك كوجدان الفطرة بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات في كون ذلك
من الفطريات فافهم وثانيهما ما روى مسلم في صحيحه من حديث ابي مالك عن
ابي حازم عن ابي هريرة وابي مالك عن ربعي عن حذيفة قالا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنت فيأتون آدم
فيقولون يا ابانا استفتح لنا الجنت فيقول وهل اخرجكم من الجنت الا خطيئة
ابيكم الحديث وهذا يدل على ان الجنت التي اخرج منها بعينها التي يطلب منه
ان يستفتحها وفي الصحيحين من حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى اخرجتنا
ونفسك من الجنت ولو كانت في الارض فهم قد خرجوا الى السماوات فلم يخرجوا

من الجنت وكذلك قول ادم للمؤمنين يوم القيمة وهل اخرجكم من الجنت الا خطيئة
ابيكم وخطيئة لم تخرج من خبائث الدنيا والجواب عنه انا ما ذكرتم انما يدل على
تاخر ادم عن الاستفتاح للخطيئة التي تقدمت منه في دار الدنيا وانه بسبب
الخطيئة حصل له الخروج من الجنت فاين في هذا ما يدل على انها جنت المأوى
بالمطابقة او التضمن والالتزام وكذا قول موسى له اخرجتنا ونفسك
من الجنت فانه عليه السلام لم يقل له اخرجتنا من جنت الخلد وقولكم انهم خرجوا
بساتين من جنس الجنت التي في الارض فاسم الجنت وان اطلق على تلك البساتين
لكن بينها وبين جنت ادم من التفاوت ما لا يعلمه الا الله وهي كالسجن بالنسبة
اليها واشتراكهما في كونهما في الارض لا ينفي تفاوتهما واعلم ان كل من
تامل في الحديث المذكور وله دخل في القواعد العلمية لحكم باليقين ان جنت
ادم بعينها الجنت المطلوبة منه استفتاحها لان لفظ الجنت معرف باللام
في الموضعين والقاعدة ان المعرفة اذا اعيدت معرفة يراد بالثانية عين
الاولى كما في قوله تعالى ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وثانيهما قال الله تعالى اهبطوا
بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فهذا يدل على ان هبوطهم
كان من الجنت الى الارض ومن وجهين احدهما ان الهبوط نزول من علو

الى اسفل والثانى ان ذكر قوله ولكم فى الارض مستقر عقيب قوله
اهبطوا يدل على انهم لم يكونوا قبل ذلك فى الارض ثم اكد هذا بقوله فى سورة
الاعراف فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ولو كانت الجنة فى
الارض لكانت حيوتهم فيها قبل الاخراج وبعده واجيب بان استدلالكم بقوله
وقلنا اهبطوا عقيب اخراجهم من الجنة لا يكون مثبتا لمدعاكم لانه لا يستلزم
النزول من السماء الى الارض وغاية ان يدل على النزول من مكان
عال الى اسفل منه وهذا غير منكر فانما كان جنة فى اعلى الارض فاهبطوا
منها الى الارض اسفل منها ومعلوم ان الامر لآدم وزوجته وعدوهما
فلو كانت الجنة فى السماء لما كان عدوهما متمكنا منها بعد اهباطه
الاول لما ابا السجود لآدم فالآية اذا من اظهر الحجج عليكم واما قوله تعالى
ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين فهذا ايضا لا يدل على انهم لم يكونوا قبل
ذلك فى الارض فان الارض اسم جنس وكانوا فى اعلاها واطيبها وافضلها
محلا لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى فاهبطوا الى الارض يعرض
فيها ذلك كله وفيها حيوتهم وموتهم وخروجهم من القبور والجنة التى اسكنوها
لم يبين هذا الخصم لا تعب ولا اذى ولا ارض التى اهبطوا اليها هى محل التعب

والصنب والازى وانواع المكاره اقول ان هذا الجواب وان كان شيئ
عند المخالفين لكنه ليس بشيئ فى الواقع لان المسئلة شرعية كما هو مسلم
عند الفريقين ولم نجد فى الكتاب ولا فى السنة ولا فى الآثار تصريحا
على ان تلك الجنت كانت فى مكان عال من الارض واما عدم تمكن ابليس
من الصعود الى السماء والدخول الى الجنت مطلقا فليس عليه دليل بل قد ثبت
بنص الكتاب صعود الشياطين الى السماء لاستراق السمع قبل مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم منع ابليس من الدخول فى الجنت على وجه التكرمة وهو لا ينفيه
المجيب فائدة ما ورد العبرانيين انه قد وصف الله تعالى جنت آدم بصفات لا تكون الا
فى جنت الخلد فقال تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها
ولا تضحى وهذا لا يكون فى الدنيا اصلا فان الرجل ولو كان فى اطيب منازلها
فلا بد ان يعرض له شئ من ذلك وقابل سبحانه تعالى بين الجوع والعرى والظمأ
والضحى وذلك احسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضحى فان الجوع
ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر فنفى
عن ساكنها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن وهذا شان ساكن
جنت الخلد واجيب بان تلك الصفات لا تكون فى الارض التى اهبطوا اليها

فمن اين لكم انها لا تكون فى الارض التى اهبطوا منها اقول هذا الجواب
مردود بما ذكرت فى رد الجواب الثالث وايضا لابد فى اثبات هذا الفرق
من دليل ولم يوجد ومجرد الاحتمال لا يكفى وخامسها انه لو كانت تلك الجنت
فى الدنيا يعلم آدم كذب ابليس فى قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى
فان آدم كان يعلم ان الدنيا منقضية فانية وان ملكها يبلى واجيب عنه
بوجهين احدهما ان اللفظ انما يدل على الخلد وهو اعم من الدوام الذى لا انقطاع
له فانه فى اللغة المكث الطويل ومنه قولهم رجل مخلد اذا سن وكبر ونظيره
اطلاقهم القديم على ما تقادم عهده وان كان له اول كما قال الله تعالى كالعرجون القديم
وثانيهما ان العلم بانقطاع الدنيا ومجئ الاخرة انما يحصل بالوحى ولم يتقدم
آدم بنبوة يعلم بها ذلك وهو وان نبأه الله واوحى اليه وانزل عليه صحفا
لكن كان ذلك بعد اهباطه الى الارض قال الله تعالى اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم
منى هدى الاية اقول وبالله التوفيق ان هذا الجواب ايضا مردود بوجوه اما الوجه
الاول فان الخلود وان كان فى اللغة عبارة عن المكث الطويل مطلقا لكن المراد
ههنا الدوام الذى لا انقطاع له لانه هو الفرد الكامل منه ولاقتضاء المقام
لان آدم عليه السلام لو فهم من قول ابليس المكث الطويل فقط لا الذى لا انقطاع له

لما اغتر بقوله كما هو عند الخصم اذ بعيد من العاقل العمل بقول العدو لفائدة
قليلة ترجع الى العدم اذ متاع الدنيا قليل كما قال الله تعالى قل متاع الدنيا
قليل وبهذا الاعتبار اختار موسى عليه السلام الموت بعد تخيره في الحياة مدة طويلة
كما لا يخفى مع انه لم يكن فيه غرور بقول العدو فلما اغتر آدم عليه السلام بقول
ابليس وطمع في الخلد كما هو عندكم علم انه فهم من الخلد المكث المقيد بقيد عدم
الانقطاع وذلك لا يتصور في الدنيا بل ذلك شان جنت المأوى واما الوجه
الثاني فلان العلم بانقطاع الدنيا ومجئ الاخرة كما يعلم بالوحي والنبوة يعلم
بكمال العقل ايضا ولهذا ذهبت المعتزلة الى ان المراد بالرسول في قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا العقل لانه هو المميز والحكم أقول بانقضاء
هذه الدار ووجود الحشر مع عدم قولهم بالسمعيات وعلمهم بالشرعيات ولا شك
ان آدم عليه السلام كان كامل العقل وعلما بجله وفنائه وآجال الناس فاذا
كان كذلك فلا يبعد ان يعتقد انقضاء الدنيا لانه عليه السلام والدنيا باسرها
سيأتي في الامكان والوجود الظلي والعقل حاكم بان ما يجوز على فرد واحد
من افراد الطبيعة من حيث الطبيعة يجوز على سائرها فلما كان عليه السلام عالما
بفنائه وفناء سائر الناس كما ذكر كيف كان معتقد العدم انقضاء الدنيا

فمع علمه بانقضاء الدنيا لا يتصور منه الطمع فى خلود نفسه الا فى دار الثواب
تامل فانه دقيق وسادسها ان الالف واللام فى لفظة الجنة فى قوله تعالى اسكن انت
وزوجك الجنت لا يفيدان العموم لان سكون جميع الجنان محال فلا بد من
صرفها الى المعهود السابق والجنت التى هى المعهودة المعلومة بين المسلمين
هى جنت الخلد فوجب صرف اللفظ اليها اجيب عن هذا بان الالف واللام
اذا دخل على لفظ الجنت لا يدلان على جنت الخلد ولا يلزم ان المراد بالجنت
فى قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنت ايضا جنت الخلد والامر
ليس كذلك اقول لفظ الجنت معرفا باللام يدل على جنت الخلد اذا لم يكن
السياق دالا على ارادة غيرها ففى قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنت
يدل السياق وهو قوله اذ اقسموا ليصرمنها الآية على ارادة غير جنت الخلد
جنت آدم وسابعها ما روى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان الله تعالى
لما اخرج آدم من الجنت زوده من ثمار الجنت وعلمه صنعة كل شئ فثماركم هذه
من ثمار الجنت غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير اجيب بان هذا الاثر لا زيادة
فيه على ما دل عليه القران الا ترى انه زوده منها وهذا لا يقتضى ان تكون جنت الخلد
ومن اين لكم ان الجنت التى اسكنها آدم كان التغير يعرض لثمارها كما

يعرض لهذه الثمار وقد ابقى الله فى هذا العالم طعام عزيز وشرابه مائة سنة لم يتغير
اقول هذا الجواب مردود بانه لما سلم المجيب كون الاثر الا على مما دل عليه
القران وقد ظهر مما سبق من الادلة ان الجنت المذكورة فى القران فى قوله تعالى
واسكن انت وزوجك الجنت هو دار الخلد لزم ان تكون الجنت المذكورة
فى هذا ايضا دار الخلد وهو المدعى والمطلوب وايضا لا نفهم ماذا اراد المجيب
بقوله ومن اين لكم الخ ان اراد بعدم التغير المفهوم من قوله المذكور عدم تغيرها فى
وقت من الاوقات كما هو المتبادر فهو ظاهر الفساد لانه يصدق على الجنت
المذكورة انها حادثة وكل حادث متغير فى وقت من الاوقات فينتج من القولين
المذكورين الجنت المذكورة متغيرة فى وقت من الاوقات وايضا لا يكون المثال
حينئذ مطابقا للممثل له وان اراد بعدم التغير المفهوم منه عدم تغيرها الى وقت
معين مثلا الى مائة سنة او الف فلا يدل الاثر عليه الى وقت ما فنقول لنا
ايضا كذلك فكيف يصح المقابلة بان هذه تغيرت وتلك لا تغير وثامنها انه تعالى
قد ضمن لادم ان تاب اليه واتاب ان يعيده اليها كما فى رواية ابن عباس رضى الله
عنهما فى قوله فتلقى ادم الخ قال يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال اى رب
الم تنفخ فى من روحك قال بلى قال اى رب الم تسكننى جنتك قال بلى قال

اى رب لم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ارئيت ان تبت و اصلحت
أراجعى انت الى الجنة قال بلى فاجيب بان ضمانه تعالى لآدم العود الى الجنت لبشرط
التوبت لاشك فيه ولكن من اين لعلم ان الضمان انما يتناول عوده الى تلك الجنت
بعينها بل اذا اعاده الى جنت الخلد فقد وفى سبحانه ضمانه حق الوفاء ولفظ العود
لا يستلزم الرجوع الى عين الحالة الاولى ولا زمانها ومكانها ولا الى
نظيرها كما فى قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها اقول المتبادر من العود
رجوع الشئ الى الحالة الاولى مما ينا سبه وأما العود فى قوله تعالى وما يكون لنا
ان نعود فيها وفى قوله او لتعودن فى ملتنا بمعنى الصيرورة مجازا من قبيل اطلاق
الملزوم على اللازم وادعاء سلم ان العود لا يستلزم الرجوع الى الحالة الاولى كما زعمه
المجيب فاقول ايضا ان الرجوع الموعود لآدم عليه السلام هو الرجوع الى الجنت
التى اخرج منها لانه عليه السلام قال وكلا اى رب لم تسكنى جنتك ثم قال ان تبت
واصلحت أراجعى انت الى الجنت قال بلى انى اعيدك اليها بهذا الشرط فالالف
واللام فى قول آدم الى الجنت لا تخلوا اما ان تكونا للجنس او لاستغراق او العهد
لا جائز ان تكونا للجنس لاجماع ولا للاستغراق لعدم وقوعه بل لعدم تصوره فلابد
من ان تكونا للعهد والمعهود المذكور هى التى اسكن فيها ثم اخرج منها فيعلم بالضرورة

انه تعالى ضمن عوده الى الجنت المخرج منها فلو كانت هى جنت من جنان الارض
لوجب دخول آدم عليه السلام فيها ثانيا بعد الاخراج لانجاز الوعد ولم يقل بهذا
احد من الناس فلا بد من دخوله فيها يوم القيمة ولا يتصور ذلك الا فى جنت الخلد
كما هو مسلم عند الفريقين فكان اخراجه بعد اسكانه ايضا منها وهو المقصود وعندى
دلائل اخرى تدل على اثبات مدعانا وبطلان مدعى الخصم قد سنحت لى اثناء
التاليف اولها هو ان جنت آدم عليه السلام لو كانت فى الارض كما زعم فثمارها
لا تخلو اما ان تكون فانية بعد خروجه عليه السلام منها او باقية اما الاول اى
كونها فانية بالسرعة بعد خروجه منها باطل للاثر المذكور لابى موسى الاشعرى
فانه دال على عدم تغيرها وفنائها واما الثانى وهو كونها باقية على الارض
فهى اما ان تكون منها ايضا باطل والا لزم ان تكون لانتفاعنا لقوله تعالى هو الذى خلق
لكم ما فى الارض جميعا لانه دال على ان جميع ما فى الارض منها لانتفاعنا
والجنت المذكورة ايضا مما فى الارض فتكون لانتفاعنا ولم يثبت ان واحدا
من اولاد آدم عليه السلام انتفع بتلك الجنت فيصدق على تلك الجنت وثمارها خصوصا
على شجرة المنهى عنها وامثالها من نوعها انها ما خلق لاجلنا نعم بل خلق بعضها
لاضرارنا بينا وبعضها مهملة وهذا نيا فى صدق القضية الموجبة الكلية المفهومة

من قوله خلق لكم ما فى الارض جميعا فثبت من هذا ان جنت آدم عليه السلام
ما كانت فى الارض بل كانت هى جنت المأوى وقائلون بان قوله تعالى واذ قال ربك
للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت
فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس الى ان
يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما منعك ان لا تكون من الساجدين قال
لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم
وان عليك اللعنة الى يوم الدين يدل دلالة ظاهرة على ان ادم عليه السلام
كان فى جنت الخلد لان ظاهر الآية يدل على انه تعالى كما نفخ الروح فى آدم عليه السلام
وجب على الملائكة ان يسجدوا له لان قوله فاذا سويته ونفخت فيه من
روحى فقعوا له ساجدين مذكور بقاء التعقيب وذلك يمنع من التراخى وعلق له
فسجد الملائكة كلهم اجمعون توكيد بعد توكيد ولو اكتفى بقوله فسجد الملائكة
احتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظاهر يقتضى باسرهم سجدوا
ثم بعد هذا بقى احتمال آخر وهو انهم سجدوا دفعة واحدة وما يثبت تخصيصهم الى الارض
بتمامهم ثبت كون ادم عليه السلام فى السماء وقت السجود له ولا يجوز ان يكون
آدم فى الارض ويسجد له الملائكة فى السماوات وفوقها لان السجود لا يجوز

في موضع لا يكون المسجود له فيه موجودا كما يفهم من قوله تعالى فاين ما تولوا فثم وجه الله
وايضا قوله تعالى يا ابليس ما منعك ان تكون مع الساجدين وجواب ابليس
بقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وامر الله تعالى اليه
بقوله فاخرج منها فانك رجيم مشعر بان ابليس ابى من السجود الى ادم حال كونه في
جنت الخلد لان الضمير في قوله فاخرج منها راجع الى دار الخلد فكما ابى ابليس
من السجود قال له يا ابليس ما منعك فبعد جواب ابليس بقوله لم اكن لاسجد لبشر
خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال الله تعالى له فاخرج منها فانك رجيم فاذا
ثبت كون ابليس في جنت الخلد وقت الاباء عن السجود لا بد ان يكون ادم عليه السلام
ايضا فيه لما ذكرنا وقالت الشيعة ان ما مر في محاجة آدم وموسى عليهما السلام من قول
موسى لآدم واسكنك في جنة يدل على ان جنت آدم هي دار الخلد لان اضافة
الجنت الى الضمير الراجع الى الله تعالى للاختصاص فمعنى قول موسى اسكنك الله تعالى جنت
المختصة له تعالى وانعقد الاجماع باختصاص جنت الخلد لله تعالى فعلم
من هذا ان ادم كان ساكنا في دار الخلد ثم اخرج منها وهو المطلوب ومن هنا
علم ان قول المخالف ابعد من العقل واغرق في الوهم كما هذيانات والخرافات
التي تناقلها المفسرون مثل قولهم بانه كان لعاد ابنان شداد

وشديد ملكا بعده وقهر البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد
فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع يوما ذكر
الجنت وصفتها فدعت نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا روى وهب بن
منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير
فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحولى الحصن
قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا
فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من الباب فاذا هى ببابين عظيمين
وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا
هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف
غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللؤلؤ والياقوت واذا ابواب تلك
القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها وهى مفروشة كلها باللؤلؤ
وينادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى
الارفة فاذا فى تلك الارفة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار مطردة يجرى
ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنت وحمل معه من لؤلؤ
ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه

وحدث بما راى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك
فقص عليه ما راى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحق
هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد
ابن عاد قال محمد ثني حديثها فقال لما اراد شداد بن عاد عملها امر عليها مائة
قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارضات يمدوهم
بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يبشرون في الارض ليجدوا ارضا
موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا
هذه الارض التي امر الملك ان نبني فيها فوضعوا اساسها الجزع اليماني
واقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد
فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند
كل قصر الف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وامر الملك وزرائه
وهم الف وزير ان يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله
في جهازهم عشر سنين ثم سار وا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة
بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم
احد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على

حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التقت فابصر عبد الله بن قلابة
فقال هذا والله ذلك الرجل انه ترى فهولاء لم ينظروا الى ان هذه المدينة لم يسمع
لها خبر من يومئذ فى شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التى زعموا انها بنيت
فيها فى وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا ولم يبن [illegible]
احد من اخبار يبين ولا من كلام وايضا يفهم من كلامهم انها موجودة الى الآن
فيرد عليهم بعض ما يرد على ابى مسلم واتباعه وقول القصاص ان ابليس دخل الجنت
فى فم الحية لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما اراد ابليس ان يدخل
الجنت منعته الخزنة فاتى الحية وهى وابنه لها اربع قوائم كالها البختية
وهى كاحسن الدواب بعد ما عرض نفسه على سائر الحيوانات فما قبله واحد منها
فاتبعته الحية وادخلته الجنت خفية من الخزنة فلما دخلت الحية الجنت خرج
ابليس من فمها واشتغل بالوسوسة فلاجرم لعنت الحية وسقطت قوائمها وصارت
تمشى على بطنها وجعل رزقها فى التراب وعدو لبنى آدم ان هذا وامثاله
مما لا يجب ان يلتفت اليه لان ابليس لو قدر على الدخول فى فم الحية فلم يقدر
على ان يجعل نفسه حية ثم يدخل الجنت ولانه لما فعل ذلك بالحية فلم عوقب الحية
مع انها ليست بعاقلة ولا مكلفة فافهم فانه موضع تامل واما كيفية الوسوسة فهى

بان ابليس لما دخل الجنت قال لآدم وحواء عليهما السلام ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فلم يقبلا ذلك منه فلما ايس من ذلك
عدل الى اليمين على ما قال وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فلم يصدقاه
ايضا ثم بعد ذلك عدل الى شئ آخر وهو انه شغلهما باستقاء اللذات المباحة
حتى صارا مستغرقين فيه فحصل بسبب استغراقهما فيه نسيان النهى فعند ذلك حصل
ما حصل والله اعلم بحقائق الامور

الفصل الثانى فى شان ابينا نوح عليه السلام

اعلم ان الطاعنين فى عصمت الانبياء تمسكوا على عدم عصمة بابينا احدها قوله
تعالى قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات الآية بان هذه الآية تدل على صدور الذنب عنه عليه السلام من وجوه
اولها انه دعا على قومه بالهلاك كلهم وفيه استيصال واهلاك نسلهم وهو فعل
منكر وفساد عظيم كما فى الجزء لما خلق الله تعالى اسباب المعيشت جعل البركة فى التحرث
والنسل فالهلاك هما غايت الافساد انتهى مع احتمال ان يولد فيهم من يومن
بالله والمرتكب للفعل المنكر مذنب وثانيها ان المباعث على دعائه عليهم تخليص
نفسه عن اذاياهم ودفع غضبه بالاهلاك وفيه اتباع النفس واتباع النفس حرام

والمرتكب للحرام مذنب وثالثها انه عليه السلام لم يصبر على اذى القوم مع
ان الصبر واجب على الانبياء وتارك الواجب مذنب ورابعها انه استغفر
عقيب الدعاء كما قال رب اغفر لي ولوالدي والمستغفر مخبر عن كونه فاعلا للذنب
فان كذب في ذلك الاخبار فهو مذنب بالكذب وان صدق فيه فهو المطلوب
انه مذنب فعلى كلا التقديرين لا يخلو عن الذنب وخامسها انه حكم على الله
فيما لم يعرفه كما قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا والحكم على الله من غير علم ذنب
والجواب عن تمسكهم اما عن الوجه الاول فان نوحا عليه السلام ما عرف بالنص
والاستقراء انهم لا يلدوا الا فاجرا كفارا اما النص فقوله تعالى اوحي الى
نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واما الاستقراء
فهو انه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طبايعهم وجربهم وكان
الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابا وصاني
بمثل هذه الوصية فيموت الكبير ونيشأ الصغير على ذلك علم قطعا ويقينا
ان الخير كله مقطوع عنهم لا يطمع في ايمانهم اصلا فحياتهم مضرة محضة لا فائدة
فيها فالاولى هلاكهم لتتخلص الارض عن الفساد وليكون الدين كله لله فلذلك
هذا دعا عليهم بالهلاك والاستيصال للنسل وهو لا يكون افسادا وفعلا منكرا

مطلقا بل اذا كان لا لغرض صحيح ودعائه عليهم رحمة بهم خوفا ان يشتد عليهم
غضب الله عز وجل اكثر مما كانوا فيه ولذا امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان
يقول احدنا اذا فات من وقوعه في فتنة اللهم توفني اذا كان الوفات خيرا لي
فعلم ان دعائه عليهم لم يكن لاجل اتباع النفس حاشا الانبياء عن ذلك وبما ذكرنا
ظهر الجواب عن الوجه الثاني والخامس ايضا قال الشيخ محي الدين قدس سره
من قوله ليست دعوة نوح التي يعتذر منها يوم القيمة قوله لا تذر على الارض
من الكافرين دارا انما هو قوله انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا
كفارا لكونه تحكم على الله فيما لم يعرفه لا يليق بعلو شانه تامل فان قيل لما كان
دعائه عليهم بالوحي فما الفائدة في اخباره عند علام الغيوب بقوله انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قلت الاخبار اظهار
الشكوى اليه تعالى كما قال الله تعالى حكاية عن ام مريم رب اني وضعتها انثى
اظهار للتحسر فان قيل ان المكلفين من قومه كفار فكذبوه وخربوه وآذوا
باانواع الايذاء فهم مصرف العقاب والعذاب واما صبيانهم فلا جرم عليهم فلا
عذبوا مع عدم صدور الذنب عنهم قلت في الجواب ما على قول من قال ان الله
يبيس اصلاب جالهم وارحام نسائهم قبل الطوفان بادبعين سنة او سبعين

سنة فلا اشكال لعدم وجود الصبيان فيهم ويؤيد هذا قوله تعالى واستغفروا
ربكم الى قوله ويمددكم باموال وبنين فانه يدل بحسب المفهوم على انهم اذا لم يستغفروا
فانه تعالى لا يمدهم بالبنين واما على قول من قال بوجود الصبيان فيهم كما مر فلا اشكال
وارد فجوابه ان صبيانهم لم يغرقوا على وجه العقاب والعذاب بل كما يموتون بالغرق
والحرق وكان ذلك زيادة فى تعذيب الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم
يغرقون والجواب المشافى عن هذا ان الله سبحانه وتعالى متصرف فى خلقه وهو المالك
المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واما الجواب
عن الوجه الثالث فانا لا نسلم عدم صبر نوح عليه السلام بل هو صابر كما قال الله تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا شك ان نوحا
عليه السلام اول رسول من اولوا العزم لان قومه آذوه بانواع الايذاء من الضرب
والتكذيب ونسبة الجنون اليه من اول البعثة الى وقت الطوفان
كما روى ان الله تعالى ارسل نوحا الى قومه فجاءهم يوم عيدهم وكانوا يعبدون
الاصنام ويشربون الخمور ويواقعون النساء كالبهائم من غير ستر فناداهم
بصوت عال ودعاهم الى التوحيد ففزعوا ثم نسبوه الى الجنون وضربوه انتهى
وقال الله تعالى فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا الآية

وروى عن النبي عليه السلام انه قال ان نوحا كان اذا جادل قومه ضربوه حتى
يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون انتهى وقد ثبت كثرة
مجادلته مع قومه كما قال الله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا الآية وقال ابن
عباس رضي الله عنهما بعث نوح على رأس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين انتهى
فعلم مما سمعت انه عليه السلام جادل مع قومه من وقت المبعث الى وقت الطوفان وهو اذاهم
بانواع الايذاء وهو صبر على ذلك في تلك المدة الطويلة فانظر الى اذاه اي نبي
من الانبياء قد صبر على ايذاء قومه الف سنة الا خمسين عاما سواه ولما
اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
اي لا تحزن حزن يأس مستكين ولا تغتم بما يتعاطون من التكذيب والايذاء من الله
في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحسابات وقت الانتقام منهم موجود
ايماء الى ان يدعو عليهم بالاهلاك ولا فالانبياء كلهم صابرون حاملون
للايذاء كما في المثنوي ؎ نا حملي انبيا را مردان ٭ ورنه حمال است
بدر احلم شان ٭ طبع را كشتند در حمل بدي ٭ نا حملي كربود هست ايزدي ٭
واما الجواب عن الوجه الرابع فهو انه عليه السلام استغفر للمؤمنين والمؤمنات

الا انه ادخل نفسه معهم فى الاستغفار تبركا كما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات مع انه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وثانيها اى ثانى الامور قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى
وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب
انى اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لى به علم وان لا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين
بان هذه الآية انه تدل على صدور الذنب عن نوح عليه السلام من وجوه الاول
ان قرأت عمل بالرفع والتنوين قراءة متواترة وهى محكمة وهذا يقتضى عود الضمير
فى قوله انه عمل غير صالح اما الى ابن نوح واما الى ذلك السوال فالقول بانه عائد الى
ابن نوح عليه السلام لا يتم الا باضمار وهو خلاف الظاهر ولا يجوز المصير اليه عند
الضرورة ولا ضرورة ههنا لانا اذا حكمنا بعود الضمير الى السوال المتقدم استغنينا
عن هذا المضمر فثبت ان هذا الضمير عائد الى هذا السوال فكان التقدير ان هذا السوال
عمل غير صالح اى قولك ان ابنى من اهلى لطلب نجاته عمل غير صالح وذلك يدل
على ان هذا السوال كان ذنبا ومعصية الثانى ان قوله فلا تسئلن نهى له عن السوال
والمذكور السابق هو قوله ان ابنى من اهلى فدل هذا على انه تعالى نهاه عن ذلك

السوال فكان ذلك السوال ذنبا ومعصية الثالث ان قوله فلا تسئلن ما ليس
لك به علم يدل على ان ذلك السوال كان قد صدر لا عن العلم والقول بغير العلم
ذنب لقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون الرابع ان قوله تعالى انى اعظك
ان تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السوال كان محض الجهل وهذا يدل
على غاية التقريع وهابت الزجر وايضا جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور فى القران
قال تعالى يعلمون السوء بجهالة وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام عوذ
بالله ان اكون من الجاهلين الوجه الخامس ان نوحا عليه السلام اعترف باقدامه
على الذنب والمعصية فى هذا المقام فانه قال انى اعوذ بك ان اسئلك ما ليس
لى به علم وان لا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين واعترافه بذلك يدل
على انه كان مذنبا الوجه السادس ان هذه الاية تدل على ان نوحا نادى ربه
لتطلب تخليص ولده من الغرق والاية المتقدمة فى القران وهى قوله ونادى
نوح ابنه وقال يا بنى اركب معنا تدل على انه عليه السلام طلب ابنه لما وفقته
فنقول اما ان يقال ان طلب هذا المعنى من الله كان سابقا على طلبه الموافقة
من الولد او كان بالعكس والاول باطل لان بتقديران يكون طلب هذا المعنى
من الله سابقا على طلبه من الدين لكان قد سمع من الله تعالى انه لا يخلص ذلك

الابن من الغرق وانه تعالى نهاه عن ذلك الطلب وبعد هذا كيف قال له يا بني
اركب معنا ولا تكن مع الكافرين واما ان قلنا ان هذا الطلب من الابن كان
متقدما فكان قد سمع من الابن قوله سآوي الى جبل يعصمني من الماء وظهر بذلك
كفره فكيف طلب من الله تخليصه فهذه الآية من الوجوه الستة تدل على صدور الذنب
والمعصية من نوح عليه السلام والجواب على وجه الاجمال انه لما دلت الدلائل القاطعة
على وجوب تنزيه الله تعالى الانبياء عليهم السلام من المعاصي والذنوب وجب حمل هذه الى
المذكورة على ترك الافضل والاكمل وحسنات الابرار سيئات المقربين فبهذا السبب
حصل هذا العتاب والامر بالاستغفار لا يدل على سابقية الذنب كما قال الله تعالى
اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد
ربك واستغفره انه كان توابا ومعلوم ان مجئ النصر والفتح ودخول الناس في دين الله
افواجا ليست بذنب يوجب الاستغفار وقال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات وليس جميعهم مذنبين فدل ذلك على ان الاستغفار قد يكون بترك
الافضل واما على وجه التفصيل فاقول اما اولا فلان العمل ههنا يمنع الكسب
والفعل فلا يبعد ان يكون المعنى انه كسب غير صالح من غير احتياج الى تقدير
مضاف وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسبا كما قال عليه السلام ان اطيب

مما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه واما ثانيا فلان الضمير في قوله تعالى
انه عمل غير صالح راجع الى ابن نوح عليه السلام فجعل ذاته ذات العمل كان الرجل
اذا اكثر عمله وكرمه يقال انه عمل وكرم مبالغة وقد كثر في كلام العرب اطلاق
العمل على الشيء ومنه قول الخنساء اخت صخر تصف ناقة فقدت ولدها فجزعت وموت
اوند ترعى اذا غفلت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار * وعلى
كلا الوجهين لا حاجة الى الاضمار وقد اعجبتني حماقة فرقة الطاعنة الطاعنة
انهم يجوزون ويجوزون من الاضمار لكونه خلاف الظاهر مع كثرته وقوعه
في كلام الله وكلام العرب ولا يبالون عن انتساب الذنوب الى الانبياء
عليهم السلام مع كثرة الدلائل القطعية والبراهين اليقينية على عصمتهم
كما مر في الباب الاول عافانا الله عن هذه العقيدة الشنعية وامثالها واما
قولهم ولا يجوز المصير اليه الا عند الضرورة ولا ضرورة ههنا فغير صحيح ايضا لوجود الضرورة
الايمانية كما يقتضيه الايمان الكامل الا عند من ليس له نصيب من الايمان
واعلم انه تعالى قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح عليه السلام
بظاهر اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك
في وعد الله تعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب والاولى لمن ليس كذلك ان يسكت لانه تعالى

استثنى من اهله من سبق عليه القول فقد دل له على الحال واستغناه عن السوال
لان الاستثناء دال على ان في اهله من هو غير ناج ولكنه لما شارف ولده الغرق
اشتبه عليه الامر واختلج في قلبه ان ابنه من المستثنى منهم لا من المستثنين
بسبب نفاق ولده وعدم ظهور الكفر عنه او بسبب لشفقة المغرطة التي تكون للاب
في حق الابن فاقدم على السوال فنهاه الله تعالى عنه واخبره بان ابنه منافق
ليس من اهل دينه الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح
واعلمه الله بانه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم ولا يقضي على نوح
عليه السلام بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسوال فيما لم يوذن
له فيه والنهي عنه فالزلة الصادرة عن نوح عليه السلام هي عدم استقصائه في
تعرف ما يدل على نفاق ابنه وكفره بل اجتهد في ذلك وكان يظن انه مؤمن
مع ان الخطاء في ذلك الاجتهاد لانه كان كافرا فلم يصدر عنه الا الخطاء في
هذا الاجتهاد وهو ليس بذنب الا انه لما كانت حسنات الابرار سيات المقربين
عاتبه الله تعالى على سواله ما ليس له به علم وسمى سؤاله جهلا زجرا بقوله اني اعظك
ان تكون من الجاهلين فاشفق من اقدامه على السوال المذكور وخاف من ذلك
الهلاك فلجاء الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسئله المغفرة والرحمة

فقال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم وان لا تغفر لي وترحمني
اكن من الخاسرين لما ذكرنا من ان حسنات الابرار سيئات المقربين وجاز
ان يكون طلب هذا المحذور من الله بعد طلبه من الابن وبعد استماع قوله سآوي الى
جبل يعصمني من الماء ولا يدل هذا القول على كفر ابنه لجواز ان يكون امتناعه من اكل
لكراهة الاحتباس في السفينة وظنه ان الصعود على الجبل يجري مجرى الركوب
في السفينة في انه يصونه من الغرق فان قيل ان قول نوح عليه السلام لابنه لا عاصم
اليوم الا من رحم يدل على انه علم من ابنه الكفر فكيف طلب من الله نجاة ابنه
الكافر قلت ان هذا القول لا يدل على علمه بكفر ابنه لجواز ان يقرر عند ابنه انه
لا ينفعه الا الايمان والعمل الصالح وقصد هذه الحالة لانه قد بقي في قلبه ظن ان
ذلك الابن مؤمن فنادى ربه طالبا منه ان يخلصه بطريق من الطرق اما بان
يمكنه من الدخول في السفينة واما بان يحفظه على قلة جبل فعند ذلك اخبر الله
تعالى بان ابنه منافق وكانت امة نوح عليه السلام على ثلثة اقسام كافر
لظهر كفره ومؤمن يعلم ايمانه ومنافق مستور حاله وقد كان حكم المؤمنين النجاة
وحكم الكافرين هو الغرق وكان ذلك معلوما واما اهل النفاق فبقي حكمه مخفيا
وكان ابن نوح عليه السلام منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمنا وكانت الشفقة الغير

التي تكون من الاب على الابن تحمله على الوجوه الصحيحة لا على كونه كافرا
فلما رأته بمعزل عن القوم طلب منه ركوب السفينة سأوي الى جبل هذا وانه فع
للتحقيق ايضا ما قيل ان نوح عليه السلام لما قال ربّ لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا كيف احب نجاة ابنه الكافر فلما بينا انه عليه السلام لم يعلم بكفر ابنه ولولا ذلك
ما احب نجاته فان قيل لما ثبت ان طلب هذا المعنى من الله كان بعد طلبه عن ابنه
وبعد استماع قوله سأوي الى جبل وبعد جوابه عليه السلام لا عاصم اليوم
من امر الله الا من رحم والحال ان بعد هذه المكالمة قد اغرق ابنه لقوله تعالى
وحال بينهما الموج فكان من المغرقين فما الفائدة في السؤال من الله تعالى
بعد هلاك ابنه قلت جاز انه عليه السلام اراد بالسؤال من الله تخليص ابنه
ولم يعلم هلاكه لحيلولة الموج بينهما وايضا جاز ان تكون فائدة السؤال من الله
بعد هلاك ابنه طلب الحكمة في عدم نجاة ابنه مع انه تعالى قد وعده
بان ينجيني اهله وجاز ان يكون طلب هذا المعنى من الله سابقا على طلبه عن الولد
الا انه عليه السلام امر ابنه بالركوب بعد استماعه قوله تعالى انه ليس من اهلك
بناء على ظن ان الابن لما شاهد سبب الغرق والاهوال بعظمته جاز له
ان يعرض عن الكفر ويقبل الايمان فصار امره بالركوب في الحقيقة امر الله

بالایمان ومجانبة الکفر والاشتراک مع الکفار فی الکفر والضلال والنجاة
مع المؤمنین بدخوله محل النجاة لان الایمان سبب لترکب فی السفینة ولکنه
لما کان من الکافرین ما قبل قول ابیه بل دفعه بالعنف والخشونة کما فی المثنوی
* همچو کنعان کاشنا میکرد او * که نخواهم کشتی نوح عدو * هین بیا در کشتی با ما نشین *
تا نگردی غرق طوفان همین * گفت نی من آشنا آموختم * من بجز شمع تو شمع افروختم *
هین مکن کین موج طوفان بلاست * دست وپای آشنا امروز لاست باد و صرصر
بهر شمع کشت حز که شمع خویش پایدش گفت میرفتم بران کوه بلند * عاصم است انگه
مرا از هر گزند * هین مکن که کوه کاه است این زمان * حز حبیب خویش را ند هد امان *
گفت من گر بند تو بشنوده ام * که طمع کردی که من زین دوده ام * خوش نیامد گفت تو
هرگز مرا نمیری ای از تو در هر دو سرا * این دم سرد تو در گوشم نرفت * خاصه اکنون
که شدم دانا و رفت * گفت با با چه زیان دارد اگر * بشنوی یکبار تو پند پدر *
هم چنین میگفت او پند لطیف * همچنان میگفت او دفع عنیف * نی پدر از
نصح کنعان سیر شد * نی دمی در گوش آن ادبیر شد * اندرین گفتن بدندو موج تیز *
بر سر کنعان زد و شد دیز دیز * وثالثتها قوله تعالی قالوا یا نوح قد جادلتنا
فاکثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان کنت من الصادقین قال انما یأتیکم

به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان
كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون بان هذه الآية تدل على صدق الذنب
عن نوح عليه السلام من وجوه الاول انه جزم الاغواء على الله والثاني انه قال
بالجبر والقول بالجبر ذنب عظيم ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان
من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجية والقدرية انتهى ولا شك ان
المرجية هم الجبرية القائلون بعدم اختيار العبد في افعاله ويقولون ان اضافة
الفعل الى العبد كاضافة الفعل الى الجماد وثالثها ان في قوله المذكور تسلية للكفار واتراك
حجتهم على الانبياء بانه لا يكون الا ما شاء الله فاذا كان كفرهم باغواء الله ومشيته
فهم لا يقدرون على فعل هو خلاف مشيته الله فصاروا معذورين في عدم ايمانهم و
قد رد الله حجتهم هذه بوجوه كثيرة كما قال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما
اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا
بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا
تخرصون والقول بما هو مردود عند الله ذنب عظيم والجواب انه عليه السلام
قال لا ينفعكم نصحي الخ ردا على قومه وانكارا عليهم لان اولئك الكفار كانوا
جبرية وكانوا يقولون ان كفرهم باراده الله تعالى فعند ذلك قال نوح عليه

الكانت الامر كما قلتم فاذا لا ينفعكم نصحي مثاله ان يعاقب الرجل ولده على ذنبه
فيقول له لو كنت اقدر على غير ما انا عليه فيقول الوالد فلن ينفعك اذا نصحي ولا زجري
وليس المراد انه يصدقه على ما ذكره بل يقول على وجه الانكار لذلك والدليل
على هذا المراد انه عليه السلام ارسل لتعليم الكفار وادأة طريق الحق لهم وهجا
معهم فيه فلو كان لا مجال لزعم الطاعن لصار نوح منقطعا في مناظرتهم لانهم يقولون
له في ذلك انك سلمت ان الله اذا اعوانا فانه لا يبقى في نصحك ولا في جدنا
واجتهادنا فائدة واذا ادعيت بأن الله تعالى اعوانا فقد جعلتنا معذورين
فلم يلزمنا قبول بذه الدعوة ومعلوم ان نوحا عليه السلام لا يجوز ان يذكر كلاما
يصير به مفحما لزما عاجزا عن تقرير حجة الله عليهم فقد علم مما ذكرنا ان نوحا عليه السلام
ما صدر عن ذنب سوى زلة واحدة التي يعتذر عنها يوم القيمة كما يدل عليها
حديث الشفاعة وتلك الزلة عبارة عن قوله رب ان ابني من اهلي وان
وعدك الحق وانت احكم الحاكمين **الفصل الثالث في شان سيدنا ابراهيم**
عليه السلام انه تمسك الطاعنون في عصمت الانبياء على عدم عصمة عليه السلام
بامور احدها قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب
الافلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن

من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت
قال يا قوم اني برئ مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين بانه عليه السلام قال بربوبية الشمس والقمر
والكواكب وهو ذنب عظيم اعلم اولا انه اختلف المفسرون فمنهم من قال انه عليه السلام
قال هذا القول حال كونه في الغار قبل مخالطته مع قومه ومنهم من قال انه عليه السلام
قال هذا القول عند قومه بعد مخالطته معهم ثم اختلفوا فمنهم من قال ان غرضه من
هذا القول تحصيل المعرفة لنفسه ومنهم من قال ان الغرض منه الزام القوم والجاءهم
الى التوحيد ثم اختلفوا القائلون بالقول الاول من الاختلاف الثاني فمنهم
قائلون بان هذا كان قبل البلوغ ومنهم قائلون بانه كان بعد البلوغ وجريان
قلم التكليف عليه واتفق اكثر المحققين على فساده واحتجوا عليه بحجج **الحجة الاولى**
ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر غير جائز على الانبياء بالاجماع
وبالبراهين التي ذكرناها في الباب الاول **الحجة الثانية** ان ابراهيم
عليه السلام كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة والدليل على صحة ما ذكرناه
ان تعالى اخبر عنه انه قال قبل هذه الواقعة لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة
اني اريك وقومك في ضلال مبين **الحجة الثالث** انه تعالى حكى عنه

انه دعى على اباه الى التوحيد وترك عبادت الاصنام بالرفق حيث قال يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً وفى هذه الواقعة انه دعى اباه الى التوحيد
وترك عبادت الاصنام بالكلام الخشن واللفظ الموحش ومن المعلوم ان
من دعا غيره الى الله تعالى فانه يقدم الرفق على العنف واللين على الغلظ ولا تجوز
فى التعنيف والتغليظ الا بعد المدة المديدة واليأس التام فدل هذا
على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان دعى اباه الى التوحيد مرارا واطوارا
ولا شك انه انما اشتغل بدعوة ابيه بعد فراغه من مهم نفسه فثبت ان هذه
الواقعة انما وقعت بعد ان عرف الله بمدة **الحجة الرابعة** ان هذه الواقعة
انما وقعت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض حتى يرأى من فوق
العرش والكرسى وما تحتهما الى ما تحت الثرى ومكان منصبه فى الدين
كذلك وعلمه بالله كذلك كيف يليق به ان يعتقد الهية الكواكب **الحجة الخامسة**
ان كلائل الحدوث فى الافلاك ظاهرة من خمسة عشر وجها او اكثر ومع
هذه الوجوه الظاهرة كيف يليق بأقل العقلاء بضيا من العقل والفهم ان
يقول بربوبية الكواكب فضلا عن اعقل العقلاء واعلم العلماء **الحجة السادسة**
انه تعالى قال فى صفة ابراهيم عليه السلام اذ جاء ربه بقلب سليم واقل مراتب القلب السليم

ان يكون سليما عن الكفر وايضا مدحه فقال ولقد اتينا ابراهيم رشده
من قبل وكنا به عالمين اى اتيناه رشده من قبل من اول زمان الفكرة
وقوله وكنا به عالمين اى بطهارته وكماله ونظيره قوله تعالى الله اعلم
حيث يجعل رسالته **الحجة السابعة** قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين اى وليكون بسبب تلك
الرؤية من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضى الترتيب
فثبت ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابراهيم من الموقنين العارفين به
الحجة الثامنة ان هذه الواقعة انما حصلت بسبب مناظرة
ابراهيم عليه السلام مع قومه والدليل عليه انه تعالى لما ذكر هذه القصة قال و
تلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه فعلم ان هذه المباحثة
انما جرت مع قومه لاجل ان يرشدهم الى الايمان والتوحيد لا لاجل ان
ابراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه ومن هذا ظهر ضعف ما قالوا
ان ابراهيم عليه السلام انما اشتغل بالنظر فى الكواكب والقمر والشمس حال كونه
فى الغار كما ذهب اليه اكثر المفسرين وذكروا ان ملك ذلك الزمان
رأى رؤيا وعبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه فى ملكه فامر ذلك

الملك يذبح كل غلام يولد فحملت ام ابراهيم به ولما اظهرت حبلها للناس
فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف فى جبل ووضعت ابراهيم وسدت الباب
بحجر فجاء جبرئيل عليه السلام ووضع اصبعه فى فمه فمصه فخرج منه رزقه وكان
يتعهده جبرئيل عليه السلام فكانت الام تأتيه احيانا وترضعه وبقى على هذه
الصفة حتى كبر وعقل وعرف ان له ربا فسئل الام فقال لها من ربى فقالت
انا فقال ومن ربك فقالت ابوك فقال للاب ومن ربك فقال ملك
البلد فعرف ابراهيم عليه السلام جهلها بربهما فنظر من باب ذلك الغار
ليرى شيئا يستدل به على وجود الرب سبحانه فرأى النجم الذى هو اضوء النجوم
فى السماء فقال هذا ربى الى آخر القصة لانه لو كان الامر كذلك فكيف يقول
يا قوم انى برئ مما تشركون معه انه ما كان فى الغار قوم ولا ضم ولانه تعالى
قال وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وكيف يحاجونه وهم بعد ما رأوه
وهو ما رآهم وهذا يدل على انه عليه السلام انما اشتغل بالنظر فى الكواكب
والقمر والشمس بعد ان خالطه قومه ورأى انهم يعبدون الاصنام ويدعونه الى
عبادتها فذكر قوله لاحب الآفلين ردا عليهم وتنبيها لهم على فساد قولهم ولانه تعالى
حكى عنه انه قال للقوم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله

وهذا يدل على ان القوم كانوا خوفوه بالاصنام كما حكى عن قوم هود عليه السلام
انهم قالوا له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ومعلوم ان هذا الكلام
لا يليق بالعاقل وقد دلت الدلائل المذكورة على ان هذه المناظرة انما جرت
لابراهيم عليه السلام وقت اشتغاله بدعوة القوم الى التوحيد فاندفع القول
الاول من الاختلاف الثالث كما قيل انه تعالى كان قد خص ابراهيم ع
بالعقل الكامل والقريحة الصافية فخطر بباله قبل بلوغه اثبات الصانع
سبحانه فتفكر فرأى النجم فقال هذا ربي فلما شاهد حركته قال لا احب الآفلين
ثم انه تعالى اكمل بلوغه في اثناء هذا البحث فقال في الحال اني بريء مما تشركون
وهذا الاحتمال وان كان مما لا باس به لكن ما ذكرناه من الحجج تأباه فتعين
انه عليه السلام قال هذا القول بعد بلوغه لكن ليس غرضه من اثبات ربوبية
الكواكب بل الغرض منه احد امور سبعة **الاول** ان يقال ان ابراهيم
عليه السلام لم يقل هذا ربي على سبيل الاخبار بل الغرض منه انه كان يناظر
عبدة الكواكب وكان مذهبهم ان الكواكب ربهم والههم فذكر ابراهيم ع
ذلك القول الذي قالوه بلفظهم وعباراتهم حتى يرجع اليه فيبطله ومثاله ان
منا اذا ناظر من يقول بقدم الجسم فيقول الجسم قديم فاذا كان كذلك فلم نراه

ونشاهده مركبا متغيرا فنحن انما قال الجسم قديما عادة لكلام الخصم
حتى يلزم المحال عليه فكذا ههنا قال هذا ربي والمقصود منه حكاية قول الخصم ثم
ذكر عقيبه ما يدل على فساده وهو قوله لا احب الآفلين وهذا الوجه هو المعتمد
في الجواب لانه تعالى قد دل على هذه المناظرة بقوله وتلك حجتنا آتيناها
ابراهيم على قومه **الوجه الثاني** ان تقول قوله هذا ربي معناه هذا ربي في
زعمكم واعتقادكم ونظيره ان يقول الموحد للمجسم على سبيل الاستهزاء ان
الاله جسم محدود اي في زعمه واعتقاده قال الله تعالى وانظر الى الهك
الذي ظلت عليه عاكفا وقال الله تعالى ويوم نناديهم فيقول اين شركائي
وكان نبينا صلوة الله عليه يقول يا اله الآلهة والمراد انه تعالى الاله
الالهة في زعمهم وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك
والوجه الثالث في الجواب ان المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار لان
انه اسقط حرف الاستفهام استغناء عنه لدلالة الكلام عليه **والوجه الرابع**
في الجواب ان يكون القول مضمرا فيه والتقدير قال يقولون هذا ربي واضمار
القول كثير كقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل
ربنا اي يقولان ربنا وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم

الا لیقربونا الی الله زلفی ای یقولون ما نعبدهم فکذا ههنا التقدیر ان
ابراهیم علیه السلام قال لقومه یقولون هذا ربی ای هذا هو الذی یدبرنی و
یربینی والوجه الخامس ان یکون ابراهیم ذکر هذا الکلام علی سبیل الاستهزاء
کما یقال لذلیل سادقوما هذا سیدکم علی سبیل الاستهزاء **الوجه السادس**
انه صلی الله علیه وسلم اراد ان یبطل قولهم بربوبیة الکواکب یعرفهم جهلهم
وخطأهم فی تعظیم النجوم وعبادتها الا انه علیه السلام کان قد عرف من
تقلیدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة الی الله
تعالی لم یقبلوه ولم یلتفتوا الیه فمال الی طریق به یستدرجهم الی استماع الحجة وذلک
بان ذکر کلاما یوهم کونه مساعدا لهم علی مذهبهم بربوبیة الکواکب مع ان قلبه
صلوات الله علیه کان مطمئنا بالایمان ومقصوده من ذلک ان یتمکن من ذکر الدلیل
علی ابطاله وافساده وان یقبلوا قوله ومثل هذا کمثل الحواری الذی ورد علی
قوم کانوا یعبدون صنما فاظهر تعظیمه فاکرموه لذلک حتی صاروا یصدرون
عن رائیه فی کثیر من امورهم الی ان یهم عدو لهم قتل لهم به فشاوروه
فی امر هذا العدو فقال الرای عندی ان تدعوا هذا الصنم حتی یکشف عنا
ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم یتضرعون الیه فلم یغن شیئا فلم تبین لهم

انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاءهم للحوادث وامرهم ان يدعوا الله عز وجل
ويسألوه ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون
فاسلموا جميعا وتمام التقرير انه لما لم يجد الى الدعوة طريقا سوى هذا الطريق وكان
عليه السلام مامورا بالدعوة الى الله كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر ومعلوم ان
عند الاكراه يجوز اجراء كلمة الكفر على اللسان قال الله تعالى الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان فاذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة بقاء شخص واحد فبان
يجوز اظهار كلمة الكفر لتخليص عالم من العقلاء عن الكفر والعقاب المؤبد
بل كان ذلك اولى وايضا المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق
الاجر العظيم ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم انه لو اشتغل بالصلوة
انهزم عسكر الاسلام فههنا يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى
لو صلى وترك القتال اثم ولو ترك الصلوة وقاتل استحق الثواب بل نقول ان
من كان في الصلوة فرأى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق وجب
عليه قطع الصلوة لانقاذ ذلك الطفل او ذلك الاعمى عن ذلك البلاء فكذا
اذا
ههنا ان ابراهيم عليه السلام تكلم بهذه الكلمة ليفهم من نفسه موافقة القوم حتى
او رد عليهم الدليل المبطل لقولهم كان قبولهم لذلك الدليل اتم وانتفاعهم باستماعه

اكمل ومما يقوى هذا الوجه انه تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق فى موضع آخر
وهو قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين وذلك
لانهم كانوا يستدلون بعلم النجم على حصول الحوادث المستقبلة فوافقهم ابراهيم
على هذا الطريق فى الظاهر مع انه كان بريئا عنه فى الباطن ومقصوده ان يتوسل
بهذا الطريق الى كسر الاصنام فاذا جازت الموافقة فى الظاهر ههنا مع انه
كان بريئا عنه فى الباطن فلم لا يجوز ان يكون سيدنا آدم كذلك ونقل عن
سهل المحبوب ان روحه اجتمعت مع روح ابراهيم عليه السلام فقال له
يا ابت فما قولك فى الانوار الثلاثة فانك معصوم عن اعتقاد ك
الالوهية فى حين من الاحيان فقال انما قلت ذلك اقامة للحجة على
قومى الا ترى الى ما قال الحق تعالى فى القرآن وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
على قومه انتهى مما ذكر تحققت ان ابراهيم عليه السلام لم يقل هذا القول على
الجزم والاعتقاد بل كان غرضه عليه السلام الزام الخصم وابطال قول القوم
فما قال بعضهم ان ابراهيم عليه السلام كان حينئذ مرشدا طالبا للتوحيد حتى
وفقه الله تعالى واتاه رشده فلم يضره ذلك فى حالة الاستدلال وقال البغوى وكان
ذلك فى حالة طفوليته قبل تمام الحجة عليه فلم يكن كفرا وقال البيضاوى

انما قال ذلك زمان مراهقته اوائل اوان بلوغه وقال بعضهم ان
استدلاله بالكواكب والشمس والقمر كان وهو ابن خمسة وعشرين شهرًا
فهذا وان كان لا باس به لكن الصحيح ما ذكرت اولا اذ الانبياء معصومون
عن الكفر في كل حال من الاحوال ولا يجوز ان يكون لله رسول يأتي
عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومتكل معبود
سواه برئ وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره واتاه رشده
من قبل واراه ملكوت السموات والارض افترى ان الكوكب يقول
معتقدا هذا ربي حاشا ابراهيم عن ذلك لان منصبه اعلى واشرف من
ذلك قال في الشفاء قال الله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل
اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل بدء
خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله اليه ملكا يأمره
عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فلذلك
رشده انتهى فما قال في المواقف وشرحه ان صدور هذا الكلام يعني هذا ربي
عنه كان قبل تمام النظر في معرفة الله وكما بينه وبين النبوة اذ لا يتصور
نبوة الا بعد تمام ذلك النظر فلا اشكال اذ يختار انه لم يعتقده فيكون كذبًا

صادرا قبل البعثة انتهى ليس كما ينبغي نعم ما اجابه الشارح المذكور ثانيا
يقوله ولك ان تقول انما قال ذلك على سبيل الفرض كما في برهان الخلف
ارشاد للصائبية اذ حاصل ما ذكره ان الكواكب لو كانت ارباباً كما
تزعمون لزم ان يكون الرب متغيراً آفلا وهو باطل فهو صحيح لا اشكال
فيه اعلم ان ابراهيم عليه السلام استدل بافول الكواكب على انه لا يجوز
ان يكون ربا له وخالقه والافول عبارة عن غيبوبة الشئ بعد ظهوره
واذا عرفت هذا فلسائل ان يسئل ويقول الافول انما يدل للحدوث من
حيث انه حركة وعلى هذا التقدير يكون الطلوع ايضا دليلا على الحدوث فلم
ترك ابراهيم عليه السلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعول في اثبات
هذا المطلوب على الافول والجواب لا شك ان الطلوع والغروب لشهرتهما كانا
في دلالة على الحدوث كالافول الا ان الدليل الذي يحتج به الانبياء في معرض دعوة
الخلق كلامهم الى الله لا بد وان يكون ظاهرا جليا بحيث يشترك في فهم الذكي
والغبي والعاقل ودلالة الحركة على الحدوث وان كانت يقينية الا انها
دقيقة لا يعرفها الا الافاضل من الخلق اما دلالة الافول فانها دلالة ظاهرة
يعرفها كل احد فان الكوكب يزول سلطانه وقت الافول فكانت دلالة

الاول على هذا المقصود تم وايضا فان احسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص
وحصة الاوساط وحصة العوام فالخواص يفهمون من الاول الامكان وكل
ممكن محتاج والمحتاج لا يكون مقطع الحاجة فلا بد من الانتهاء الى ما يكون
منزها عن الامكان حتى تنقطع الحاجات بسبب وجوده كما قال وان الى ربك
المنتهى واما الاوساط فانهم يفهمون من الاول مطلق الحركة فكل
متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم القادر فلا يكون الاول
الا هو بل الاله هو الذى احتاج اليه ذلك الاول واما العوام فانهم يفهمون
من الاول الغروب وهم ينشاهدون ان كل كوكب يقرب من الافول والغروب
فانه يزول نوره وينتقص ضوءه ضوءه ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول
ومن يكون كذلك لا يصلح للالهية فهذه الكلمة الواحدة اعنى قوله لا احب
الآفلين كلمة مشتملة على نصيب المقربين واصحاب اليمين واصحاب الشمال
فكانت اكمل الكلمات وافضل البراهين وفيه دقيقة اخرى وهى انه عليه الصلوة
والسلام انما كان يناظرهم وهم كانوا منجمين ومذهب اهل النجوم ان
الكوكب اذا كان فى الربع الشرقى ويكون صاعدا الى وسط السماء
كان قويا عظيم التاثير اما اذا كان غربيا وقريبا من الافول فانه يكون

ضعيف التاثير قليل القوة فنبه بهذه الدقيقة على ان الاله هو الذي
لا تتغير قدرته الى العجز وكماله الى النقصان ومذهبكم ان الكوكب
حال كونه في الربع الغربي يكون ضعيف القوة ناقص التاثير عاجزا
عن التدبير وذلك يدل على القدح في الالهية فظهر على قول المنجمين
ان للافول مزيد خاصية في كونه موجبا للقدح في الالهية والله اعلم
والقائل ان يقول ان افول الكوكب دال على حدوثه الا ان حدوثه لا يمنع
من كونه ربا لابراهيم عليه السلام ومعبودا له الا ترى ان المنجمين
واصحاب الهياكل يقولون ان الاله الاكبر خلق الكواكب وابدعها
واحدثها ثم ان هذه الكواكب تخلق النبات والحيوان في هذا العالم
الاسفل فثبت ان افول الكواكب وان دل على حدوثها الا انه لا يمنع
من كونها ارباب للانسان وآلهة لهذا العالم والجواب ان المراد من الرب
والاله الموجود الذي عنده ينقطع الحاجات وحتى ثبت بافول
الكواكب حدوثها وثبت في بداهة العقول ان كل ما كان محدثا
فانه يكون في وجوده محتاجا الى الغير وجب القطع باحتياج هذه الكواكب
في وجودها الى غيرها ومتى ثبت هذا المعنى امتنع كونها ارباب وآلهة معبودة

انه تنقطع الحاجات عند وجودها فثبت ان كونها آفلة يوجب القدح في
كونها ارباباً وآلهةً بهذا التقسير او المراد من الرب والاله من يكون
خالقاً لنا ومحلاً لذواتنا وصفاتنا فنقول ان افول الكواكب يدل على كونها
عاجزة عن الخلق والايجاد وعلى انه لا يجوز عبادتها وبيانه من وجوه الاول
ان افولها يدل على حدوثها وحدوثها يدل على افتقارها الى فاعل
قديم قادر ويجب ان يكون قادريته ذلك القادر ازلية والا لافتقرت
قادريته الى قادر آخر ولزم التسلسل وهو محال فثبت ان قادريته
ازلية واذا ثبت هذا نقول الشئ الذي هو مقدور له انما صح كونه
مقدوراً لله باعتبار امكانه والامكان واحد في كل الممكنات
فثبت ان ما لاجله صار بعض الممكنات مقدوراً لله تعالى فهو حاصل في
كل الممكنات فوجب في كل الممكنات ان تكون مقدورة لله تعالى واذا
ثبت هذا امتنع وقوع شئ من الممكنات بغيره على ما بين في موضعه
فالحاصل انه ثبت بالدليل ان كون الكواكب آفلة يدل على كونها
محدثة وان كان لا يثبت هذا المعنى الا بواسطة مقدمات كثيرة وايضاً
فكونها في نفسها محدثة يوجب القول باستناع كونها قادرة على الايجاد والا بدأ

وان كان لا يثبت هذا المعنى الا بواسطة مقدمات كثيرة وايضا ان
افول الكواكب يدل على حدوثها وحدوثها يدل على افتقارها في
وجودها الى القادر المختار فيكون ذلك الفاعل هو الخالق للافلاك
والكواكب ومن كان قادرا على خلق الكواكب والافلاك من دون
واسطة شئ فان يكون قادرا على خلق الانسان اولى لان القادر على
خلق الشئ الاعظم لابد وان يكون قادرا على خلق الشئ الاضعف واليه
الاشارة بقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
وبقوله اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
بلى وهو الخلاق العليم فثبت بهذا الطريق ان الاله الاكبر يجب
ان يكون قادرا على خلق البشر وعلى تدبير العالم الاسفل بدون واسطة
الاجرام الفلكية واذا كان الامر كذلك كان الاشتغال بعبادة
الاله الاكبر اولى من الاشتغال بعبادة الشمس والقمر والنجوم فان قلت
ما وجه التذكير في قوله هذا ربي هذا اكبر مع ان الاشارة للشمس وهي
مؤنثة قلت انما قال هذا ربي ولم يقل هذه لوجوه احدها ان الشمس بمعنى
الضياء والنور فحمل اللفظ على التاويل فذكر وثانيها ان الشمس

لم يحصل فيها علامة التانيث فلما اشبه لفظها لفظ المذكر وكان
تأويلها تاويل النور صلح التذكير من هاتين الجهتين وثالثها اراد هذا
الطالع او هذا الذى يراه ورابعها المقصود منه رعايت الادب وهو
ترك التانيث عند ذكر الفظ الدال على الربوبية الا ترى
انهم قالوا فى صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة
ابلغ احترازا من علامة التانيث فجعل المبتدا ومثل الجملة انهما عبارة
عن شئ واحد فان قيل لما كان الافول حاصلا فى الشمس لا نسلم
منع صفة الربوبية واذا ثبت امتناع صفة الربوبيت للشمس كان
امتناع حصولها للقمر ولسائر الكواكب اولى وبهذا الطريق يظهر ان
ذكر هذا الكلام فى الشمس يغنى عن ذكره فى القمر والكواكب فلم يقتصر على
ذكر الشمس رعايته للايجاز والاختصار قلنا ان الاخذ من الادون
فالادون منتهيا الى الاعلى فالاعلى له نوع تاثير فى التقرير والبيان
والتاكيد لا يحصل من غيره فكان ذكره على هذا الوجه اولى ولقائل ان يقول
هب انه ثبت بالدلائل ان الكواكب والشمس والقمر لا تصلح للربوبية
والالهية لكن لا يلزم من هذا القدر نفى الشريك مطلقا واثبات التوحيد

فلم فرغ على قيام الدليل على كونه هذه الكواكب غير صالحة للربوبية الجزم
باثبات التوحيد مطلقا كما يدل عليه قوله فلما افلت قال يا قوم اني بريء
مما تشركون والجواب ان القوم كانوا مساعدين على نفي سائر الشركاء
وانما نازعوا في هذه الصورة المعينة فلما ثبت بالدليل ان هذه الاشياء
ليست ارباباً ولا آلهة وثبت بالاتفاق نفي غيرها لا جرم حصل الجزم
بنفي الشركاء على الاطلاق فان قيل لا نسلم ان القوم كانوا مساعدين في
نفي سائر الشركاء لانهم يعبدون الاصنام ويجعلونها آلهة حصا دل عليه
قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك
في ضلال مبين ثم كانوا يشركون بالكواكب كذلك نشركون بالاصنام
قلت ان مرادهم من عبادة الاصنام عبادة الكواكب وتعظيمها لانهم
اعتقدوا ان الكواكب هي المدبرة لاحوال هذا العالم السفلي فاشتغلوا
بعبادتها وتعظيمها الا انهم لما رأوا ان هذه الكواكب قد تغيب عن الابصار
في اكثر الاوقات فاتخذوا لكل كوكب صنما من الجواهر المنسوبة اليه
واتخذوا صنم الشمس من الذهب وزينوه بالاحجار المنسوبة الى الشمس وهي الياقوت
والالماس واتخذوا صنم القمر من الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على

عبادة هذه الاصنام وغرضهم من عبادة هذه الاصنام هو عبادة تلك
الكواكب في التقرب اليها فيلزم من عدم صلاحية الكواكب للربوبية
والالهية عدم صلاحية الاصنام وثانيهما اى ثانى الامور قوله تعالى
واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم قالوا بانه
عليه السلام كان شاكا فى معرفة المعاد واحياء الاموات والا لما سأل
والشك فى معرفة المعاد ذنب ومعصيت والجواب ان سؤاله عليه السلام لم يكن
لشكه فى معرفة المعاد واحياء الاموات لان الشاك والجاهل بقدرة الله
على احياء الموتى كافر فمن نسب النبى المعصوم الى ذلك فكأنما نسبه الى الكفر
وانتساب النبى المعصوم الى الكفر كفر لان الانبياء معصومون عنه كما مر فثبت
ان عقيدة الطاعن هذه كفر وقوله باطل ومما يدل على فساد قوله المذكور
وجوه احدها قوله تعالى اولم تؤمن قال بلى ولو كان شاكا لم يصح ذلك و
ثانيها قوله ولكن ليطمئن قلبى وذلك كلام عارف طالب لمزيد اليقين
وثالثها ان الشك فى قدرة الله تعالى يوجب الشك فى النبوة فكيف يعرف

بنوة نفسه بل كان سؤاله عليه السلام لوجوه اخر **احدها** ما قال الحسن وقتادة
والضحاك ان ابراهيم عليه السلام مر على دابة ميتة قال ابن جرير كانت
جيفة حمار قد رفعها وقد توزعتها دواب البحر والبر فكانت اذا مد البحر جاءت
الحيتان ودواب البحر فاكلت منها وما وقع منها يصير في البحر واذا انحسر
البحر جاءت السباع فاكلت منها وما وقع منها يصير تراباً فاذا ذهب السباع
جاءت الطير فاكلت منها وما سقط قطعة الريح في الهواء فلما رأى ذلك
ابراهيم عليه السلام تعجب منها وقال يا رب قد علمت انك تجمعها من بطون
السباع وحواصل الطير واجواف دواب البحر فارني كيف تحييها فازداد
يقيناً مثل ما قال الله تعالى حكاية عن عزير او ارميا عليهما السلام على اختلاف
القولين بقوله قال اني بجيبي هذه الله بعد موتها الآية فانه ليس سؤال جهل وشك
في قدرة الله تعالى لان الانبياء محفوظون من الجهل والشك في قدرته
بل لما مر على قرية وهي خاوية على عروشها اي ساقطة جدرانها على سقوفها
تعجب من احيائها بالكلية فسأل تعجباً ليزيد اليقين او سأل استبعاداً
بحسب مجاري العرف والعادات لا على سبيل الانكار **وثانيها** ما قال محمد ابن
اسحق والقاضي ان سبب سؤاله انه وقت المناظرة مع نمرود قال ربي الذي

يحيي ويميت قال انا احي واميت فاطلق محبوسا وقتل رجلا فقال ابراهيم
ليس هذا باحياء واماتة بل احياء الله برد الروح الى البدن فقال
نزدد على ما ايقنت به فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير احدى
بهت الذي كفر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه في الجواب ان سئل عنه مرة
اخرى وروى ان مزيدا قال له قل لربك حتى يحيي والا قتلتك فسأل الله
ذلك وقوله ليطمئن قلبي اي ليطمئن قلبي بنجاتي من القتل او ليطمئن قلبي
بقوة حجتي وبرهاني وثباتها ما قال ابن عباس وسعيد ابن جبير والسدي
رضي الله تعالى عنهم ان الله تعالى اوحى اليه اني متخذ بشرا خليلا فاستعظم
ذلك ابراهيم عليه السلام وقال الهي ما علامة ذلك فقال علامة ان يحيي
الميت بدعائك فلما عظم مقام ابراهيم في درجات العبودية واداء الرسالة
خطر بباله انه لعله ان اكون ذلك الخليل فسأل احياء الميت فقال الله
اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على انني خليلك ورابعها انه عليه السلام
انما سأل ذلك لقومه وذلك لان اتباع الانبياء كانوا يطالبونهم
بآيات عظيمة باهرة وقادرة حقيقة كقولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما
لهم آلهة فسأل ابراهيم ذلك ليشاهده قومه فيزول الانكار عن قلوبهم

وخامسها لاشك ان الامة كما يحتاجون فى العلم بان الرسول صادق
فى ادعاء الرسالة الى معجز يظهر على يده فكذلك الرسول عند وصول
الملك اليه واخباره اياه بان الله بعثه رسولا يحتاج الى معجز يظهر على
يد ذلك الملك ليعلم الرسول ان ذلك الواصل ملك كريم لا شيطان
رجيم كما قال الطيبي فى ذيل رواية ابى ذر الغفارى قال قلت يا رسول الله
كيف علمت انك نبى حقا استيقنت فقال يا ابا ذر اتانى ملكان
ببعض بطحاء مكة فوقع احدهما الى الارض وكان الآخر بين السماء والارض
فقال احدهما لصاحبه هو هو قال نعم قال فزنه برجل فوزنت به فشرفت
قال زنته بعشرة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنته بمائة فوزنت بهم
فرجحتهم ثم قال زنته بالف فوزنت بهم فرجحتهم كانى انظر اليهم ينتثرون
على من خفة الميزان قال فقال احدهما لصاحبه لو وزنته بامته لرجحها وفيه
ان الامة كما يفتقرون فى معرفة كون النبى صلى الله عليه وسلم صادقا
الى اظهار خوارق العادات بعد التحرى كذلك النبى يفتقر فى معرفت
كونه نبيا الى امثال هذه الخوارق وكذا اذا سمع الملك كلام الله احتاج
الى معجز يدل على ان ذلك الكلام كلام الله تعالى لا كلام غيره ولذا كان

كذلك فلا يبعد ان يقال انه لما جاء الملك الى ابراهيم عليه السلام واخبره
بان الله تعالى بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة فقال رب ارنى كيف
تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على ان الاتي
ملاك كريم لا شيطان رجيم واما على قول من قال ان علم النبي بنبوته ضروري
حاصل في القلب بدون الاستدلال كان سؤال ابراهيم عليه السلام مؤيدا ومؤكدا
لذلك العلم الضروري وسادسها ما قال سعيد ابن جبير ايضا لما اتخذ الله
ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك
فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من
اغير الناس وكان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلا فثار
اليه ليأخذه وقال له من اذن لك ان تدخل داري فقال اذن لي رب الدار
فقال ابراهيم صدقت وعرفت انه ملك فقال له من انت قال انا ملك
الموت جئت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا فبشارت بادكامد
دولتربيرون زاندازه نسيمي ومزه كزوي دماغ جان شود تازه
فحمد الله عز وجل فقال ابراهيم ما علامة ذلك قال ان الله يجيب دعائك
ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ سأل ابراهيم ذلك وسابعها لعله طالع

فى الصحف التى انزل الله تعالى عليه انه يشرف ولده عيسى بانه يحيى الموتى
بدعائه فطلب ذلك فقيل له اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبى على انى لست اقل منزلة فى حضرتك من ولدى عيسى
وثامنها لم يكن قصد ابراهيم عليه السلام بالسؤال احياء الموتى بل كان
قصده سماع الكلام بلا واسطة وتاسعها تقدير الآية ان جميع الخلق
ليشاهدون الحشر يوم القيمة فارنى ذلك فى الدنيا فقال اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى على ان خصصتنى فى الدنيا بمزيد هذا التشريف
وعاشرها ابراهيم عليه السلام امر بذبح الولد فسارع اليه ثم قال
امرتنى ان اجعل ذا روح بلا روح ففعلت وانا اسئلك ان تجعل غير
ذى روح روحانيا فقال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى على
انك اتخذتنى خليلا ولا يخفى ان مآل هذين الوجهين والوجه السادس
واحد الحادى عشر ما قال فى الوجه الثانى بقوله واما الجواب عن قول ابراهيم
عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى فاذكر الشيخ فى الباب السابع والستين و
ثلثمائة ان روحه اجتمعت مع روح الخليل عليه السلام قال فقلت له
يا ابت لم قلت ولكن ليطمئن قلبى مع انك من المؤمنين بلى ذلك بلا شك

فقال صحيح ولكن للاحياء وجوه كثيرة كما كان ايجاد الخلق فمنهم من اوجده تعالى
من كلمة كن ومنهم من اوجده بيديه ومنهم من اوجده ابتداء ومنهم اوجده من
خلق اخر فطلبت العلم بتعيين وجه من هذه الوجوه فاذا علمين اطمئن قلبي انتهى ولهذا
قيل انما سئل عن كيفية الاحياء بقوله تعالى كيف تحيي الموتى لا عنه اى ولم يقل ارنى احياء
الموتى لان الاحاطة بالكيفية المفصلة اقوى وارسخ من المعرفة الاجمالية
المفضية الى التردد بين الكيفيات المتعددة مع الطمانينة فى اصل
الاحياء والقدرة عليه الثانى عشر قيل انه نظر ابراهيم عليه السلام فى قلبه
فرآه ميتا بحب الدنيا فاستحى من الله وقال ارنى كيف تحيي الموتى اى القلب
اذا مات بسبب الغفلات كيف يكون احياءه بذكر الله تعالى الثالث عشر
وهو على لسان اهل التصوف ان المراد من الموتى القلوب المحجوبة عن
انوار المكاشفات والتجلى والاحياء عبارة عن حصول ذلك التجلى
والانوار الالهية فقوله ارنى كيف تحيي الموتى طلب لذلك التجلى والمكاشفات
فقال اولم تؤمن قال بلى اومن به ايمان الغيب ولكن اطلب حصولها
ليطمئن قلبي بسبب حصول ذلك التجلى وعلى قول المتكلمين العلم الاستدلالى مما
يتطرق اليه الشبهات والشكوك فطلب علم ضروري يستقر القلب معه

استقرار لا يتخالجه شئ من الشكوك و الشبهات و لذا قيل انه سئل ربه
زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن فى الاول شك اذ العلوم النظرية
والضرورية قد تتفاضل فى قوتها وطريان الشوك على الضروريات
ممتنع ويجوز فى النظريات فاراد الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة
والترقى من علم اليقين الى عين اليقين قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ليس الخبر كالمعاينة ان الله اخبر موسى بما صنع قومه فى العجل
فلم يلق الالواح فلما عاين ما صنعوا القى الالواح فانكسرت رواه احمد
والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس والدليل على ان سؤاله ذلك
ليصير علمه عيانا وقد شرف الله بعين اليقين بل بحق اليقين الذى هو
اعلى المقامات هو انه تعالى قرر ايمانه بهمزة الاستفهام التقريرى
فقال اولم تؤمن اى اولم تعلم ذلك يقينا فاجاب ابراهيم عليه السلام
بقوله بلى ولكن ليطمئن قلبى اى ليسكن ويحصل طمانينة بالمعاينة فان
عين اليقين توجب الطمانينة لا علمه لان علم اليقين هو المستفاد من
الاخبار وعين اليقين هو المعاينة لا مرية فيه قال الله تعالى فى حق الكفار
لترونها عين اليقين فلما دخلوا النار وباشروا عذابها قال تعالى

فنزل من حميم وتصلية بجحيم ان هذا لهو حق اليقين ان قلت ما معنى
قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا قلت معناه
ما ازددت يقينا بالايمان بها وكان اذا رأى الاخرة ابصر بها من
الفضائل والهيئات ما لم يحط به قبل ذلك وكذلك ابراهيم لما رأى
كيفية الاحياء وقف على ما لم يقف عليه قبل ان قيل هذه الآية تدل
على ان الطمانية اعلى رتبة من علم اليقين وقال الاصوليون ان الخبر المتواتر
يوجب علم اليقين والخبر المشهور يوجب الطمانية فهذا القول منهم يدل
على خلاف مقتضى الآية قلت الطمانية على قسمين طمانية الظن
وطمانية اليقين فمراد الاصوليين الطمانية بالمعنى الاول والآية
تدل على علو الطمانية بالمعنى الثاني فلا اشكال المرابع عشر انه عليه السلام
لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولها السباع والطير ودواب البحر
تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة
ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا في احياء الموتى ولا داعيا
له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون ان يروا نبيهم
محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى في الجنة ويطلبونها ويسألونه

وذعائهم مع الایمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب
ابراهيم عليه السلام ان يشاهد احياء الموتى واشتاق اليه لان الاشتياق يدل على
زيادة اليقين فمثل هذا الوجه ايضا راجع الى ما سبق يعني ان العلم
واليقين باحياء الموتى كان حاصلا له بالسمع فاراد حصوله
بالرؤية ايضا لان اليقين الحاصل بسبب الرؤية اقوى من اليقين
الحاصل بسبب السمع او النظر لان الخبر يحتمل الصدق والكذب والنظر
قد يكون صحيحا وقد يكون فاسدا الخلاف الرؤية في المثنوي ؎

كرد مردى از سخن دانِ سؤال * حق و باطل چيست اى نيكو خصال * گوش را
بگرفت و گفت اين باطل است * چشم حق است و يقينش حاصل است * جهد كن كز
گوش در چشمت رود * انچه باطل بوده آن حق ميشود * گوش دلال است و
چشم اهلِ وصال * چشم صاحب حال و گوش از اهل قال * هر جوابى كان نه گوش آمد دليل *
چشم گفت از سر شنوه آنرا بهل * ويؤيده رواية ابى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب
ارنى كيف تحيي الموتى الخ فان هذا الحديث يدل على نفي الشك عنهما
يعني اذا لم اشك انا فابراهيم اولى بان لا يشك فانه عليه السلام قال ذلك

تواضعًا وهضمًا لنفسه وكان مراده ان الانبياء منزهون عن الشك
وكان طلب ابراهيم عم لزيادة العلم والطمانية عليه والدليل على هذا المراد
قوله عليه السلام نحن احق بالشك لانه تعالى امره بقوله قل رب زدني علمًا
وليس في شان ابراهيم مثل هذا القول وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
طلب زيادة العلم واليقين بالشك مجاز المشابهة الصورية في المظهري
قيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعًا وتقديمًا لابراهيم على نفسه
قلت هذا القول وهذا التاويل في الحديث ضعيف لان نفي الشك عن
ابراهيم ثبت بنفس كلام الله تعالى حيث قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فكيف
يقال شك ابراهيم واي حاجة الى دفع ذلك التوهم والتحقيق عندي
ما قالت الصوفية العلية ان لاهل الله تعالى في السلوك مقامان
الاول مقام العروج وهو الانخلاع عن الصفات البشرية والتلبس
بالصفات الملكية والصفات القدسية ويحكى عن هذا المقام قوله
عليه السلام حين اتى عن صوم الوصال لست كهيئتكم اني بيت عند
ربي يطعمني ويسقيني ويقال في اصطلاحهم لهذا السير الى الله والسير في الله

والثانى مقام النزول وهو التلبس بالصفات البشرية ثانيا بعد الانخلاع
التام وهذا المقام مقام التكميل ودعوة الخلق الى الله تعالى ويقال لهذا السير من
الله وبالله والحكمة فى النزول انه لابد بين المفيض والمستفيض
من المناسبة حتى يتيسر به الاستفاضة على طريقة الصبغ
والانصباغ والاجل هذا ارسل الرسل من البشر لدعوت البشر ولم يتصور
للعوام اخذ الفيض من الله تعالى لفقد المناسبة وهو تعالى غنى عن العالمين
ولا من الملائكة قال الله تعالى قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وقال ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وكلما كان لرجل نزوله اتم كان
دعوته اشمل واكمل كما ان الرامى اذا كان فى اعلى مكان من المرمى
اليه ما اصاب رميته غالبا قال الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى قدس سره
انكروا دعوة نوح عليه السلام لما كان من الفرقان واجابوا دعوة محمد
صلى الله عليه وسلم لما كان من القرآن يعنى لما كانت استعدادات العوام
فى غايت الانخفاض ونوح عليه السلام كان فى مقام العروج لم يتأثر
العوام منه لاجل الفراق بينهما ولما نزل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

غاية النزول اجابوا دعوته لحصول المقارنة اذ اسمعت هذا فاعلم
ان العارف تام المعرفة قد يظهر عليه آثار النزول فحينئذ يكون
على هيئة العوام متشبثا بالاسباب ويحكى عن هذا المقام انه صلى الله
عليه وسلم لبس في الحرب درعا من حديد فوق درع وحفر الخندق حول المدينة
وفي هذا المقام يتشبث العارف لطلب زيادة اليقين واطمينان القلب
بتجشم الاستدلال ونحو ذلك وعن هذا المقام قصة ابراهيم هذه وعبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب زيادة اليقين بالشك مجازا لمشابهة
الصورية واخبر عن مقام نزوله بقوله نحن احق بالشك من ابراهيم بمعنى
ان نزولنا اتم من نزول ابراهيم فنحن اولى بطلب زيادة اليقين منه
ولا شك ان نزوله عليه السلام كان اتم من نزول ابراهيم عليه السلام
يدل عليه كونه مبعوثا الى كافة الانام كما ان عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان فوق كل عروج فكان قاب قوسين او ادنى فهو المحدود لجهات الكمال
عليه وعلى آله الصلوة والسلام انتهى عبارته **الخامس عشر** ان ابراهيم
عليه السلم لما قال في مناظرة نمرود ربي الذي يحيي ويميت فدعا نمرود برجلين
اسيرين فقتل احدهما واستحى الآخر وقال انا احيي واميت فاعتقد

اكثر العوام ان الاحياء عبارة عن العفو والاطلاق كما فعل نمرود بالاسير فلاجل هذا
طلب ابراهيم عليه السلام من ربه ارأته احياء الموتى ليتبين عند القوم ان
الاحياء غير الاطلاق لا يقدر عليه نمرود فعلى هذا التاويل يكون قوله ليطمئن
قلبي بحذف ما اضاف اليه القلب حقيقة اى ليطمئن قلب قومي **السادس**
عشر ما في غرائب الاقوال انه كان لابراهيم عليه السلام صديقا يتردد في
امر البعث والحشر وكان اسمه قلب فطلب عليه السلام ارأة الاحياء لاطمينان
صديقه **السابع عشر** ما نقل عن الينابيع ان ابراهيم عليه السلام تأمل وتفكر
في ان دخول الروح في البدن بعد الموت هل فيه الم وتعب كما في الخروج
ام لا فطلب الارأة وهذا الوجه غير خال عن الغرابة **الثامن عشر** ما روى
عن ابن المبارك رضي الله عنه ان ابراهيم عليه السلام طلب ارأة الاحياء
ليعرف قومه استجابة دعائه وشرف منزلته عند الله ويظهر عليهم هذه المعجزة
لعلهم يؤمنون به فيكون قلبه مطمئنا بايمان قومه **التاسع عشر** ما قيل
ان الانبياء عليهم السلام لهم ايات عقلية وحسية كالعصا واليد البيضاء
لموسى عليه السلام وكانت ايات ابراهيم عليه السلام عقلية فاراد ان
يكون جامعا بين الايات العقلية والحسية فسأل على طريق الادب

وقال رب ارنی کیف تحیی الموتی یعنی اقدرنی علی احیاء الموتی **العشرون**

ماقیل ان ابلیس للعین مریما بساحل البحر فرای شخصا میتا معروقا

من عمل الحیات ووقعت علیه الطیور والسباع تقطعته من لحمه وشحمه بالمناقیر

والانیاب ثم تتفرقه الطیور فی الجو والسباع فی البادیة ثم یاتیه فوج آخر

وهکذا فتامل ابلیس ساعة وتفکر فی نفسه ففرح وسر وقال وجدت

شبکة المکر والکید اصید بها قلوب کثیر من الجهال بالقاء الوسوسة الیهم

بان هذه الاعضاء المتفرقة والاجزاء المتشتتة کیف تجتمع من اطراف

العالم من اجواف السباع وحواصل الطیور فامر الله الجلیل الجمیل الی

نبیه الخلیل ان یصل الی ذلک الساحل لیری من عجائب قدرته وغرائب

وصفه فلما وصل ابراهیم علیه السلام الی الساحل رای ابلیس قائما متحیرا فقال

له بالعین فی ای تفکر وتحیر قال فی ان هذه الاجزاء الماکولة المتفرقة

فی الاطراف کیف تجتمع ومن یجمعها قال ابراهیم علیه السلام بالعین لیس هذا

تفکر وتحیر لان من قدر علی اخراجها من کتم العدم الی عرصة الوجود کیف

یعجز عن اجتماعها بعد العدم ؎ کوزه گر گر کوزهٔ را بشکند ۔ چون بخواهد

باز قائم میکند ۔ آنکه داند کوزه کردن از نخست ۔ حبه حبه گر شود باز د

اشكسته وريست فعند ذلك طلب رأة الاحياء ليكون الشيطان الطاغى
الباغى ملزمًا ويطمئن قلبه عليه السلام بالزامه الوجه الحادى والعشرون
روى عن الحسن البصرى رضى الله عنه ما حاصله ان ابراهيم عليه السلام لما
راى فى الصحف المنازلة عليه وصف طيور الجنة بانها تطير فى فضاء الجنة
اذا اشتهوا لحما من اهل الجنة الى لحم طير منها فيوسع الريح من
صدر الطير فيتناثر منه راسه وذنبه ويسقط من بين يديه ويصير فى الحال
مشويا فى طبق من نور يجيئ عند المشتهى فيأكل منه بقدر الاشتهاء ثم
يجمع ما بقى ويكتسى بالريشة ويصير مركبا مع الراس والذنب فيطير فى الجنة
ويمتاز على سائر الطيور فاراد ابراهيم عليه السلام ان يشاهد فى الدنيا
مثلها فقال رب ارنى كيف تحيى الموتى هذه هى الوجوه التى ذكرت
سببا لقوله رب ارنى كيف تحيى الموتى وان رجع بعضها الى بعض فى السؤال
ان قيل قد علم مما سبق ان العلوم يجوز ان يكون بعضها اقوى
من بعض وفيه سؤال صعب وهو ان الانسان حال حصول العلم له
اما ان يكون مجوزا للنقيضه او لا يكون فان جوز نقيضه يخرج من الوجوه
فذلك ظن قوى لا اعتقاد جازم وان لم يجوز نقيضه يخرج من الوجوه

امتنع وقوع التفاوت فى العلوم واعلم ان هذا الاشكال انما يتوجه اذا
قلنا المطلوب بما ذكر هو حصول الطمانينة فى اعتقاد قدرة الله تعالى
على الاحياء فقط اما لو قلنا المقصود منه شئ آخر ايضًا كما ذكرنا فلا سؤال
زائل فان قيل لما لم يكن طلب هذا الامر للشك فلم عاتبه الله تعالى بقوله اولم تؤمن
مع انه تعالى علم بانه اثبت الناس ايمانا قلت لا نسلم ان قوله اولم تؤمن
للعتاب بل ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين
اى ليظهر ايمانه لكل سامع بقوله بلى فيعلم السامعون غرضه من هذا القول
وعلى تقدير كونه للعتاب يحتمل ان يكون توجه العتاب لاجل انه هو الغرض
من الطلب يعنى يجوز ان يكون الباعث على طلب اداء ة احياء الموتى
توجه العتاب الى نفسه اذ العتاب علامة الود مصرع ويبقى الود ما بقى
العتاب وايضا عتاب الحبيب على الحبيب لذيذ حكى انه كان فى سابق الزمان
مفلس قد عشق على ابن الملك وصار غريقًا فى بحر المحبة ولم يعد نفسه
لايقًا لوصاله لعلو منزلة ابن الملك ولم يظهر حال محبته لاحد وكان عادة
ابن الملك ان يخرج كل يوم للعب الى موضع مجتمع فيه التراب وموضوع
فيه الغرض فيرميه بالسهام فتفكر العاشق ان يختفى يومًا فى التراب تحت الغرض

لعل السهام وقع عليه وقت الرمي ويراه ابن الملك فيعاتبه ففعل يوما
ما تصوره فجاء العشوق على عادته فرمى السهم الى الغرض فوقع على
صدر العاشق فخرج راسه من التراب ؎ عاشق از خاک بیرون کرده سر
جملهٔ آن خاک از خون کرده تر ؎ شاهزاده کان بدید از دور جای ؎ بازوی
زان غم سرزپای ؎ سوی عاشق رفت وگفت ای شوخ مرد ؎ این چرا
کردی وهرگز این که کرد ؎ گفت ازان این کار کردم بر یقین ؎ تا تو ام
گوئے چرا کردے چنین ؎ ولما کان هذا حال المحبت المجازية فما
ظنك بالمحبت الحقيقية فعاتبه موافقا لمراده ثم ازال ذلك العتاب
بقوله فخذ اربعة من الطير الخ كان الخطاب بعد العتاب لذوالمراد من الطيور
الاربع الطاؤس والنسر والغراب والديك كما فی روایة ابن عباس رضی الله
عنهما وفی روایة مجاهد وابن زيد رضی الله عنهما الحمام بدل النسر
وفی روایة البط بدلها فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات
لهذه الحالة قلت خصه من وجهين الاول ان الطير همة الطيران فی السماء
والارتفاع فی الهواء والخليل كانت همة العلو والوصول الى الملكوت
فجعلت معجزته مشاكلة لهمته والثانی ان الخليل عليه السلام لما ذبح الطيور

وجعلها قطعة قطعة ووضع على كل جبل قطعة مختلطة ثم دعاها طارت كل جزء
الى مشاكلة فقيل له كما طارت كل جزء الى مشاكلة كذلك يوم القيمة يطير كل جزء
الى مشاكلة حتى تتالف الابدان وتتصل بها الارواح كما قال الله تعالى ويخرجون
من الاجداث كانهم جراد منتشر فان قيل ان المقصود من الاحياء والاماتة
كان حاصلا بحيوان واحد فلم امر باخذ اربع حيوانات قلت امر
بالحيوانات لوجهين الاول ان فيه اشارة الى انك سئلت واحدا على قدر
العبودية وانا اعطى اربعا على قدر الربوبية والثاني ان الطيور الاربعة
اشارة الى الاركان الاربعة التي منها تركيب ابدان الحيوانات
والنباتات وفيه اشارة الى انك ما لم تفرق بين هذه الطيور الاربعة لم تقدر
طيران الروح على الارتفاع الى هواء الربوبية وصفاء عالم القدس واما تخصيص
هذه الاجناس المذكورة من الطير بالاخذ فلان في الطاؤس اشارة الى
ما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي الغراب اشارة الى شدة الشغف
بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة الشغف لحب النكاح
وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص ففيه اشارة الى ان الانسان
اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق بعلو الدرجة في الجنة وفاز بنيل السعادة الابدية في الشهود

چار وصف است این بشر را دل فگار
چار مرغ معنوی راه زن +
بط حرص است و خروس آن شهوت است
تو خلیل وقتی ای خورشید هش
ای خلیل اندر خلاص نیک و بد
زانکه هر مرغی از ایشان زاغ وش
خویش را گر زندگی خواهی ابد
باز ایشان زنده کن از نوع دگر

چار میخ عقل گشته این چهار
کرده اند اندر دل خلقان وطن
جاه چون طاؤس و زاغ امنیت است
این چهار اطیار ره زن را بکش
سر بریشان تا دهد پا باز سد
هست عقل عاقلان را دیدکش
سر ببر این چار مرغ شوم بد
که نباشد بعد ازان ایشان ضرر

و ایضاً فیه

حرص بط یکتاست این پنجاه تاست
حرص شهوت مار و منصب اژدهاست

حرص بط از شهوت خلق است و فرج
در ریاست بست چند است و درج

صد خورنده گنج اندر گرد خوان
در ریاست دو نه گنجد در جهان

کاغ کاغ نعره زاغ سیاه
دائما باشد بدان را عمر خواه

همچو ابلیس از خدای پاک فرد
تا قیامت عمر تن درخواست کرد

عمر و مرگ این بهر دو باحق خوش بود
بی خدا آب حیات آتش بود

عمر خوش در قرب جان پروردن است
عمر زاغ از بهر سرگین خوردن است

فعلم ان الانسان مالم يسع فى قتل شهوت النفس والفرج وفى ابطال
الحرص وابطال الذميمين للخلق لم يجد فى قلبه روحا وراحة من انوار
جلال الله امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يذبح تلك الطيور وينتف
ريشها وان يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل
على كل جبل منهن جزء اختلفوا فى عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس
رضى الله عنهما امران يجعل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعلها على
اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طاير قيل جبل على جهة الشرق
وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب
وقيل جزءه سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤسهن
بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى **بيت**

بيائيد اى گرفتاران كه مفتاح نجات آمد	حجاب مرگ كيسو فت وهنگام حيات آمد

فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة
الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الاخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى
وابراهيم ينظر حتى بقى كل جثة بعضها ببعض فى السماء بغير رؤس ثم اقبلن
سعيا الى رؤسهن كلما جاء طائر قال براسه فانكان راسه دنا منه طار لم يكن

تاخر عنه حتی التقی کل طائر براسه حتی کمل والحکمة فی سعی الطیور الیه
دون الطیران لان ذلک ابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم
متوهم انها غیر تلک الطیور او ان ارجلها غیر سلیمة فنفی الله تعالی
هذه الشبهة بقوله یاتینک سعیا واعلم ان المفسرین اجمعوا علی ان
ابراهیم علیه السلام امر بذبح الطیور ونتف ریشها وتقطیعها جزءا
جزءا وخلط دمائها ولحومها وان یمسک رؤسها ثم امر بان یجعل اجزاءها
علی الجبال علی کل جبل ربعا منکل طائر ثم یدعوها تعالین
باذن الله تعالی ثم اخذ کل جزء یطیر الی الآخر حتی تکاملت الجثة ثم اقبلت
کل جثة الی راسها وانضم کل راس الی جثة وصار الکل احیاء باذن الله
خلافا لابی مسلم فانه انکر ذلک وقال ان ابراهیم علیه السلام لما طلب
احیاء المیت من الله تعالی اراه الله تعالی مثالا قرب به الامر علیه والمراد
بصرهن الیک الامالة والقرب ای نحهن الطیور الاربعة ان تصیر
بحیث اذا دعوتها اجابتک واتتک فاذا صارت کذلک فاجعل
علی کل جبل واحدا حال حیاته ثم ادعهن یاتینک سعیا بیت

مرغ دست آموز را چند انکه کس دور افکند	باز شاط بال آید باز چون گوید بیا

والغرض منه ذكر مثال محسوس في عود الارواح الى الاجساد على سبيل
السهولة واستدل بوجوه ضعيفة لاتطيل الكلام بذكرها واستدل القائلون
بالقول المشهور بوجوه ايضا الاول ان كل المفسرين الذين كانوا قبل
الي مسلم اجمعوا على انه حصل ذبح تلك الطيور وتقطيع اجزائها فيكون
انكار ذلك انكار الاجماع والثاني ان ماذكره غير مختص بابراهيم عليه السلام
فلا يكون له فيه مزية على الغير وثالثها ان ابراهيم اراد ان يريه الله كيف
يحيي الموتى وظاهر الآية يدل على انه اجيب الى ذلك وعلى قول الي مسلم
لاتحصل الاجابة في الحقيقة والرابع ان قوله ثم اجعل على كل جبل منهن
جزء ايدل على ان تلك الطيور جعلت جزء اجزاء او ان جاز اضافة الجزء
الى الاربعة لكن حمل الجزء على ماذكرناه اظهر قال في التاويلات النجمية
الطيور الاربعة هي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي
خمرت طينة الانسان منها وهي التراب والماء والنار والهواء فتولدت
من اذواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينه الماء
تولد الحرص والبخل وهما قرينان حيث وجد احدهما وجد قرينه
ومن النار وقرينها الهواء تولد الغضب والشهوت وهما قرينان

يوجدان معا وكل واحدة من هذه الصفاة زوج خلق منها ليسكن اليها
كحواء وآدم و يتولد منها صفات اخرى فالحرص زوجه الحسد والبخل
زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج
معين بل هي كالمعشوقة بين الصفات فيتعلق بها كل صفة ولها
منها متولدات يطول شرحها فهي الابواب السبعة للدركات السبع
من جهنم منها يدخل الخلق جهنم التي لها سبعة ابواب لكل باب منهم
جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها فيدخل النار
من ذلك الباب فامر الله خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة
طاؤوس البخل فلو لم يزين المال في نظر البخيل كما زين الطاؤوس بالوانه
ما بخل به وغراب الحرص وهو من حرصه اكل في الطلب وديك الشهوة
وهو بها معروف ونسر الغضب ونسبته اليه لتصريفه في ايطار فوق الطيور
وهذه صفة الغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت
منه متولداتها ما بقي له باب يدخل منه النار فلما القي فيها المنجنيق
فهرصارت النار عليه بردا وسلاما والاشارة بتقطيعها بالمبالغة
ونتف ريشها وتفريق اجزائها وتخليط ريشها ودمائها ولحومها بعضها

ببعض اشارة الى محو اثار الصفات الاربع المذكورة وهدم قواعدها
على يدى ابراهيم الروح بامر الشرع ونائب الحق وهو الشيخ والامر بتقسيم
اجزائها وجعلها على كل جبل جزء فالجبال الاربعة هى النفوس التى
جبل الانسان عليها اولها النفس النامية وتسمى النفس النباتية وثانيها
النفس الامارة وتسمى الروح الحيوانى وثالثها قوة الشيطنة وتسمى الروح
الطبعى ورابعها قوة الملكية وهو الروح الانسانى فطيور الصفات لما ذبحت
وقطعت وخلطت اجزاء بعضها ببعض ووضع على كل جبل روح ونفس
وقوة منها جزء امام الشرع تكون بمشابهة اشجار وزروع تجعل عليها
التراب المخلوطة بالزبل والقاذورات باستصواب دهقان ذى بصارة
فى الدهقانية بمقدار معلوم ووقت معلوم ثم يسقيها بالماء ليتقوى
الزرع بقوت التراب الزبل وتتصرف النفس النامية النباتية
فى التراب المخلوطة الميتة فتحييها باذن الله تعالى كقوله فانظر الى آثار
رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها فكذلك الصفات الاربع وهى الحرص
والبخل والشهوة والغضب مهما كانت كل واحدة منها على حالها غالبة
على الجوهر الروحانى تكسر صفائه وتمنعه من الرجوع الى مقامه الاصلى

ووطنه الحقيقي فاذا كسرت سطوتها وذهبت قوتها واميتت شعلتها
ومحيت اثار طباعها بامر الشرع وخلطت اجزائها المتفرقة بعضها
ببعض ثم قسمت باربعة اجزاء وجعل كل جزء منها على حبل قوة او نفس
او روح فيتقوى كل واحد من هولاء بتقويتها ويتربى فيتصرف فيها
الروح الانساني فيحييها ويبدل تلك الظلمات التي هي من خصائص
تلك الصفات المذمومة بنور هو من خصائص الروح الانساني والملكي
فتكون تلك الصفات ميتة من اوصافها حية باخلاق الروحانيات انتهى
وثالثها اي ثالث الامور قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال
اني سقيم بان هذه الاية تدل على صدور الذنب عن ابراهيم عليه السلام
من وجهين الاول ان النظر في علم النجوم غير جائز وهذه الاية دالة
على اقدامه بالنظر فيه والاقدام على فعل غير جائز ذنب والثاني انه
عليه السلام ما كان سقيما فلما قال اني سقيم كان ذلك كذبا فصدر الكذب عنه
عليه السلام والكذب ذنب والجواب ان هذا الطعن مندفع من وجوه
الاول انه عليه السلام نظر نظرة في النجوم في اوقات الليل والنهار و
كانت تاتيه سقامة كالحمى في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف

هل يمشي في تلك الساعة وقال اني سقيم فجعله عذرا في تخلفه عن العيد
الذي لهم وكان صادقا فيما قال لان السقم كان يأتيه في ذلك
الوقت وانما تخلف لاجل تكسير اصنامهم ويؤيده ما قال ابن زيد كان
له نجم مخصوص كلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم عليه السلام
ولاجل هذا الاستقراء لما رءاه طالعا في ذلك الوقت على تلك
الصفة المخصوصة قال اني سقيم اي هذا السقم واقع لا محالة والثاني
ان قوم ابراهيم عليه السلام كانوا اصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بها
على غائب الامور فلذلك نظر ابراهيم عليه السلام في النجوم اي
في علم النجوم وهو كما يقول فلان نظر في الفقه وفي النحو وانما اراد ان
يوهمهم انه يعلم ما يعلمون ويتعرف من حيث يتعرفون حتى
اذا قال اني سقيم سكتوا الى قوله واما قوله اني سقيم فمعناه
سأسقم ففيه تسمية الشئ باسم ما يؤل اليه امره وهو ليس بكذب بل هو واقع
في القرآن والحديث نحو انك ميت وانهم ميتون اي ستموت وسيموتون
وقوله عليه الصلوة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه وكما تقول لمن رايته
متجهزا للسفر انك مسافر والثالث ان قوله اني سقيم اي مريض القلب

بسبب طباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك والرابع انا لانسلم
ان النظر فى علم النجوم والاستدلال بمقائستها حرام لان من اعتقد ان
الله خص كلواحد من هذه الكواكب بقوة وخاصية لاجلها يظهر منه
اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل واما الكذب
فغير لازم لانه ذكر قوله انى سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان
لا ينفك اكثر احواله عن حصول حالة مكروهة اما فى بدنه واما فى قلبه
وكل ذلك سقم والخامس انه عليه السلام نظر فى النبات متحريا
واهو شتاء السقم ويقال للنبات نجوم اواراد من السقم الموت
اى يصدد الموت فيكون سقيما بالفعل بطريق التورية على انه
حامل للموت فى عنقه ومن يحمل الطاعون والحمى وهو سقيم فحامل الموت
بطريق الاولى روى انه مات رجل فجاءة فقيل سبحان الله مات وهو
صحيح فقال اعرابى أصحيح من الموت فى عنقه والسادس انه نظر نظرة
فى نجوم كلامهم ومتفرقات اقوالهم فان الاشياء التى تحدث قطعة قطعة
يقال انها منجمة اى متفرقة ومنه نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلماتهم
المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذره

لنفسه فى التخلف عنهم فلم يجد عذرا احسن من قوله انى سقيم لئلا
يخرجوه الى معبدهم فانه كان اغلب سقامهم الطاعون وكانوا يخافون
العدوى فلذا تركوه وخرجوا كلهم الى معبدهم وادا دمن السقم ماذكرنا
فان قيل اخرج ابو داؤد والترمذى وابن المنذر وابن ابى حاتم وابن
مردويه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكذب ابراهيم فى شئ قط الا فى ثلاث كلهن فى الله قوله انى سقيم ولم يكن
سقيما وقوله لسارة اختى وقوله بل فعله كبيرهم قلت هذا الحديث وامثاله
لاينبغى ان يقبل لان نسبة الكذب الى ابراهيم عليه السلام غير جائز ان
قيل كيف يحكم بكذب الرواة العدول مع ان امثال هذا الحديث موجودة
فى الصحيحين مثل حديث الشفاعة قلت لما وقع التعارض بين نسبة الكذب
الى الراوى وبين نسبته الى الخليل عليه السلام فنسبة الكذب الى الراوى
اولى بالضرورة من نسبة الكذب الى النبى وعلى تقدير القبول لم لا يجوز
ان يكون المراد بكونه كذبا خبرا شبيها بالكذب لا الكذب حقيقة لان
كلام ابراهيم عليه السلام قرينة دالة على انه تجوز فيه ولم يرد
ظاهره لانه قال لسارة انك اختى فى الاسلام كما فى حديث اخر

ونسبة الفعل الى الجماد قرينة على انه مؤول او مجوز فيه فلا يكون كذبا لا سيما
فيه قول بالوقف على بل فعله والابتداء بقوله كبيرهم هذا كما سيجئ ان شاء الله تعالى
قريبا لانه لما كان شانه عاليا عن الكناية بالحق فيقع ذلك من وقع الكذب
عن غير الانبياء اولانها لما كانت صورتها صورة الكذب سميت كذبات
حاصل الكلام ان كان المراد بالكذبات المذكورة في الاخبار الكذب حقيقة
فلا نسلم صحت الاخبار لان الانبياء معصومون عنه وان كان المراد بها
الكذب صورة لا حقيقة فلا يضر مطلوبنا كما قال القسطلاني في رد كلام
الامام من قوله واما قول الامام فخر الدين لا ينبغي ان ينقل هذا الحديث
لان فيه نسبة الكذب الى ابراهيم وقول بعضهم فكيف يكذب لراوي العدل
وجواب الامام له بانه لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوي
ونسبة الكذب الى الخليل كان من المعلوم بالضرورة ان نسبته الى الراوي
اولى فليس بشيء اذ الحديث صحيح ثابت وليس فيه نسبة محض الكذب
الى الخليل وكيف السبيل الى تخطية الراوي مع قوله اني سقيم وبل فعله
كبيرهم هذا وعن سارة اختي اذ ظاهر هذه الثلاثة بلا ريب غير مراد
ليس بشيء لان الامام لم ينكر عن صحت الاخبار مطلقا بل على تقدير

ارادة الكذب حقيقة كما عرفت فافهم ورابعها اى رابع الامور قوله تعالى
بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون بان ابراهيم عليه السلام
نسب الفعل الصادر منه الى الصنم الكبير وهو كذب واجيب عنه بوجوه احدها
مامر آنفا وثانيها ان ابراهيم عليه السلام لم يقصد باسناد الفعل الى الكبير
ان ينسب الفعل الصادر منه الى الصنم الكبير بل قصد به تقدير الفعل لنفسه
واثباته لها على اسلوب تعريضي مع الاستهزاء بالكبير لان اثبات الفعل
الدائر بين الشخصين لمن هو العاجز منهما استهزاء بالعاجز واثبات للقادر
منهما كما اذا اجبت من قال لك انت كتبت هذا وانت شهير بحسن الخط
وهو ممن لا يحسن الخط ولا يقدر الا على الخرخشة الفاسدة بل كتبت
انت فان قصدك بهذا الجواب تقدير الكتابة لك مع الاستهزاء بالاخر
لا نفيه عنك واثباته للاخر وثالثها ان اسناد الفعل الى الكبير من قبيل اسناد
الى السبب الحامل فانه عليه الصلوة والسلام اراد بالاصنام مصطفة مزينة
يعظمها المشركون ورأى على الكبير ما يدل على زيادة تعظيمهم وتخصيصهم اياه
بمزيد التواضع والخضوع اشتد بغضه وغيظه لهم فحمله ذلك البغض على
ما فعل بتلك الاصنام فلذلك اسند الفعل الى الكبير لانه هو الباعث

للفعل الا انه ابقى الكبير مع انه هو السبب الحامل له على استئانة الاصنام
وكسرها ليرد عليهم هذا القول الموهم لكون الاسناد اليه حقيقيا ليظهر
جهلهم في عبادة الاصنام وهذا الجواب اجود من الثاني لان خلاصة المسئ
في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسه وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل
وتجهيله في السؤال لابتنائه على ان صدورها من غيرك محتمل عنده مع استحالته
عندك ولا ريب في ان مراده عليه السلام من اسناد الفعل الى الصنم ليس مجرد
تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير
عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التامل في احوال الاصنام مما
ينبئ عنه قوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وثالثها انه لم يسند الفعل اليه
اعتقادا بل اسنده حكاية لما يلزم على مذهبهم جوازه كانه قال لهم كيف
تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر
على هذا او اشد منه ويؤيد هذا الوجه ما حكى انه قال فعله كبيرهم هذا بناء
على انه غضب ان تعبد معه هذه الصغائر وهي اكبر منها هيئة واشرف
منها جوهرا فانه لا وجه لهذا القول الا بان يكون على سبيل الحكاية لما يلزم
من مذهبهم فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تبييتهم على غضب الله تعالى عليهم

لاشراكهم بعبادة الاصنام وخامسها ان اسناد الفعل الى الكبير مشروط
بقوله ان كانوا ينطقون جعل النطق شرطا للفعل واراد به انهم ان قدروا
على النطق قدروا على الفعل فلما ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم
عن الفعل ايضا وسادسها ما يروى عن الكسائى انه كان يقف عند قوله
بل فعله ثم يبتدئ كبيرهم هذا اى فعله من فعله فيكون كناية عن غير مذكور ويجوز
ان يرجع الضمير الى فتى او الى ابراهيم وسابعها انه يجوز ان يكون فيه وقف
عند قوله كبيرهم ثم يبتدئ فيقول هذا فاسئلوهم والمعنى بل فعله كبيرهم وعنى
نفسه لان الانسان اكبر منكل صنم وتامنها ما فى المواقيت نا قلا
عن الشيخ الاكبر انه اجتمع روحه مع خليل عليه السلام قال فقلت له يا ابت
لم قلت بل فعله كبيرهم قال لانهم كانوا قائلين بكبرياء الله تعالى على آلهتهم
اللتى اتخذوها فقلت له فما كان خطيئتك فى قولك والذى اطمع ان يغفر لى
خطيئتى يوم الدين فقال هى نسبة المرض الى نفسى فى قولى واذا مرضت
فهو يشفين معه انه فى الحقيقة لم يمرضنى الا الله تعالى فمذ اكان خطيئة فقلت
له ولم قال تعالى فى حقك وانه فى الآخرة لمن الصالحين فخص صلاحك بالآخرة
واطلق الصلاح لغيرك من الانبياء فى الدنيا والآخرة فقال لان الصالح

من شرط ان لا يضيف الى نفسه شيئا الا باضافة الله تعالى وقد اضيفت
الى نفسه وغيرها ما ليس لها بغير اذن خاص من الله بقولى اذا مرضت وقولى
انى سقيم وقول بل فعله كبيرهم هذا واجاب بعضهم عن الطعن المذكور بان
الكذب ليس قبيحا لذاته وانما يقبح لاشتماله على مفسدة وقد يحسن الكذب
لاشتماله على مصلحة كتخليص ونحوه وحاصل كلام هذا البعض ان الكلام وسيلة
الى المقاصد فان كان المقصود مباحا ولم يكن اليه التوصل الا بالكذب
فهو مباح وان كان المقصود واجبا ولا يتوصل اليه الا بالكذب فالكذب
واجب والحق ان هذا الجواب مزيف لانا لو جوزنا ان يكذب النبى لمصلحة
لبطل الوثوق بالشرائع فلعل الانبياء اخبروا بما اخبروا المصلحة المكلفين فى
باب المعاش مع انه ليس للمخبر عنه وجود فى الواقع والعقل حاكم بان الرسول لا بد
ان يكون موثوقا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله ولا ثقة مع تجويز الكذب
عليه فكيف مع وجود الكذب عنه وخامسها اى خامس الامور احتجوا بقوله تعالى
حكاية عن ابراهيم عليه السلام واغفر لابى انه كان من الضالين وايضا
قال عنه اغفر لى ولوالدى وقال الله حكاية عنه فى سورة مريم قال
سلام
عليك سأستغفر لك ربى وقال ايضا لاستغفرن لك بانه قد ثبت

ان الاستغفار للكافر لا يجوز لقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولى قربى وارتكاب غير الجائز ذنب ومعصية والجواب عن
هذا الاعضال بوجهين الاول ان المغفرة مشروط بالاسلام وطلب المشروط
متضمن لطلب الشرط فقوله واغفر لابي واما له يرجع الحاصل الى انه دعا لابيه
بالاسلام والثاني ما قال الله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه وفيه قولان الاول ان يكون الواعد ابا ابراهيم عليه السلام والمعنى
ان اباه وعده ان من كان ابراهيم عليه السلام يستغفر له لاجل ان يحصل هذا المعنى
فلما تبين له انه لا يؤمن وانه عدو لله تبرأ منه وترك ذلك الاستغفار الثاني
ان يكون الواعد ابراهيم عليه السلام وذلك انه وعد اباه ان يستغفر له رجاء
اسلامه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه والدليل على صحة هذا التاويل قراءة
الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة والثالث ما قال بعض الفضلاء ان اباه قال له
علم دينه باطنا وعلم دينهم وظاهرا تقية وخوفا فدعا له لاعتقاده ان الامر كذلك
فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال انه كان من الضالين فلولا
اعتقاده فيه انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك وسادسها اي سادس الاجوبة
قوله تعالى حكاية عنه عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام بانه عليه السلام

طلب من الله ان يحفظه عن عبادة الاصنام ولا شك ان عبادة الاصنام
شرك وكفر كما قال انى بريء مما تشركون وصدور الشرك عن الانبياء
محال عقلا ونقلا واذا كان الامر كذلك فيكون سؤاله المذكور فى حقه
بلا فائدة وكل ما ليس فيه فائدة منهى عنه وكل عبث حرام والمركب للحرام
مذنب اجيب عنه بوجوه الاول جاز ان يكون طلبه هذا قبل العلم بعصمته
وامنه لان الامن لا يحصل الا بالاخبار من الله تعالى فلما اخبره الله تعالى
بامنه وعصمته من عبادة الاصنام صار مأمونا فما طلب العصمت بعده
والثانى انه عليه السلام وان كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى عصمه من عبادة الاصنام
الا انه دعا لنفسه لزيادة العصمة والثبات والدوام كما فى قوله واجعلنا مسلمين
لك اى ثبتنا على الاسلام والثالث انه عليه السلام دعا بهذا الدعاء هضما لنفسه
واظهارا للعجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته وان احدا لا يقدر
على منع نفسه شيئا لم ينفعه الله تعالى به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء
والرابع ان المراد بالاصنام الاعواض والاغراض فيكون مراده عليه السلام
بهذا الدعاء طلب العصمة من العبادة بمقابلة الاغراض والاعواض والعبادة
المذكورة وان لم تكن كفرا وشركا لكن تنافى الاخلاص عند اهل

الشرع واما عند الصوفية فهو شرك كما قالوا الشرك نوعان شرك
جلي وهو الذي يقول به المشركون وشرك خفي وهو تعليق القلب بالاسباب
الظاهرة والتوحيد المحض هو ان يقطع نظره عن الوسائط ولا يرى متفردا
الا الحق سبحانه وتعالى فاراد عليه السلام بهذا الدعاء العصمة من الشرك الخفي
بهذا المعنى والخامس سلمنا كونه عليه السلام عالما بان الانبياء معصومون
من الشرك مطلقا الا انه دعا في حالة خوف اذهله عن علم ذلك فان الانبياء
اعرف بالله من جميع الناس فخوفهم اكثر من خوف غيرهم فهو دعا لنفسه في مقام
الخوف والسادس سلمنا كونه عليه السلام دعى لبنيه الا انه قصد به الجمع بينه وبين بنيه
ليستجاب الدعاء فيهم بركته واجاب بعضهم بانه اراد به الذرية والاولاد واضيفت
الى نفسه لان الذرية منه فان قيل لما كان مراده عليه السلام بالدعاء وعصمت
بنيه فلا يخلو اما ان يكون المراد عصمت ابنائه الصلبية او اعم لا لسلم
ارادة الثاني لان كفار قريش من اولاد اولاده وهم يعبدون الاصنام مع
ان الانبياء مستجاب الدعوات في حق من دعا لهم فتعين الاول وليس له من
صلبه سوى اسماعيل واسحق عليهما السلام وهما من اكابر الانبياء فيرد عليه الاشكال
المذكور بعينه قلت يجوز ان يكون المراد عصمت ابنائه الصلبية ويكون هذا الدعاء

قبل العلم بنبوة ابنائه وعلى تقدير كون الدعاء بعد العلم بنبوة ابنائه الصلبية
يجوز ان يكون غرضه عليه السلام التثبيت والدوام كما فى قوله واجعلنا مسلمين
لك ويجوز ان يكون مراده عليه السلام من بنيه اعم من اولاده واولاد
اولاده الذين كانوا موجودين وقت الدعاء ولا شبهة ان دعوته لا
مجابة فيهم والجواب بما قال مجاهد بانه لم يعبد احد من ولد ابراهيم
عليه السلام صنما والصنم هو التمثال المصور وما ليس بمصور فهو وثن وكفار
قريش ما عبدوا التمثال وانما كانوا يعبدون احجارا مخصوصة واشجارا
مخصوصة ليس بقوى لانه عليه السلام لا يجوز ان يريد بهذا الدعاء الا
عبادة غير الله تعالى والحجر كالصنم فى ذلك ويجوز ان يكون المراد من بنيه
اولاد اولاده الذين اذن الله ان يدعوا لهم فكانه قال وبنى الذين اذنت لى
فى الدعاء لهم ولا شك فى عصمتهم من عبادة الاصنام يعنى يكون الدعاء
مختصا بالمؤمنين من اولاد اولاده والدليل عليه انه قال فى آخر الآية
فمن تبعنى فانه منى وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه
ونظيره قوله تعالى لنوح عليه السلام انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح

الفصل الرابع فى شان سيدنا لوط عليه السلام

واستدل الطاعنون فى عصمت الانبياء على عدم عصمته عليه السلام بقوله تعالى
حكاية عنه يعنى قومه قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا
تخزون فى ضيفى اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من
حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد من
وجوه الاول انه عليه السلام عرض بناته على الاوباش والفجار ودعاهم
الى الزنا بالنسوان وهو ذنب ومعصية والثانى ان قوله هن اطهر لكم
يقتضى بظاهره كون العمل الذى يطلبونه من الرجال طاهرا لهم مع انه قبيح
لا طهارة فيه اصلا والقول بطهارة الفعل القبيح ذنب بلا شبهة والثالث
ان قوله او آوى الى ركن شديد يدل على قنوط كلى ويأس شديد
من ان يكون له ناصر ينصره واليأس والقنوط الكلى من نصر الله تعالى
ذنب لا ريب فيه اجاب بعضهم عن الوجه الاول بانه عليه السلام ما دعاهم
الى الزنا نعوذ بالله من هذا القول الباطل بل دعاهم الى التزويج ببناته اما بشرط
ان يقدموا الايمان ولهذا قالوا ما لنا فى بناتك من حق يعنى انك دعوتنا
الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك واما لكون جواز نكاح
المؤمنة مع الكافر فى شريعته وهكذا كان فى اول الاسلام

بدليل ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم زوج ابنته من ابي العاص ابن
وائل وعتبة ابن ابي لهب قبل الوحي وهما كافران ثم نسخ ذلك بقوله
تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وكان خطاب لوط عم لرئيسي
قومه وهما اثنان وبناته عليه السلام ايضا كانتا اثنتين كما جاء في رواية
واعلم ان هذا الجواب وان كان صحيحا لكن الاولى في الجواب ما
قال مجاهد وسعيد بن جبير ان لوطا عليه السلام اراد ببناته نساء
قومه لانهن في الغالب بنات واضافهن الى نفسه لان كل نبي
ابو امته كما في قراءة ابي ابن كعب رضي الله عنه النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فعلى هذا التقدير يكون
معنى قولهم ما لنا في بناتك من حق ليس لنا في النساء حاجة
ولا فيهن شهوة بل نريد اتيان الرجال في ادبارهم والجواب عن الوجه
الثاني ان قوله اطهر لكم جار مجرى قولنا الله اكبر والمراد انه كبير لان
افعل قد يجيء بمعنى اصل الفعل فلا يدل على ان اتيان الذكور كان طاهرا
كما لا يدل قولنا النكاح اطهر من الزنا على كون الزنا طاهرا لانه خبث
ليس فيه شيء من الطهارة او يقال ان هؤلاء القوم اعتقدوا ذلك

طهارة فيه ذلك وعلى زعمهم الفاسد واعتقادهم الباطل فلا اشكال
فيه وأما الجواب عن الوجه الثالث فبوجوه احدها انه عليه السلام التجأ
الى الله تعالى فيما بينه وبين الله تعالى واظهر للاضياف العذر وضيق
الصدر والثاني هو ان العارف التام المعرفة قد يظهر عليه آثار النزول
فحينئذ يكون على هيئة العوام متشبثا بالاسباب كما
بينا في فصل الثالث وحال لوط عليه السلام من هذا القبيل وايضا كان
نظره عليه السلام على الضعف الذي جبل الانسان عليه كما قال الله تعالى
خلقكم من ضعف ولذا قيل العارف التام المعرفة ينظر الى هذا الضعف
ذوقا وحالا ويكون في غاية العجز والضعف عن التأثير والتصرف
لانقهاره تحت الوحدة الجمعية وقد قال الله تعالى فاتخذوه
وكيلا والوكيل هو المتصرف فان الهم التصوف بحزم تصرف وان منع
امتنع وان خير اختار ترك التصرف الا ان يكون ناقص المعرفة
والحاصل ان لوط عليه السلام لما شاهد سفاهة القوم واقدامهم
على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدركه على نفسه وقال
بل الالهان آوي ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله تعالى

وحمايته فقوله او آوى الى ركن شديد كلام منفصل عما قبله ولا تعلق له بما قبله كما قال الشيخ محى الدين النووى رحمة الله تعالى المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان واقواها وامنعها بيت

آستانش كه قبلهٔ همه است	در پناهش زناهى تا همه است
هر كه دل در حمايتش بست است	از غم هر دو كون وارست است

اذا عرفت هذا فاعلم ان قوله او آوى الى ركن شديد يدل على كمال ثقته بنصر الله تعالى لا على اليأس والقنوط الكلى كما توهمه الطاعن والثالث انه عليه السلام لم يلتجأ الى الله تعالى فى حماية الاضياف لشدة الاضطراب من شدة الكفار وشرارتهم فلذا قال نبينا عليه السلام استغرابا لاضطرابه عليه السلام رحم الله لوطا الى اخره وان سلمنا ان المراد بالركن الشديد هو الموضع المحكم الذى لا يقدر العدد على الدخول فيه كالحصن الحصين فهو ايضا لا ينافى التوكل على الله والوثوق به كحمل السلاح ولبس الدرع وغيرهما من اسباب التوقى ودفع الموذى بل هو عين التوكل به تعالى وتقدس

الفصل الخامس فى شأن ساداتنا يعقوب عليه السلام وابنائه غير يوسف عليه السلام

واحتجوا الطاعنون في عصمت الانبياء على عدم عصمت يعقوب عليه السلام
بامرين احدهما قوله تعالى حكاية عنه عليه السلام فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون فانه لما ظهر عنده عليه السلام بالقرائن كذب بنيه في قولهم
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب فصبر على فراق يوسف عليه السلام
والصبر على قضاء الله تعالى واجب فاما الصبر على ظلم الظالمين ومكر
الماكرين فغير واجب بل الواجب ازالته لاسيما في الضرر العائد الى الغير
وههنا ان اخوة يوسف عليه السلام لما ظهر كذبهم وخيانتهم فلم صبر يعقوب
عليه السلام على ذلك ولم يبالغ في التفتيش والبحث سعيا منه في
تخليص يوسف عليه السلام عن البلية والشدة ان كان في الاحياء وفي
اقامة القصاص ان حكم بقتله فثبت ان الصبر في هذا المقام مذموم
مع انه عليه الصلوة والسلام كان عالما بانه حي سليم لانه قال له وكذلك يجتبيك
ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث والظاهر انه انما قال هذا الكلام من
الوحي واذا كان عالما بحياته فكان من الواجب ان يسعى في طلبه وايضا
ان يعقوب عليه السلام كان رجلا عظيم القدر في نفسه وكان من بيت
عظيم شريف واهل العالم كانوا يعرفونه ويعتقدون فيه ويعظمونه فلو بالغ

في الطلب التفحص لظهر ذلك واشتهر ولزال وجه التلبيس منه عليه السلام
مع شدة رغبته في حضور يوسف عليه الصلوة والسلام ونهاية حبه له
لاي سبب لم يطلبه مع ان طلبه كان من الواجبات فثبت ان هذا الصبر
في هذا المقام مذموم عقلا وشرعا وارتكاب مثل هذا الامر
ذنب واجيب عن هذا الطعن بوجوه الاول جاز انه تعالى منعه من الطلب
تشديد اللمحنة عليه وتغليظا للامر عليه والثاني لعله عرف بقرائن
الاحوال ان اولاده اقوياء وانهم لا يمكنونه من الطلب والتفحص وانه
لو بالغ في البحث ربما اقدموا على ايذائه وقتله والثالث لعله عليه السلام
علم انه تعالى يصونه عن البلاء والمحنة وان امره سيعظم بالآخرة
ثم لم يرد هتك استار سرائر اولاده ومارضي بانقاصهم في السنة الناس
وذلك لان احد الولدين اذا ظلم الاخر وقع الاب في العذاب الشديد
لانه ان لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم وان انتقم
فانه يحترق قلبه على الولد الذي ينتقم منه فلما وقع يعقوب عليه السلام
في هذه البلية اي ان الاصوب الصبر والسكوت والتفويض الامر الى الله
تعالى بالكلية ثانيهما اي ثاني الامرين قوله تعالى وتولى عنهم

وقال يا اسفى على يوسف عليه السلام وابيضت عيناه من الحزن فهو
كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين
قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله والله اعلم من الله ما لا تعلمون اما
استدلال الطاعنين بهذه الآية فمن وجهين الاول انه عليه السلام
قال يا اسفا على يوسف وهذا اظهار للجزع وجار مجرى الشكاية من
الله وانه لا يجوز لانه عند استيلاء الحزن الشديد كان الواجب عليه
ان يشتغل بذكر الله تعالى وبالتفويض اليه والتسليم لقضائه وارتكاب
ما لا يجوز ذنب والثانى ان بلوغ يعقوب فى حب يوسف عليه السلام الى
هذا الحد العظيم لا يليق به لانه شان من كان غافلا عن الله فان من
عرف الله لحبه ومن احب الله لم يتفرغ قلبه لحب شئ سوى الله تعالى
وايضا القلب لواحد لا يتسع للحب المستغرق للشيئين فلما كان
قلبه مستغرقا فى حب ولده امتنع ان يقال انه كان مستغرقا فى حب الله
تعالى والغفلة من الله تعالى واستغراق القلب فى حب غيره ذنب عظيم
منهى عنه الانبياء عليهم السلام وهذا قال اهل التصوف ان الصوفى بعد
فناء قلبه لا يشتغل قلبه بغير الله سبحانه ولا يبقى فيه محبة احد من

فما بال يعقوب عليه السلام وهو من الانبياء الكبار والمصطفين الاخيار
اولى الايدى والابصار قد شغفه حب يوسف ع الكريم حتى ابيضت
عيناه من البكاء عليه وهو كظيم وما قيل ان العالم باسرها مجال
ومرايا الله تعالى فاشتغال قلبه بيوسف اشتغال به تعالى فى الحقيقة
فذلك قول فى غلبة التوحيد لاهل الابتداء او التوسط
ويستنكف عنه اهل الانتهاء فكيف الانبياء عليهم السلام فلو
كان كذلك فلا وجه لتخصيص تعلق الحب بيوسف عليه السلام دون
غيره والجواب عن الوجه الاول انه عليه الصلوة والسلام لما عظمت
مصيبته وقويت محنته فصبر وتجرع الغصة وما اظهر الشكاية الا
مع احد من الخلق بدليل قوله انما اشكو بثى وحزنى الى الله ولا ذنب
فى بث الشكوى والحزن الى الله تعالى فى مصائب تكون من جهة العباد
سيما وقد قيل انه كان من خوف ان يموت يوسف عليه السلام على غير
دين الاسلام كما جاء فى بعض الاخبار قال يوسف عليه السلام يا
ابت بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال يلى
ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك وبهذا السبب

استوجب المدح العظيم والثناء الكريم والاجر الجزيل كما روى
ان يوسف عليه السلام سأل جبرئيل عليه السلام هل لك علم بيعقوب
قال نعم قال وكيف حزنه قال حزن سبعين ثكلى وهي التي لها ولد واحد
ثم يموت قال فهل له فيه اجر قال نعم اجر مائة شهيد واما مجرد حزن القلب
وسيلان الدمع والتأسف عند المصيبة اذا لم يكن معه نوحة وامثال
ذلك من ضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها فليس فيها ذنب لما روى ان النبي عليه الصلوة
والسلام بكى على ولده ابراهيم وقال ان القلب ليحزن والعين تدمع ولا نقول
ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون ولان استيلاء الحزن
على الانسان ليس باختياره فلا يكون ذلك داخلا تحت التكليف
واما التأوه وارسال البكاء فقد يصير بحيث لا يقدر على دفعه
الانسان والجواب عن الوجه الثاني ان مثل هذه المحنة الشديد تزيل
من القلب كل ما سواه من الخواطر فان صاحب هذه المحنة الشديدة
لا يكون غافلا من الله بل يكون كثير الرجوع الى الله وكثير الاشتغال بالدعاء
والتضرع اليه فيصير ذلك سببا لكمال الاستغراق ويؤيده ما نقل
عن العارف الكامل سري السقطي رضي الله عنه انه رأى في المنام

يعقوب عليه السلام فقال له يا حبذا الانبياء ما هذا الاضطراب انك
قد اشتهرت في الدنيا بحب يوسف عليه السلام ففي موضع حبه كيف جمع
حب الله فسمع منادياً ينادي من الغيب يا سري اسكت وانظر الى
جمال يوسف فكشف له جمال يوسف عليه السلام فبمجرد المعاينة صاح
صيحة وخر على الارض مغشياً على الارض الى ثلاث عشرة ايام فلما
افاق سمع هاتفاً يقول هذا جزاء من لا يرى احباء الله تعالى
واما ما قالت الصوفية فالجواب عن قولهم انه لا يمكن اشتغال
قلب الصوفي بعد الفناء لشيء من الاشياء الدنيوية واما الاشياء
الاخروية فليس هذا شأنها فانها مرضية عند الله تعالى وتعلق القلب
بما هو مرضي له تعالى قال الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب اولي الايدي والابصار يعني اولي القوة في طاعة الله تعالى
وبصارة في معرفة الله تعالى واحكامه انا اخلصناهم بخالصة ذكر
الدار اي جعلنا خالصين بخصلة خالصة لا يشوب فيها هي ذكر
دار الآخرة قال مالك ابن دينار في معناه نزعنا من قلوبهم حب الدنيا
وذكرها واخلصناهم بحب الآخرة وذكرها وجعلنا الآخرة

مطمح نظرهم فيما يأتون وهذه الآية صريحة فى ان الآخرة مرضية له تعالى
وجها وما فيها موجب للمدح وما كان حب يعقوب على يوسف عليهما السلام
لامر دنيوى بل كان لاجل الآخرة كما يدل عليه الكلام الآتى قال سيدى
ومقتدائى المجدد الالف الثانى رضى الله عنه المعنى المتنزيهى ليست
فى الدار الدنيا كسوت الحروف والكلمات وسيلبس فى الجنة كسوت
الاشجار والثمرات فتعلق الحب بما كانه تعلق بالتنزيهات وقس على
وقال ايضا عندى ان جنة كل واحد عبارة عن ظهور اسم من اسماء الله تعالى الذى
وهو مبدء التعين وان ذلك الاسم قد سيظهر لذلك الشخص بصورة الاشجار
والانهار والحور والقصور والولدان فتفاوت الجنات للاشخاص
على حسب تفاوت الاسماء والصفات من حيث الجامعية وعدمها
وباعتبار قربه من الذات وغير ذلك وتلك الاشجار ونحوها قد تكون
على هيئة الاجرام الزجاجية فتصير وسيلة لرؤية الذات الغير المتكيفة
ثم تعود كما كانت هذا الى ابد الآباد فان قيل ان الممكن فى نفسه ليس
بعدم ومقتض للشر والنقص وما فيه من الحسن والجمال والخير والكمال
مستعار من الواجب والمحبة واشتغال القلب انما يتعلق بالحسن والجمال

وذلك مستعار فى كل ممكن من الواجب تعالى فما وجه الفرق بين الاشياء
الدنيوية والاخروية وجواز تعلق الحب باحدهما دون الاخرى
قلنا العالم باسرها محال ومظاهر لاسمائه وصفاته تعالى ممكنة
فى حد ذاتها واجبة لغيرها اى بذات الله تعالى لاحتياجها الى الذات لكن
لا يطلق عليها لفظ الامكان والوجوب بالغير لئلا يوهم حدوثها
وانفكاكها عن الذات ولما كانت الصفات ممكنة فى حد ذاتها
وان كان انعدامها مستحيلا بغيرها ففيها رائحة الامكان والعدم
ولاجل ذلك تنكشف الصفات عند الصوفى ذو جهتين وجه جانب
الوجود المستفاد من مرتبة الذات ووجه جانب احتمال العدم
نظرا الى امكانها فى ذاتها فوجهته وجودها حسن وجميل لا محالة
ووجهته عدمها ايضا لا تخلو عن حسن وجمال بمجاورة وجهته الوجود
وانكان ذلك الحسن فى مرتبة الوهم فيعلم انه يظهر فى نظر الكشف
ان صفاته تعالى تجلت فى الاشياء الدنيوية لوجهتها التى الى الاعدام
فهى من هذه الحيثية مربيات الاشياء الاخروية ولذلك
صارت الاخرى مرضية له تعالى مقبولة عنده وصار تعلق القلب

بتلك الاشياء كتعلقه بصاحبها فالكاملون في محبة الله تعالى الكاملون
في محبة الدار الآخرة وهذا وجه الفرق بين الاشياء الدنيوية
والاخروية وجواز تعلق الحب باحديهما دون الاخرى اذا تمهد هذا
فاستمع انه ذكر المجرد للالف الثاني رضي الله عنه ان وجود يوسف
عليه السلام وجماله وان كان مخلوقا في الدار الدنيا لكنه كان على
خلاف سائر الاشياء الموجودة فيها بل هو من جنس الموجودات الاخروية
وغايتها مضافة الله تعالى بوجهتها التي الى الوجود كما ترتبه الجنة وما فيها
من الحور والغلمان فلا حرم جاز تعلق قلب اهل الكمال وجميعهم به
عليه السلام كما جاز التعلق بالجنة وما فيها وقد ظهر هذا بالنظر الصحيح
والكشف الصحيح لا يتوهم احد انه يلزم حينئذ فضل يوسف عليه السلام
على سائر الانبياء بل على افضلهم عليه وعليهم الصلوة والتسليمات فان
الكلام المذكور ليشعران غير يوسف عليه السلام من الانبياء في الدنيا
مجال للصفات بوجهتها الى العدم لان هذا الاشعار انما هو بمفهوم القلب
ولا عبرة للمفهوم بل الحق ان الانبياء كلهم عليهم الصلوة والتسليمات مجال
للصفات باعتبار وجهتها الى الوجود الصرف وليس عدم ظهور حسن الآخرة

منهم في الدنيا لكونهم محجوبين للصفات بوجهتها التي الى العدم بل لامر خفي
لا يعلمه الا الله اذا عرفت هذا فاعلم ان الصوفي بعد فناء قلبه
لا يشغل قلبه بغير الله تعالى ولا يبقى في قلبه محبة احد من الخلائق
لكن لا ينافي ذلك اشتغال قلبه بمحبة الانبياء فان محبتهم عين
محبة الله عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس
اجمعين متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثلث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب
اليه مما سواهما الخ متفق عليه وايضا استدلوا على عدم عصمت
اخوة يوسف عليه السلام بامرين احدهما قوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم
لا يشعرون وجاءوا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب الخ قالوا هذا يدل
على صدور الذنب عن اخوة يوسف عليه السلام من وجوه الاول
انهم كذبوا في قولهم تركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب والكذب

ذنب ومعصية والثاني انهم آذوا يوسف عليه السلام والقوة في غيابت الجب
وهو ظلم والظلم ذنب عظيم والثالث انهم آذوا يعقوب عليه السلام وهو نبي
وايذاء الانبياء كبيرة لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والآخرة والرابع ان يعقوب عم ابوهم وايذاء الاب ذنب عظيم
لقوله تعالى ولا تقل لهما اف الخ واجاب بعضهم لا فاضل عن الوجه الاول
بانهم ما كذبوا في الحقيقة لان مرادهم انه اكله الذئب على زعمك حيث
قلت اني اخاف ان يأكله الذئب وهو ليس بذنب ولا يخفى ما في هذا
الجواب من الوهن على من له ادنى دراية وعن الثالث انهم لما رأوا كون
يوسف عليه السلام محبوبا للابوين مع انه غير نافع له وهم يخدمون للآباء
بانواع الخدمات وينفعون له من وجوه كثيرة ومع هذا لا يصلون الى درجته
علموا ان محبة الاب على يوسف ليس لاجل العلة والمحبة لغير العلة
صفة الله تعالى اذ كل حب بين المخلوق فهو معلول بالعلة فاراد وا ان
يرفعوا يوسف من بين يديه لتنعدم عنه هذه المحبة التي هي صفة الحق
وهم فيه معذورون لعدم علمهم بان جمال يوسف عليه السلام مرآة لمشاهدة
الحق تعالى وهو السر الباعث على كونه محبوبا لابيه يعقوب عم اقول لا افهم معنى

قول المجيب والمحبت لغيرا لعلت صفة الله تعالى ان كان معناه ان محبت المخلوق
على الخالق تكون بلا علة وغرض فهذا خلاف الواقع وان كان معناه
ان محبت الخالق على المخلوق تكون بلا علة وغرض راجع اليه تعالى
فهذا حق لكن لا مضايقة في اتصاف العبد بصفات الله تعالى بل هو
عين الكمال فكانهم اختاروا القبائح المذكورة ليجتنب ابوهم عن اتصافه
بصفة الله تعالى الذى هو عين كمال الانسان وهذا غير معقول وقال
بعض المفسرين ان اخوة يوسف عليه السلام ما كانوا انبياء لما روى ان
يعقوب عليه السلام لما دخل مصر راى اهلها يعبدون الاوثان والنيران
فخاف على بنيه بعده فاتنة فقال لهم وقت وفاته ما تعبدون من بعدى
قالوا نعبد الهك واله ابائك الآية ولو كانوا انبياء ما خاف هو عليهم
لان الانبياء معصومون عن عبادة الاوثان فلا يرد الاشكال والاولى
في الجواب عن الوجوه كلها ان يقال على تقدير ثبوتها ان اخوة يوسف
فعلوا ذلك قبل النبوة ولا ندعى العصمة قبلها فلا يتوجه الايراد واما
على تقدير علم كونهم انبياء كما هو المختار فلا اشكال وثانيهما اى
ثانى الامرين قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة بان

اخوة يوسف عليه السلام باعوه بثمن بخس وهو حر وبيع الحر غير جائز والمرتكب
لفعل غير جائز مذنب وجوابه قدم آنفا وايضا بيع الحر كان جائزا فى شريعتهم
فلاجل هذا اخذ يوسف عليه السلام اخاه بن يامين بالاسترقاق وبهذا
استرق اهل المصر كلهم فى ايام القحط ثم اعتقهم وايضا جاز فى دينهم بيع الحر
بسبب السرقة والدين والاقرار فلما قالوا وقت البيع هذا عبدنا فاقر يوسف
بالعبودية تخوفا منهم زعموا انه صار عبدا لهم فاخطؤا فى التاويل وذلك
زلة لا ذنب وايضا جاء فى رواية ان البائعين ليوسف عليه السلام
هم الذين اخرجوه من الجب فباعوه على مالك فاخذ واثمنه لا اخوة ليوسف

عليه السلام الفصل السادس فى ستار سيدنا يوسف عليه السلام

واجتراء الطاعنون فى عصمة الانبياء عليهم السلام على عدم عصمته بامور احدها
قوله تعالى حكاية عنه عليه السلام قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه
لا يفلح الظالمون بان يوسف عليه السلام كان حرا وما كان عبد الاحد
فقوله انه ربى يكون كذبا وذلك ذنب وكبيرة وجوابه انه عليه السلام اجرى
هذا بحسب الظاهر وعلى وفق ما كانوا يعتقدون فيه من كونه عبد العزيز وايضا
انه رباه وانعم عليه بالوجوه الكثيرة فعنى بكونه ربا له مربيا له وهذا من باب

المعاريض الحسنة فان اهل الظاهر يحملونه على كونه ربا له وهو كان يعني
انه كان منعما عليه ومربيا له ولهذا اعترف بالعبودية وقت شرائه وقال
انى عبد وكان مراده انى عبد الله لا عبد هؤلاء يعنى الاخوة وهم زعموا
انه اقر بالعبودية ومن اقر بالعبودية يكون عبدا فى دينهم فاشتروه
على اخذ ثمنه كما هو المختار وتأيدها قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا
ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين بان يوسف عليه السلام قدهم بها والهم عبارة عن عقد القلب على
فعل شئ قبل ان يفعل من خير او شر وهو القصد فعزم بها قصد تجاذبها
ومجامعتها قال جعفر الصادق فى اسناده عن على رضى الله عنه طمحت منه
وطمح فيها فكان طمعه فيها انى يحل التكته وعن ابن عباس رضى الله عنهما
انه حل الهميان اى السربال وجلس منها مجلس المجامع وعنه ايضا انها استلقت له
وجلس بين رجليها ينزع ثيابه وعنه ايضا فى تفسير اراءة البرهان انه تمثل له
يعقوب فراءه عاضا على اصابعه ويقول له انعمد عمل الفجار وانت مكتوب فى
زمرة الانبياء فاستحى منه والى هذا ذهب عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك
ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت

شهوته من ذلك وعنه انه لم يتزجر برؤية صورة يعقوب حتى ركضته جبرئيل عليه السلام
فلم يبق فيه شئ من الشهوة الا خرج وقال السيد نوى يا يوسف انواعها انما
مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطاق عليه وان مثلك اذا واقعتها
كمثله اذا وقع على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيئا ومثلك مالم تواقعها
مثل الثور الصعب لذى لا يطاق عليه ومثلك اذا واقعتها مثله اذا اسان
ودخل النمل فى قرنه لا يستطيع ان يدفعه عن نفسه وايضا روى انه يبست كفه
بينما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته
ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم يرجع فيه فقال الله لجبرئيل ادرك
عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف لا تعمل عمل السفهاء
وانت مكتوب فى ديوان الانبياء وايضا قيل انه سمع صوتا اياك واياها
فلم يلتفت له فسمع ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم يرجع فيه حتى مثل له يعقوب
عاضا على انمله وقيل سمع فى الهواء قائلا يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير
يكون له ريش فاذا زنا ذهب ريشه وايضا روى ان المرأة قامت الى صنم لها مكلل
بالدر والياقوت فى زاوية من زوايا البيت فسترته بالاثواب فقال له

يوسف ولم فقالت استحي من الهي هذا ان يراني على المعصية فقال تستحي
من صنم لا يسمع ولا يعقل ولا استحي من الهي القائم على كل نفس بما كسبت والله
لا افعل ذلك ابدا فهذه الرواية كلها دالة على وصدله عليه السلام المعصية
قصدا لمعصية معصية والجواب عن هذه الشبهة ان يوسف عليه السلام كان
بريئا عن العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين
وبه ناخذ ونقول وعنه نذب واعلم اولا ان الدلائل الدالة على وجوب عصمت
الانبياء عليهم السلام كثيرة ولقد استقصيناها في الباب الاول فلا نعيدها الا انا
نزيد هنا وجها وحجة الاولى ان الزنا من منكرات الكبائر والخيانة في معرض
الامانة ايضا من منكرات الذنوب وايضا مقابلة الاحسان العظيم بالاساءة
للوجنية الفضيحة التامة والعار الشديد من منكرات الذنوب ايضا الصبي
اذا تربى في حجر انسان وبقي مكفي المؤنة مصون العرض من اول صباه
الى زمان شبابه وكمال قوته فاقدام هذا الصبي على ايصال اقبح انواع
الاساءات الى ذلك المنعم المعظم من منكرات الاعمال اذا ثبت هذا فنقول
ان هذه المعصية التي تنسبونها الى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات
الاربع ومثل هذه المعصية لو نسبت الى احمق خلق الله تعالى ابعدهم عن كل خير

لاستنكف منه فكيف يجوز اسنادها الى الرسول عليه السلام المؤيد بالمعجزات
القاهرة الباهرة ثم انه تعالى قال في عين هذه الواقعة كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء وذلك يدل على ان ماهية السوء والفحشاء معصومة ولا شك
ان المعصية التي تنسبها اليه لعظم انواع السوء واشنع اقسام الفحشاء فكيف يليق
برب العالمين ان يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريا عما هو اقل سوءا ومعاصيه كانت
باعظم انواع السوء والفحشاء وايضا فالآية دالة على قولنا من وجه اخر وذلك
لانا نقول هب ان هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه لانه لا شك
انها كقيد المدح العظيم والثناء البالغ فلا يليق بحكمة الله تعالى ان يحكي عن انسان
اقدامه على معصية عظيمة ثم انه يمدحه ويثني عليه باعظم المدائح والاثنية عقيب
ان حكى عنه ذلك الذنب العظيم فان مثاله ما اذا حكى السلطان عن بعض عبيده
اقبح الذنوب واخس الاعمال ثم انه يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه فان
ذلك ليستنكر جدا فكذا ههنا والثانية ان الانبياء عليهم السلام متى صدرت
منهم زلة او هفوة استعظموا ذلك واتبعوها باظهار الندامة والتوبة
والتواضع ولو كان يوسف عليه السلام اقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان
من المحال ان لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه

اتيانها كما في سائر المواضع وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا انه ما صدر عنه
في هذه الواقعة ذنب ولا معصية والثالثة ان كل من كان له تعلق بتلك الواقعة
فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية واعلم ان الذين لهم تعلق
بهذه الواقعة يوسف عليه السلام وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود
ورب العالمين شهد ببراءته من الذنب وابليس قرابته ببراءته عن المعصية
واذا كان الامر كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب اما بيان
ان يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب وهو قوله عليه السلام
وما ابرئ نفسي وقوله عليه السلام رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
واما بيان ان المرأة اعترفت بذلك فلانها قالت للنسوة ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم وايضا قالت الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين واما زوج المرأة اقر بذلك فهو قوله انه
من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك
واما الشهود فقوله تعالى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين واما شهادة الله تعالى بذلك فقوله كذلك
لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقد شهد الله تعالى

فى هذه الاية على ظهارته اربع مرات اولها قوله لنصرف عنه السوء واللام لتاكيد
والمبالغة والثانى قوله والفحشاء اى كذلك لنصرف عنه الفحشاء الثالث قوله
انه من عبادنا مع انه تعالى قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والرابع قوله المخلصين وفيه قراءتان
تارة باسم الفاعل واخرى باسم المفعول فوروده باسم الفاعل يدل على
كونه اتيا بالطاعات والقربات مع صفة الاخلاص وورودة باسم
المفعول يدل على ان الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته وعلى
كلا الوجهين فانه من اول الالفاظ على كونه منزها عما اضافوه اليه
وايضا لاشك ان المراد من قوله تعالى ولاجر الاخرة خير للذين امنوا
وكانوا يتقون شرح حال يوسف عليه السلام فوجب ان يصدق فى حقه
انه من الذين امنوا وكانوا يتقون وهذا تخصيص من الله عز وجل على انه
كان فى الزمان السابق من المتقين وليس ههنا زمان سابق ليوسف
عليه السلام يحتاج الى بيان انه كان فيه من المتقين الا ذلك الوقت
الوقت الذى قال الله فيه ولقد همت به وهم بها فكان هذا شهادة من الله
تعالى على انه عليه السلام كان فى ذلك الوقت من المتقين وايضا

قوله ولا نضيع اجر المحسنين شهادة من الله تعالى على انه عليه السلام
كان من المحسنين وقوله انه من عبادنا المخلصين شهادة من الله تعالى
على انه عليه السلام كان من المخلصين فثبت ان الله تعالى شهد بان يوسف
عليه السلام كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين والطاعن
فيه اهل الحشو يقول انه كان من الاخسرين المذنبين ولا شك ان
من لم يقبل قول الله تعالى مع هذه التاكيدات كان من الفاسقين
الاخسرين واما بيان ان ابليس اقر بطهارته فلانه قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فاقر بانه لا يمكنه اغواء المخلصين
ويوسف عليه السلام من المخلصين لقوله تعالى انه من عبادنا المخلصين
فكان هذا اقرارا من ابليس بانه ما اغواه وما اضله عن طريقة الهدى
اذا عرفت هذا فنقول هؤلاء الطاعنون الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام
هذه الفضيحة ان كانوا من اتباع الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى
على طهارته وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة
ابليس على طهارته ولعلهم يقولون كنا في اول الامر
تلامذة ابليس الى ان رجحنا عليه فرددنا عليه في السفاهة كما قال الحواري

وكنت امرأ من جند ابليس فارتقى	بى الدهر حتى صار ابليس من جندى
فلومات تلبى كنت احسن بعده	طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

فتثبت بهذه الدلائل ان يوسف عليه السلام برئ منكل ذنب و معصية ولما كان هذا المقام الكريم مما يجب الاعتناء به والبحث عنه فلابد لنا فيه من البيان الشافى والكلام الكافى ليميز الحق من الباطل اعلم ان ما يرد على القلب فانواع بعضها مقدم على البعض الآخر وسبب لوجوده اولها الناظر كالوخطر مثلا صورة امرأة واينها ورائه فى الطريق والتفت اليها الرائها ويسمى حديث النفس وثانيها هيجان الرغبة الى النظر اليها وهو حركة الشهوة الكامنة فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر ويسمى ميل الطبع وثالثها حكم القلب بان هذا ينبغى ان يفعل اى ينبغى ان ينظر اليها ويسمى بالاعتقاد وهو يتبع الخاطر والميل ورابعها تصميم القصد وجزم النية على الالتفات ويسمى بالعزم فالخاطر والميل لا يؤخذ بهما لقوله عليه السلام عفى لامتى ما حدثت به نفوسها ولعدم دخولهما تحت حكم التكليف والاختيار واما حكم القلب فهو مردد بين ان يكون اختياريا اولا فما عزم الفعل والجزم به فانه يؤخذ به لقوله تعالى

ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذا عرفت هذا فاعلم
انا لا نسلم ان هم يوسف عليه السلام كان بمعنى القصد والعزم بل كان همه بمعنى
الخاطر وميل الطبع وشهوة النفس وهو غير داخل تحت التكليف
فلا مؤاخذة فيه بل هو الحقيق بالمدح والاجر الجزيل فان السبب لافضلية
البشر على الملائكة كف النفس عن الفعل عند قيام هذا الهم قال الشيخ
ابو منصور الماتريدي هم يوسف عليه السلام بها هم خطرة ولا صنع
للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه
الله تعالى بانه من عبادنا المخلصين وقال بعض اهل الحقايق الهم هما هم ثابت
وهو ما اذا كان معه عزم وعقد ورضى كهم امرأة العزيز فالعبد ماخوذ به
وهم عارض مثل الخطر وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم كهم يوسف
عليه السلام والعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم او لم يعمل قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قال الله تعالى اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها
له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بعشرة امثالها واذا تحدث
سيئة فانا اغفرها ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها
رواه البغوي من حديث ابي هريرة فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى

وهم بما اى مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب
وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لانه قصدها قصدا اختياريا
الا ترى الى ان المرة لما قالت له هيتلك قال فى جوابها معاذ الله اى اعوذ بالله
معاذا مما تدعينى اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل
بانه منكرها بل يجب ان يعاذ بالله تعالى للتخليص منه وهما ذا لم يكن الا لانه
عليه السلام قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان الذى يعلم به
فى حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء فكانه نبه اولا بان الزنى قبيح لذاته
لا ينبغى للعاقل ان يريده ولما لم تقبل هذا العذر منه لما سولت لها
نفسها علل الامتناع وعدم الارادة ببعض الاسباب الخارجية مما يحسن
ان يكون موثرا عندها وداعيا لها الى اختياره بعد التنبيه على سببه الذاتى
فقال انه ربى احسن مثواى ان سيدى العزيز احسن تعهدى حيث
اكرمك باكرامى فكيف يمكن ان اسعى اليه بارادة الخيانة فى حرمه ثم
لم يقبل هذا العذر منه ايضا علل الامتناع بتعليل آخر فقال انه لا يفلح
الظالمون وهل هذا المذكور الا تسجيل باستحالة صدور الرمى المقصد
منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه باهم الذى هو القصد والعزم المجرد

فى صورة همها فى الذكر بطريق المشاكلة كقوله جزاء سئية سئية مثلها
لا شبه به كما قيل بل بنفس قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى
برهان ربه دال على تباين الهمين من حيث الوجود والعدم حيث لم يذكرهما بعبارة
واحدة بان قيل ولقد هما بها لطلة او هم كل واحد بالآخر بل صدر الاول بما يقرر
وجوده من التاكيد [illegible] من قوله ولقد همت به وقيد الثانى بالشرط الذى يفيد
فقال وهم بها لولا ان [illegible] برهان ربه اى لولا ان رأى حجة ربه الباهرة
الدالة [illegible] سبيله لهم بها ولكنه كانت الحجة حاضرة
لديه حضور من يراها بالعين فلم يهم بها اصلا لكمال ايقانه بها ومشاهدته
لها مشاهدة واصله الى مرتبة عين اليقين الذى تتجلى هناك حقائق الاشياء
بصورها الحقيقة وتنخلع عن صورها المستعارة التى بها تظهر فى
هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات فكانه عليه السلام قد شاهد الزنى بموجب
ذلك البرهان النير على ما هو عليه فى حد ذاته اقبح ما يكون وا وجب
ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم
بعدم افلاح من يرتكبه مع كونه فى غاية الاستعداد لذلك لما اتاه الله تعالى

من القوة معه كونه فى سن الشباب فلولا المراقبة لهم نها لتوفر الدواعى
غير ان النور الشهود محاها اصلا وهذا هو الذى تدل عليه اساليب هذه الآية
من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنه السوء وان الجن احب اليه
من ذلك مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها ما جزأ من اراد باهلك
سوء الآية من مطلق الارادة قال الامام فى تفسيره الكبير والثالث
ان يفسر الهم بحديث النفس وذلك لان المرأة الفائقة فى الحسن والجمال
اذا تزينت وتهيأت للرجل الشاب القوى فلا بد وان يقع هناك بين الحكمة
والشهوة الطبعية وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات فتارة تقوى
داعية الطبعية والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة
فالهم عبارة عن جواذب الطبعية وروية البرهان عبارة عن جواذب
العبودية ومثال ذلك ان الرجل الصالح الصائم فى الصيف الصائف
اذا رأى الجلاب المبرد بالثلج فان طبعية تحمله على شربه
على ان دينه وهداه يمنعه منه وهذا لا يدل على حصول الذنب
بل كلما كانت هذه الحالة اشد كانت القوة فى
القيام بلوازم العبودية اكمل انتهى ولو تنزلنا وسلمنا

ان الهم بمعنى القصد والعزم وهو قد حصل من يوسف عليه السلام فنقول
ان الهم لا يتعلق بذوات الاعيان لانه من جنس القصد وهو لا يتعلق
بذوات الباقية فقوله تعالى وهم بها لا بد فيه من الاضمار يعني
لا بد وان يضمر فعل مخصوص ليجعل هو متعلق ذلك الهم فنحن نضمر الدفع
والضرب فالمراد انه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك
الفعل القبيح لانه لما كان الهم بمعنى القصد فلا بد ان يحمل ذلك القصد
في حق كل واحد على القصد الذي يليق به فاللايق بالمرءة القصد الى تحصيل
اللذة والتنعم والتمتع واللائق بالرسول المبعوث الى الخلق القصد
الى زجر العاصي عن معصيته والى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
يقال هممت بفلان اي بضربه ودفعه فان قيل فعلى هذا التقدير
لا تبقى لقوله لولا ان رأى برهان ربه فائدة قلنا فيه فائدة
عظيمة من وجهين الاول انه تعالى اعلم يوسف عليه السلام انه لو هم
بدفعها لقتلته او لكانت تأمر الخدم بقتله فاعلمه الله تعالى ان الامتناع
من ضربها اولى صونا للنفس عن الهلاك والثاني انه عليه السلام لو اشتغل
بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به وكان يتمزق ثوبه من قدام وكان

فى علم الله تعالى ان الشاهد ليشهد بان ثوبه كوثمزق من قدام لكان يوسف
هو الخائن ولو كان ثوبه ممزقا من خلف لكانت المرأة هى الخائنة فالله تعالى
اعلم بهذا المعنى فلاجرم لم يشغل يده فيها عن نفسه بل ولى هاربا عنها حتى صارت
شهادة الشاهد حجة له على براءته عن المعصية وتاييده وما فى البواقيت بهذه
العبارة والجواب من قوله تعالى شان يوسف عليه السلام ولقد همت به وهم بها
ما ذكر الشيخ محى الدين فى الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات
ان روحه اجتمعت بروح يوسف عليه السلام فى بعض سراءات الروحية
فقال له يا نبى الله ما معنى الاشتراك فى اخبار الله تعالى عنك بقوله ولقد
همت به وهم بها فانه تعالى يعلم فيهما ذا ولا يخفى ان اللسان يدل على احدية
المعنى فقال عليه السلام نعم ولذلك قلت للملك على لسان رسوله ان ليسأل
النسوة مما ذكرت للرأة الا انذارا وديانتى عن نفسى وما ذكرت انى راودتها
فاستعصم فافهم ما قلته لك فانه يزول ما كان بتوهمه بعض الناس لما لم يعلم الله تعالى هى
فقلت له يا نبى الله اللسان يؤذن بالاشتراك فقال نعم لكن فى اللفظ دون المعنى
فانها همت بى لتقهرنى على ما ارادت منى وهممت انا بما لا قهرها بالدفع عن
ذلك والاشتراك فى طلب القهر منى ومنها وكان تعالى يقول ولقد همت به يعنى

فى عين ماهم بها وليس الا القهر فيما يريد كلواحد من صاحبه دليل ذلك قول المرأة
الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه فاستعصم وما جاء فى قصتى قط انى
راودتها عن نفسها فاراني الله تعالى البرهان عند ارادتى القهر فى دفعها عنى
فيما تريده منى وكان تلك البرهان الذى اراني الله تعالى انى ادفعها اولا
بالقول اللين كما قال الله تعالى لموسى وهارون فقولا له قولا لينا انتهى واما
ما نقله الطاعنون فى حقه عليه السلام من الجلوس بين رجلى المرأة بقصد
الزنى وحل تكة الازار ورويته البرهان عما ذكر فى وجه الطعن وينسبونه
الى السلف فلم يصح منه شئ عن احد منهم بل الاقوال المنقولة عنهم اذا جمعت
تناقضت وتكاذبت فيما بينها ويأبى عن صدقها سياق كلام الله تعالى ايضا
فانه قال لنصرف عنه السوء والفحشاء والسوء هو الصغيرة وهى موصوفة
عنه عليه السلام والاقوال المذكورة لو صدقت لدلت على صدور الصغيرة
البتة والعجب انهم نقلوا فى موضع آخر ان جبرائيل دخل حجرة النبى صلى الله عليه
وسلم وبقى هناك بغير علمه فامتنع جبرئيل عليه السلام من الدخول عليه
اربعين يوما وههنا زعموا ان يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة
ذهب اليه جبرئيل عليه السلام واعجب منه قولهم ان يوسف عليه السلام

لم يمتنع عن ذلك العمل لسبب رؤية يعقوب عليه السلام ولا بحضور جبرئيل ع
حتى ركضه جبرئيل ع ولوان افسق الخلق واكفرهم واوقح الزناة واشطرهم
واحدقهم حدقة واجلحهم وجها كان مشتغلا بفاحشة فاذا دخل عليه رجل
على ذى الصالحين ما بقى له عرق ينبض ولا عضو يتحرك وههنا انه رأى
يعقوب عليه السلام عض على انامله فلم يلتفت اليه ثم ان جبرئيل عليه السلام
على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع ايض عن ذلك القبيح لسبب حضوره
حتى احتاج الى ان يركضه على ظهره فنسأل الله ان يصوننا عن الغى فى الدين
والخذلان فى طلب اليقين ولم يتدبر هذا الفريق فى قصته ع فان الله تعالى
امدحه واثنا عليه فيما انزل من الكتب الاولين ثم فى القرآن الذى
هو حجة على سائر كتبه ومصدقها ولم يقتصر الا على استيفاء
قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق
فى الآخرين كما جعله جده الخليل ابراهيم واليقتدى به الصالحون
الى آخر الدهر فى العفة وطيب الازار والتشبث فى مواقع العثار فاخزى الله
اولئك فى ايرادهم ما يؤدى الى ان يكون انزال الله السورة البتة
هى احسن القصص فى القرآن العزيز المبين ليقتدى بنبى من انبياء الله

فى القعود بين شعب الزانية وفى حل نكته للوقوع عليها وقرانه ينهاه ربه
ثلاث مرات ويصاحبه ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ
العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذى سقط ريشه ولم يستطع
دفع شئ عن نفسه وهو جاثم فى مرضه لا يتحامل ولا ينتهى ولا ينتبه حتى يتداركه
الله بجبرئيل عليه السلام ولم ينظروا هؤلاء المفتونون الى شان امرأة
العزيز فانها مع كونها كافرة وغاضبة على يوسف غضبا شديدا
فى تلك الحالة لما شاهدت منه عليه السلام انه استعصم منها مع انه كان
فى عنفوان الشباب وكمال القوة ونهاية الشهوة عظم اعتقادها فى
طهارته ونزاهته فاستحيت ان تقول ان يوسف قصدنى بالسوء وما
وجدت من نفسها ان ترميه بهذا الكذب على سبيل التصريح بل
اكتفت بالتعريض فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا ومع هذا
ما صرحت بالزنى بل صرحت بالسوء مجازا ان يكون مرادها من السوء قدامه عليه السلام
على ضربها ومنعها ودفعها عن نفسه فهذا وان لم يكن سوء فى نفسه
لكنه اذا كان خلاف مرضيها صار بالنسبة اليها جاريا مجرى السوء فانظر
الى تلك المرأة ما صرحت باسم يوسف فى قولها ولا بالزنى اجتنابا

من الافتراء والكذب الصريح وهؤلاء الحشوية يرمونه بعد آلاف
سنين بالكذب الصريح والقصد القبيح وينقلون فيه روايات كلها
اباطيل وخرافات تمجها الاذان وترذها العقول والاذهان ويل
لمن لاكها ونفقها او سمعها وصدقها فان قيل الاقوال المذكورة
روايات ائمة التفسير الذين اخذوا التاويل ممن شاهد التنزيل
فان لم نقبلها لزمنا تكذيب لرواة فكيف حكمتم بالخرافات قلت
لو قبلناها لزمنا الحكم بمعصية الرسول ولاشك ان صوت الرسول
من المعصية اولى من صوت طائفة من المجاهيل عن الكذب ومن الذي
يضمن لنا ان الذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا
صادقين ام كاذبين وايضا لاينافي لمدعانا صدق بعض مرويا تهم
لان ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز فنقول انه عليه السلام
كان ممتنعا من الزنا بحسب الدلائل الاصلية فلما انضاف
اليها هذه الزواجر قوى الانزجار وكمل الاحتراز واذا
حققت هذا فاعلم ان ما قال المولى
الجامي في كتابه المنظوم في قصته عليه السلام من قوله

نظم

دلش میخواست دُرسفتن بالماس ولی میداشت حکمِ عصمتش پاس

زلیخا در تقاضا گرم و یوسف همی انگیخت اسبابِ توقف

نهاده برازاری خویش دستی یکی عقده کشادی دو به بستی

فتادش چشم ناگه در میانه بزرگش پرده در گنج خانه

سوالش کرد کان پرده چی چیست دران پرده نشسته پردگی کیست

بگفت آنکس که تا من زنده هستم برسم بندگانش می پرستم

بتی تن از زر و چشمش ز گوهر درونش طبلهٔ پر مشک اذفر

بهر ساعت فتاده پیش اویم سرِ طاعت نهاده پیش اویم

درونِ پرده کردم جای گاهش که تا نبود بسوی من نگاهش

زمن آئین بد دینی نه بیند درین کارم که می بینی نه بیند

چو یوسف این سخن بشنید زو بانگ کزین دینار نقدم نیست یک دانگ

ترا آید بچشمِ مردگان شرم وزین نازندگان در خاطر آرزم

من از بینای دانا چون نترسم زقیومِ توانا چون نترسم

بگفت این و زمیانِ کار برخاست وزان خوشش [illegible] بیدار برخاست

الف کرد ازدو شاخ لام الف در رها نداز گاز سیمین شمع کافور

موافق لمطلوبنا كما هو الظاهر من اول الابيات ولا يختلج في صدرك ان آخر
كلام المذكور يدل على خلاف ذلك لانه قال على وفق زعم امراة العزيز لانه قال
ذلك القول معتقدا قصد الزنى من يوسف عليه السلام ولا لصار مناقضا
في كلامه ولو فرضنا انه اعتقد وقوع القصد منه عليه السلام بالفعل فما قول ان هذه العقيدة
مخالف لعقائد اهل السنة والجماعة ومقالاتهم كما عرفت الا انه لما وصلت اليه مرويات
اهل الجبر والحشو لم يتدبر في صحتها وسقمها كما هو دأب لشر اعتقدها فقال ما قال
فليكن حذر من اهل السنة ان يصدقه ويتمسك بكلامه هذا فافهم وأجاب بعض العلماء
عن الطعن المذكور بان هذا الهم صدر عن يوسف عليه السلام قبل النبوة وقال البعض الهم
بمعنى النظر فمعنى قوله وهم بها اى نظر اليها وما ل الآخرون الى ان الهم بمعنى
الغم فمعنى قوله تعالى وهم بها اى غمه امتناعه عنها والكل لا يخلو عن الضعف
تامل فيه وثالثها اى ثالث الامور قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون واحتجوا
بانه عليه السلام وضع السقاية في رحل اخيه خفية ثم استخرجه منه ليتهمه بالسرقة
مع كونه بريا منها وايضا حبسه عند نفسه مع انه عليه السلام كان عالما بان ذلك
الحبس سبب لزيادة حزن ابيه وايضا ان قول المؤذن ايتها العير انكم لسارقون

انكار زيادة عليه السلام ففيه اتهام الاخوة كذبا وبهتانا وان لم يكن بامره فكان
الواجب عليه انكاره واظهار براءتهم عن هذه التهمة انه عليه السلام ما فعله وايضا
مضى من وقت ولادته عن ابيه الى وقت وصاله معه ثمانون سنة او سبعون
او اربعون على اختلاف الروايات ولم يبعث في هذه المدة الطويلة احدا الى
ابيه ليعلمه بحياته وسلامته وليس هذا الا انقطاع الصلة والمرتكب لهذه الامور
مذنب والجواب انه عليه السلام لما الهم لاخيه انه يوسف قال له اني ارسلت حبسك
عندي ولا سبيل اليه الا بهذه الحيلة ان ترضى بها فاقول في حقك فرضي اخوه
بان يقال في حقه ذلك فلم يتألم قلب اخيه بهذا الكلام فخرج عن كونه تهمة وايضا
جاز ان يكون حبسه لاخيه باجازة الله تعالى كما يدل عليه قوله كذلك كدنا
ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله فلا يكون
في حبس اخيه ولا في زيادة حزن ابيه ذنب لهذا اوله شمائله على مصالح
كثيرة كما لا يخفى واما قول المؤذن فجاز ان يكون يكون بغير امره وبغير
حضوره ويكون تقدير الكلام فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية
في رحل اخيه وامهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وجاز ان يكون
بامره وفي حضوره عليه السلام ويكون مراده انكم لسارقون يوسف عن

ابيه الا انه ما ظهر هذا فكان من المعاريض لا من التهمة والكذب واما عدم
اطلاعه لابيه في تلك المدة الطويلة فهو ايضا كان بامر الله تعالى ومن تمام تشديده
على يعقوب عليه السلام والا فيعقوب عليه السلام كان من اكابر الانبياء ويلا قيه
جبرئيل وميكائيل وغيرهما من الملائكة فلم لم يستفسر عن حياته ومعاشه وتعين مكانه
ولكن لما كان منظورا لانبياء اجراء ما قدره الله تعالى عليهم من التشديدات
والبلايا لم يستفسر يعقوب عليه السلام من الملائكة تعين مكانه اصلا مع شدة
حزنه بفراقه وغاية تمنائه الى لقائه فكذلك كان يوسف عليه السلام مشتاقا الى لقاء
ابيه غاية الاشتياق وحزينا محزونا كما قيل ان جبرئيل عليه السلام دخل على يوسف
حين ما كان في السجن فقال له ان بصر ابيك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على راسه
وقال ليت امي لم تلدني ولم اك حزنا على ابي ولكن لما كان في علمه تعالى انجبار الفرقة
بينهما الى وقت معلوم لم يتهيأ لهما اسباب التوصل بفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد
والدليل على ما ذكرنا ما ذكر ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في
خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب و
خزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس وهو اول من عملها قال
يا بني ما منعك عن هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني

جبرئيل قال اوما تسأله قال انت اسبق اليه مني فاسئله قال جبرئيل امرني
بذلك لقولك ان يأكله الذئب ورابعها اى رابع الامور قوله تعالى وقال الملك
ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على
خزائن الارض اني حفيظ عليم بانه عليه السلام اظهر رغبة الامارة في اول الامر قالت
مع الملك وطلبها عن سلطان كافر وطلب الامارة ممنوع قال رسول الله صلى الله
عليه وآله لعبد الرحمن ابن سمرة لا تسأل الامارة فاذا كان طلبها مطلقا ممنوعا
من السلطان الكافر بطريق الاولى وايضا انه عليه السلام قال اني حفيظ عليم
ترك الاستثناء وايضا فيه مدح لنفسه وهما ممنوعان قال الله تعالى فلا تزكوا
انفسكم وقال ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فيمن
ارتكب امثاله عنه من الوجوه المذكورة واركتاب المنهي عنه ذنب والجواب
ان التصرف في امور الخلق كان واجبا على يوسف عليه السلام لانه كان رسولا حقا من الله
الى الخلق ويجب على الرسول رعاية امور الامة بقدر الامكان وما كان
يمكنه التوصل الى الرعاية الا بهذا الطريق وما لا يتوصل الى الواجب الا به
فهو واجب فكان هذا الطريق عليه واجبا ولا نسلم انه مدح نفسه بل بين كونه
موصوفا بهاتين الصفتين النافعتين في حصول هذا المطلوب وليس هذا

مدح النفس ولا تزكيتها ولا ترك الاستثناء بفعل يفعله غدا بل بيان الحال وعلى
تقدير التسليم فلا نسلم كون المدح مذموما مطلقا بل اذا كان الرجل واصدا به النطاول
والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل واما على غير هذا الوجه فلا ولعل السبب في تركه الاستثناء
خوف فوات المطلوب لانه لو ذكر الاستثناء لاعتقد الملك عدم قدرته على ضبط
تلك المصلحة التي قال الملك لاجلها انك اليوم لدينا مكين امين وايضا يمكن ان يقال
بانه استثنى في نفسه من غير ظهوره للخلق وخاصها اي خاصا لك امور قوله تعالى ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا الخ بيان يعقوب عليه السلام كان ابا يوسف عليه السلام
وحق الابوة عظيم قال الله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا فقرن حق الوالدين بحق نفسه فلو لم يجب عليه تعظيم الوالد الا تذليله وايضا
ان يعقوب عليه السلام كان شيخا وكان حده واجتهاده في تكثير الطاعة اكثر من حد يوسف
عليه السلام فلو اوجب على يوسف ان يبالغ في خدمته لاجل انه من اكابر الانبياء
وكان العكس كذلك وجب على يوسف عليه السلام بان يسجد له يعقوب عليه السلام وايضا
مع ان السجدة لغير الله تعالى لا يجوز فترك ما يجب عليه والوصية لا يجوز له ذنب
والجواب عن هذا الاشكال ما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء ان معنى
قوله تعالى وخروا له سجدا خروا لاجله وحد انه سجدا لله تعالى وحاصل الكلام

ان ذلك السجود كان سجود الشكر فالمسجود له هو الله تعالى لا انه لما كانت السجدة
لاجل وجدان يوسف عليه السلام قال وخروا له سجدا والدليل على صحت ما قلنا
انه لو كان السجود لله لا لله تعالى لسجدوا له قبل الرفع والصعود على العرش لان
ذلك ادخل في التواضع واما معنى قوله رأيتهم لي ساجدين رأيتهم لا جلي
ساجدين لي او احد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدت لله لطلب مصلحتي وللسعي في اعلاء
امنصبي وقيل في جوابه انهم جعلوه كالقبلة وسجدوا لله شكرا لنعمته وجدانه
كما جاز ان يقال صليت الى القبلة جاز ان يقال صليت للقبلة وقيل في جوابه
ان السجدة كانت ليوسف عليه السلام تعظيما له وتحية له وقد كانت
الامم السالفة تفعل ذلك كما تحيى المسلمون بعضهم بعضا بالسلام قال
قتادة في قوله وخروا له سجدا كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض وقيل
ما روي عن صهيب ان معاذا لما قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا معاذ ما هذا قال ان اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورئيت النصارى
تسجد لقسيسها وبطارقتها فقلت ما هذا قالوا تحية الانبياء فقال عليه السلام
كذبوا على انبيائهم وقيل في جوابه انه قد يسمى التواضع بالسجود قال الشاعر
ترى الاكم فيها سجدا للحوافر فالمراد انهم تواضعوا ليوسف عليه السلام لان الظاهر

يأباه الا ان يكون بمعنى المرور كما فى قوله تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا

الفصل السابع فى شأن سيدنا موسى عليه السلام واستدل

الطاعنون فى عصمت الانبياء على عدم عصمته عليه السلام بامور احدها

قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان

هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه

فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب

انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم فانهم يقولون ان كلام الله

تعالى هذا يدل على صدور الذنب عن موسى عليه السلام من وجهين اولهما ان ذلك القبطى

اما ان يقال انه كان مستحقا للقتل ولم يكن كذلك ان كان الاول يعنى مستحقا للقتل

فقوله هذا من عمل الشيطان وقوله رب انى ظلمت نفسى وقوله فى سورة اخرى فعلتها

اذا وانا من الضالين يكون ذنبا لانه قال للام للشروع بل الواجب انه عمل الشيطان وانه ظلم

وضلالة وايضا يأبى تعيين هذا الشق قوله تعالى فغفر له لان الغفران لا يستعمل الا فى

استتار الذنب وان كان الثانى يعنى ان لم يكن ذلك القبطى مستحقا للقتل كان قتله

معصية وذنبا وثانيهما ان قوله هذا من عدوه يدل على انه كان كافرا حربيا فكان دمه مباحا

والاستغفار من الفعل المباح غير جائز لانه يوهم فى المباح كونه حراما والمرتكب للفعل

الغير الجائز مذنب أجاب صاحب تفسير الكبير عن الوجه الاول بقوله والجواب
عن الاول لم لا يجوز ان يقال انه كان لكفره مباح الدم اما قوله هذا من عمل الشيطان
ففيه وجوه أحدها لعل الله تعالى وان اباح قتل الكافر الا انه قال الاولى تأخير
قتلهم الى زمان اخر فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب فقوله هذا من عمل الشيطان
معناه اقدامي على ترك المندوب من عمل الشيطان وثانيها ان قوله هذا
اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه فقوله هذا من عمل الشيطان اي
عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله تعالى مستحقا
للقتل وثالثها ان يكون قوله هذا اشارة الى المقتول يعني انه من حزب الشيطان
وحزبه يقال فلان من عمل الشيطان اي من احزابه اما قوله رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي فعلى نهج قول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا والمراد
احد الوجهين اما على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام
بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب قط او من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب
اما قوله فاغفر لي اي فاغفر لي ترك هذا المندوب وفيه وجه اخر وهو ان يكون
المراد رب اني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الملعون فان فرعون لو عرف
ذلك لقتلني به فاغفر لي اي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون فيقتلني

اى ستره عن الوصول الى فرعون ويدل على هذا التاويل انه على عقب قال رب بما
انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين ولو كانت اعانت المؤمن هنا سببا للمعصية
لما
قال ذلك واما قوله فعلتها اذا وانا من الضالين فلم يقل انى صوت بذلك ضالا
ولكن فرعون لما ادعى انه كان كافرا فى حال القتل نفى عن نفسه كونه كافرا فى ذلك
الوقت واعترف بانه كان ضالا اى متحيرا لا يدرى ما يجب عليه ان يفعله ويمايده
برده
فى ذلك عامته واجاب ذلك المجيب عن الوجه الثانى بقوله قلنا كون الكافر مباح
الدم امر يختلف باختلاف الشرائع فلعل قتلهم كان حراما فى ذلك الوقت او
انكان مباحا لكن الاولى ترك على ما قرره اه انتهى والاولى فى الجواب ان يقال
ان ذلك القبطى ما كان مستحقا للقتل فى ذلك الوقت وما كان غرض موسى
على نبينا وعليه السلام بالضرب قتله بل كان غرضه بالدفع والضرب تخليص
الاسرائيلى فكان دفعه الاصلاح لا الافساد ولكن لما صار القبطى مقتولا من
صدافعته قدم هو على فعله بذلك السبب فقال هذا من عمل الشيطان اى القتل
بدون الاستحقاق من عمل الشيطان وقال رب انى ظلمت نفسى بعدم الاحتياط
فى المدافعة فاغفر لى يعنى هذا الذى فتا عنه القبطى فغفر الله له ذلك ولم يؤاخذه
لانه لم يذنب فى الحقيقة لكنه لعلو شانه وسمو مكانه خاف عنه وطلب المغفرة

مع ان ذلك الفعل كان قبل نبوته لان ظهور نبوته كان بعد مجيئه الى مدين وبعد
انقضائه الاجل المضروب بينه وبين شعيب عليهما السلام كما يدل عليه قوله تعالى
فلما قضى موسى الاجل وسار باهله الآية وعن هذا اندفع الطعن بالوجه الثاني ايضا
فانهم وثانيها ان موسى عليه السلام قد اقر بثبوت الذنب عليه بقوله وانهم على
ذنب فاخاف ان يقتلون الخ فان صدق في قوله هذا فقد ثبت المدعى وهو انه مذنب
وان كذب فيه فالكذب ايضا ذنب فيلزم على التقديرين صدور الذنب
منه وهو المطلوب والجواب عنه ما مر آنفا من انه عليه السلام فعله قبل النبوة
بدون قصد القتل وايضا اجيب بانه كان صادقا في قوله تعالى وكان
مراده عليه السلام انهم على ذنب في زعمهم لا انه مذنب في الواقع ولا يلزم
من كونه مذنبا في زعمهم كونه مذنبا في الواقع ويؤيد هذا المراد قوله في جواب
فرحت منكم لما خفتكم يعني فعلت ذلك الفعل اذ
اهل مصر كونه مهلكا وكان مني في حكم السهو فلم يثبت على ذنب ولم استحق العقاب
الذي يوجب الفرار ومع ذلك فررت منكم عند سماع قول الرجل ان الملأ
يأتمرون بك فان قيل كيف خاف موسى عليه السلام وهو كامل مع ان الواحد
من الاولياء لا يخاف احدا الا الله قلت ان مقام الخوف لا يترك

من وجوه منها ان الكامل يرى من نفسه الضعف بخلاف حجاب الحكمة من الاولياء

ومنها انه يجب على الكامل الفرار منكل شئ يؤذي بدنه او يلتبس بالعلم وان

خالف ذلك اثم ومنها ان في الخوف علم تعطيل الاسباب فكان الفرار

منكمال موسى ويحتمل ان خوفه منهم انما هو خوف من الله بالاصالة وان سيدنا ابراهيم

عليه فرجع خوفه منهم الى خوفه تعالى من الله تعالى ذلك محمود وقالتها قوله تعالى

قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا الخ بان

موسى عليه السلام امر سحرة فرعون بما هو سحر وكيدهم اذا قصدوا بذلك تكذيب

موسى عليه السلام كان كفرا والامر بالكفر ذنب ومعصية والجواب عن هذا الطعن

بوجوه اولها لا نسلم ان نفس الالقاء كفر ومعصية لانهم اذا القوا وكان غرضهم

ان يظهر الفرق بين ذلك الالقاء وبين معجزة الرسول عليه السلام وهو

موسى كان ذلك الالقاء ايمانا وانما الكفر هو القصد الى تكذيب موسى عليه السلام

وهو انما امر بالالقاء لا بالقصد الى التكذيب وثانيها ان ذلك الامر كان

مشروطا والتقدير القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كما في قوله تعالى

فأتوا بسورة من مثله ان كنتم صادقين اي ان كنتم قادرين وثالثها انه

لما تعين ذلك طريقا الى كشف الشبهة صار ذلك جائزا وهذا كالمحتاج اذا علم

ان في قلب واحد شبهة وانه لو لم يطالبه بذكرها وتقريرها بأقصى ما يقدر عليه
لبقيت تلك الشبهة في قلبه وخرج بسببها عن الدين فان الحق ان يطالبه
بتقريرها على اقصى الوجوه ويكون غرضه من ذلك ان يجيب منها ويزيل اثرها
عن قلبه فطالبته بذكر الشبهة لهذا الغرض تكون جائزة فكذا ههنا وراجعها
انا لا نسلم ان يكون ذلك امرا بل يكون معناه انكم ان اردتم فعاله فلا مانع
منه حسا لينكشف الحق وعاشرها ان موسى عليه السلام لا شك انه كان
كارها لذلك ولا شك انه نهيهم عن ذلك بقوله ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
فيسحتكم بعذاب واذا كان الامر كذلك استحال ان يكون قوله امرا لهم
بذلك لان الجمع بين كونه ناهيا وامرا بالفعل الواحد محال فعلمنا ان قوله
غير محمول على ظاهره وحينئذ يزول الاشكال وسادسها ان موسى عليه السلام
قد علم انهم يلقون سواء اذن لهم ام لا بدليل ما انتم ملقون فلا يكون ذلك الاذن
حراما بل فيه قلت مبالات بسحرهم وسابعها ان اظهار السحر لم يكن حراما حينئذ فانه
مما يختلف فيه الشرائع بحسب الاوقات وثامنها ان هذا ليس بامر بل هو تهديد
اى ان فعلتم ذلك اتينا بما يبطله كقول القائل لان رميتني لا فعلن ولاصنعن
ثم يقول السهام فيقول لها رمي فيكون ذلك منه تهديدا وتاسعها انهم

لما تواضعوا له وقدمه على انفسهم وقالوا اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى
تواضع هو ايضا لهم فقدمهم على نفسه فقال القوا على رجاء ان يصير ذلك التواضع
سببا لقبول الحق . ولقد حصل ببركة ذلك التواضع ذلك المطلوب وهذا تنبيه
على ان اللايق بالمسلم في كل الاحوال التواضع لان مثل موسى عليه السلام
لما لم يترك التواضع مع اولئك السحرة فبان يفعل الواحد منا اولى ورابعها
اى رابع الامور قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال يا هارون ما
منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعني افعصيت امري قال يا ابن ام لا
تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
ولم ترقب قولي فتمسكهم بهذه الآية من وجوه احدها ان موسى عليه السلام
اما ان يكون قد امر هارون باتباعه اولم يأمره فان امره به فاما ان
يكون هارون قد اتبعه اولم يتبعه فان اتبعه كانت ملامت موسى لهارون
معصية وذنبا لان ملامة غير المجرم معصية وان لم يتبعه كان هارون
تاركا للواجب فكان فاعلا للمعصية واما ان قلنا ان موسى عليه السلام
ما امر هارون باتباعه كانت ملامة اياه بترك الاتباع معصية فثبت انه على
جميع التقديرات يلزم اسناد المعصية اما الى موسى او الى هارون

وثانيها قول موسى عليه السلام افعصيت امري استفهام على سبيل الانكار
فوجب ان يكون هارون قد عصاه وان يكون ذلك العصيان منكرا
والا لكان موسى عليه السلام كاذبا وهو معصية فاذا فعل هارون عليه السلام
ذلك فقد فعل المعصية وثالثها قوله يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وهذا
معصية لان هارون عليه السلام قد فعل ما قدر عليه من النصيحة والوعظ والزجر
بقوله يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري فان
كان موسى عليه السلام قد بحث عن الواقعة وبعد ان علم ان هارون قد فعل
ما قدر عليه كان الاخذ برأسه ولحيته معصية وان فعل ذلك قبل تعرف
الحال كان ذلك ايضا معصية ورابعها ان هارون عليه السلام قال لا
تأخذ برأسي ولا بلحيتي فان كان الاخذ بلحيته ورأسه جائزا كان قول
هارون لا تأخذ برأسي منعا له عما كان له ان يفعله فيكون ذلك معصية
وان لم يكن ذلك الاخذ جائزا كان موسى عليه السلام فاعلا للمعصية والخوض
عن الوجوه كلها انا قد بينا انواعا من الدلائل الجليلة في انه لا يجوز صدور
المعصية من الانبياء وحاصل هذه الوجوه تمسك بظواهر قابلة
للتاويل ومعارضة ما يبعد عن التاويل بما ليس كذلك والتاويل غير جائز

اذا انبنت هذه المقدمة فاعلم ان لنا في الجواب عن هذه الاشكالات وجوها
احدها انا وان اختلفنا في جواز المعصية على الانبياء لكن اتفقنا على
جواز ترك الاولى عليهم واذا كان كذلك فالفعل الذي يفعله احدهما
ويمنعه الآخر واعني بهما موسى وهارون عليهما السلام لعله كان احدهما اولى
والآخر كان غير الاولى فلذلك فعله احدهما وتركه الآخر وثانيها ان موسى عليه السلام
اقبل وهو غضبان على قومه فاخذ برأس اخيه وجره اليه كما يفعل الانسان
بنفسه مثل ذلك عند الغضب فان الغضبان المتفكر قد يعض على شفتيه
ويقتل اصابعه ويقبض على لحية فاجرى موسى عليه السلام اخاه هارون
عليه السلام مجرى نفسه لانه كان اخاه وشريكه فصنع به ما يصنع الرجل بنفسه
في حال التفكر والغضب فاما قوله لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي فلا يمتنع ان
يكون هارون عليه السلام خاف من ان يوقع بنو اسرائيل من سوء
ظنهم انه منكر عليه فيه عاون له ثم اخذ في شرح القصة فقال اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل وثالثها ان بني اسرائيل كانوا على
نهاية سوء الظن بموسى عليه السلام حتى ان هارون غاب عنهم غيبة فقالوا
لموسى عليه السلام انت قتلته فلما وعد الله تعالى موسى عليه السلام ثلاثين ليلة

واتمها بعشر وكتب فى الالواح منكل شئ ثم رجع فرأى فى قومه ما رأى
فاخذ برأس اخيه لدنيه فيتفحص عن كيفية الواقعة فخاف هارون
عليه السلام ان يسبق الى قلوبهم ما لا اصل له فقال ابن ام ان القوم
استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع
القوم الظالمين ولا برأسى لئلا يظن القوم ما لا يليق بك واجاب بعضهم
انه انما فعل ذلك لانه ظن ان هرون رضى الله بما فعل قومه من عبادت العجل
والحق ان هذا العذر اقبح من المعتذر عنه فالجر براسه عليه السلام اهون من الظن
فيه انه رضى بالعجل شريكا فى الربوبية للرب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وايضا يمكن ان
يجاب بان موسى عليه السلام لما رأى جزع هارون واضطرابه لما جرى من قومه اخذه
ليسكنه من قلقه كما يفعل الواحد منا اذا اراد اصلاح غضبان او تسكين مضطرب قال
صاحب الكشاف كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة
والتصلب فى كل شئ شديد الغضب لله تعالى ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون
عجلا من دون الله تعالى من بعد ما رأوا من الآيات العظام ان القى الواح التوراة
لما غلب على ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله تعالى وحمية وعنفا باخيه
وخليفة على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المتكاثر انتهى فان قيل هب انه كان
شديد الغضب ولكن مع ذلك الغضب الشديد هل كان يبقى عاقلا مكلفا ام لا

فان بقي عاقلا مكلفا فالاسئلة باقية بتمامها اكثر ما في الباب انك ذكرت
انه اتى بغضب شديد وذلك من جملة المعاصي وتمسكت باستصحاب الآخر فانقلت
بانه في ذلك الغضب لم يبق عاقلا ولا مكلفا فهذا مما لا يرتضيه مسلم البتة
قلت انه عليه السلام مع شدة غضبه كان عاقلا مكلفا الا انه لما رأى قومه على
حالة الكفر حصل له تحير ودهشة عظيمة بسبب ذلك لا يقال على مقتضى الالواح
سقطت عن رأسه من غير اختياره ولا نسلم ان شدة الغضب في مثل ذلك الموضع
من جملة المعاصي بل هو من جملة العبادات كما تدل عليه الاخبار الصحيحة وخامسها
خامس الامور قوله تعالى فقال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا
قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني
ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قالوا ان الخضر قال لموسى انك
لن تستطيع معي صبرا وقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا
وكلا واحد من هذين القولين يكذب الآخر فيلزم لحاق الكذب باحدهما او
على التقديرين فيلزم صدور الكذب عن الانبياء عليهم السلام واجيب بانه يحمل
قوله انك لن تستطيع معي صبرا على الاكثر الاغلب وعلى هذا التقدير لا يلزم
ما ذكروه والجواب قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا يعني ستجدني صابرا ان شاء الله

كونه صابرا لهذا يقتضي كونه شاكا في وجدان الصبر فلا يلزم الاشكال وسادسها
اي سادس الاسئلة قوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال
لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فان هذه الآية تدل على
صدور الذنب اما اولا فان قول موسى عليه السلام اخرقتها لتغرق اهلها ان
كان صدقا دل ذلك على صدور الذنب العظيم عن الخضر وان كان كذبا دل على
صدور الكذب عن موسى عليه السلام واما ثانيها فان موسى عليه السلام التزم
ان لا يعترض على الخضر وجرت العهود الموكدة لذلك ثم انه خالف تلك
العهود وذلك ذنب والجواب عنه اما اولا فانه لما شاهد موسى عليه السلام
منه الامر الخارج عن العادة قال هذا الكلام لاجل انه اعتقد فيه انه فعل
فعلا قبيحا مخالفا للواقع بل لانه احب ان يقف على وجهه وسببه وقد يقال
في الشيء العجيب لذي لا يعرف سببه انه امر واعلم انك ان قلت انما صدر عن الخضر
لما كان خارجا ومخالفا عن العادة ولهذا انكر عليه موسى عليه السلام فلو جاء
شاب السفينة وادعى على الخضر نقصان القيمة بسبب الخرق عند موسى صاحب الشرع
او جاء وارث المقتول وادعى على الخضر القصاص او الدية عنده واثبت

ذلك بالبينة فحكم او حكم موسى بعلمه وحده او مع شاهد آخر كيوشع مثلا او
اخيه كما هو المقرر في الفتاوى الحنفية في الفروع هل يجوز هذا الحكم منه على الخصم ام
لا فاقول وبالله التوفيق لا يجوز هذا الحكم منه ولا سماع الدعوى والبينة عليه
قياسا واستدلالا على مسئلة مقررة عند العلماء الحنفية والشافعية وهو انه
لا يجوز الحكم من المجتهد على مجتهد آخر بما ادى اليه اجتهاده مثلا لا يجوز الحكم
من ابي حنيفة على الشافعي في مسئلة المثلث فان المثلث حرام عند الشافعي
وحلال عند ابي حنيفة فلو ان الشافعي المثلث لاحد بعلة كونه خمرا وهو ليس
بمال متقوم لا يجوز لابي حنيفة ان يحكم بالضمان عليه بعلة كونه مباحا وما لا
متقوما عنده وكذا لا يجوز للشافعي ان يحكم بحد الشرب عند شرب ابي حنيفة
المثلث بعلة كونه خمرا وحراما عنده فكما لا يجوز للمجتهد ان يحكم باجتهاده
على مجتهد آخر كذلك لا يجوز لنبي صاحب الوحي ان يحكم على نبي آخر صاحب وحي
نقلي من الله وبما هذا الوحي مخصص او ناسخ لتلك العمومات الواردة في
مثل هذا الحكم فكانه قال الحكم كذا الا اذا شهد خزيمة من فلان كشهادة خزيمة
فانه خص من العمومات الواردة في اعتبار العدد في الشهادة فكانه قيل الحكم
كذا في الشهادة الا اذا شهد خزيمة وحده وهذا الجواب مستقيم على مذهب

من قال ان الخضر صاحب الوحي من الله ولا يستقيم على مذهب من قال انه ولي صاحب
كشف وكرامة حيث لا يجوز للولي ان يتلف مال احد او يقتل احدا ابتداء بطريق
الكشف والالهام الذي ليس بحجة على الغير حتى لو ادعى احد على الولي تلف
المال او قتل النفس بغير حق حكم عليه صاحب الشرع بالضمان والقصاص ولا يجوز
ان يقول فعله بالهام من الله اذ الالهام ليس بحجة على الغير الا ان يقال نزل
الوحي على موسى في شان هذه الحوادث بانه ما فعله الخضر كان حقا ومن
عند الله كما نزل الوحي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين قتل عمر رض
فادعى اولياء المقتول عليه بالقصاص فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان ما فعله عمر رضي الله حق من الله فمنع رسول الله اولياء المقتول عن دعوى
القصاص وحكم بهدر الدم واما ثانيا فانه عليه السلام فعله بناء على النسيان كما
قال لا تاخذني بما نسيت ولا مواخذة على الناسي بشيء وسابعها اي سابع الامور
ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
ملك الموت الى موسى بن عمران فقال اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت
ففقأها الحديث فان هذا الحديث يدل على صدور الذنب عن موسى عليه السلام
من وجهين اولهما انه اعرض عن حكم الله تعالى بموته ولم يقبل الموت والاعراض

عن حكم الله ذنب ومعصية وثانيهما انه ضرب ملك الموت وفقأ عينه
وفقؤ عين احد من العوام بلا اقتصاص ذنب ومعصية فضلا عن الملك
المعصوم الذى اتى بامر الله تعالى واجاب بالقاضى عياض فى الشفا بقوله وكذلك
ما روى فى الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاء موسى فلطم عينه ففقأها
الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدى وفعل ما يجب له اذ هو ظاهر الامر
بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لا تلافها وتتصور له
فى صورة آدمى ولا يمكن انه على حينئذ انه ملك الموت وذ فع عن نفسه ملافعة
أدت الى ذهاب عين تلك الصورة التى تصور له الملك فيها امتحانا من الله تعالى
فلما جاءه بعد وعلمه الله انه رسوله اليه استسلم انتهى وقيل فى الجواب ان موسى
عليه السلام زعم انه كاذب حين ادعى قبض روحه لزعمه ان بشرا لا يقبض
الروح فغضب عليه فلطمه وكان هذا الغضب لله وفى الله فلا يكون مذموما ولهذا
لم يعاتبه الله على ذلك وقيل انه انما لطمه لاقدامه على قبض روحه قبل التخيير
والانبياء كانوا مخيرين عن الله آخر الامر بين الحياة والوفاة كما جاء
فى الخبر الصحيح ان الله لا يقبض نبيا حتى يخيره وفى حديث المخرجين به مقعدة
من الجنة فلما جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام لقبض روحه من غير تخيير

وعنده لا يقبض حتى لم يعلمه انه ملك وشك فى ذلك وظن انه رجل يدعى عليه انه
ملك الموت بغير دليل من معجزة تظهر او علم ضرورى يضطره الى ذلك ولهذا
لما جاء اليه ثانيا وخيره بين الحيات والموت اختار الموت واستسلم ولا يلزم
من رؤية الملائكة تعرفهم كما وردت الملائكة على ابراهيم ولوط على نبينا وعليهما السلام
ولم يعرفاهم وايضا اللطمة انما اثرت فى العين الصورية لا فى العين الملكية
فانما غير متأثرة باللطمة وغيرها والصورة بالنسبة الى الملائكة كالملابس
بالنسبة الى الانسان وقال بعضهم فى الجواب ان ملك الموت لما جاء الى
موسى وقال له جئت لاقبض روحك تغير عقله اما لغمرات الالم وسكرات
النزع واما لاجل اتيانه اليه مفاجاة حين غفلته وصرح بالنقلة من دار العمل
الى دار الجزاء لانه قد خرصعقا من اندكاك الطور فكيف بهول المطلع
فانه اعظم من اندكاك الجبل فلاجل هذا فعل ما فعل اقول لو تامل متامل
فيما بينت فى الفصل الاول من مداومة الانبياء فى مشاهدة الحق تعالى
عدم غفلت سرائرهم عن الحضور لحظة واحدة لحكم قطعا بان موسى عليه السلام
كان غريقا فى مشاهدة ربه دائما من غير غفلة ويؤيده ما قال احمد بن المبارك
فى كتابه الابريز فى مناقب سيدى عبد العزيز الدباغ فى بيان الفرق بين

علم موسى والخضر عليهما السلام بقوله وعنى هذا بخرق ما وقع بين سيدنا الخضر و
بين سيدنا موسى نبينا وعليهما الصلوة والسلام بما قصه الله تعالى في كتابه العزيز
من امر السفينة والغلام والجدار فان علم ذلك انما غاب عن سيدنا موسى
عليه السلام لانه في مشاهدة ما هو اقوى منه وهو الحق سبحانه فعدم علم موسى
عليه السلام بذلك هو غاية الكمال قال ومثاله مع الخضر في ذلك كمثل عبدين
للملك اما احدهما فخصه الملك الى نفسه وجعله جليسا له لا شغل له الا الوقوف
بين يدى الملك والنظر في وجهه اذا خرج الملك خرج معه واذا دخل دخل
معه واذا اكل اكل معه واذا شرب شرب معه واذا تحدث تحدث معه والعبد الاخر
مكنه الملك من التصرف في رعيته فيخرج للرعية وينفذ فيهم امر الملك ويتحدث
معهم في امورهم وما يصلح احوالهم وربما غاب عن الملك الغيبة الطويلة لتنفيذ
بعض الامور فلا يشك ان العبد الاول اقرب الى الملك واعرف باسراره
ذاته من الثاني مع انه اذا سئل عن شيء من امور الرعية وما يدخل فيها وما
يخرج ولا سيما ان بعدت الرعية من مدينة الملك فانه لا يعرفه معرفة الثاني به
وهذا كانت حال موسى مع الله تعالى فانه مثل العبد الاول وسيدنا الخضر مثل
العبد الثاني انتهى واذا كان حال موسى عليه السلام مع الله تعالى ما عرفت فما

معنى غفلته وتغير عقله وقد ثبت ان الموت جبريل على الحبيب الى الحبيب
فيا خبار ملك الموت له بالاستقبال لا بد له من الفرح والسرور دون الانكار
والنفور فاذا سار النبي مرفوع القلم غير مأخوذ بالفعل الغير المشروع بسبب تغير
عقله من غمرات الالم وسكرات النزع كما يدل عليه كلام المجيب فليجز عن
احاد الامة صدور كلمات الكفر والافعال القبيحة واما قوال الشنيعة
حالة النزوع وسكرات الموت ولم تصر دالة على سوء الخاتمة مع ان صدور
الشيء منها يدل على سوء الخاتمة عافانا الله منها ولهذا قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وآله وسلم انما العبرة بالخواتيم فخامشا تنزحا شا واجاب
بعضهم ان فقاء عين ملك الموت كان جائزا له لانه دخل على صورة البشر
على موسى عليه السلام ونظر اليه بدون اذنه وقد قال الله تعالى يا
ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم كما لا آية وروى سهل
بن الساعدي انه اطلع رجل في حجرة من حجر النبي صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم ومعه مدرى يحك بها راسه فقال لو علمت انك تنظر الي
لطعنت بها عينك انما الاستيذان قبل النظر وروى ابو هريرة
رضي الله تعالى عنه انه عليه السلام قال من اطلع في دار قوم

بغير اذنهم ففقأ واعينه فقد هدرت عينه وفى رواية اخرى عنه
ليس عليك جناح ولما كان ففاء عين الناظر اليك فى دارك
بدون الاجازة جائزا فى شريعتنا فلعله جاز فى شريعته ايضا
قيل فى رده قد اتفق العلماء على ان من دخل دار غيره بغير اذنه
ففقأ عينه كان ضامنا وكان عليه القصاص ان كان
عامدا والا ان كان مخطيا ومعلوم ان الداخل قد اطلع وزاد
على الاطلاع فظاهر الحديث مخالف لما حصل عليه الاتفاق
فان صح فمعناه من اطلع فى دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم
فمنعوه فلم يمتنع فذهبت عينه فى حال الممانعة فهى هدر
واما اذا لم يكن الا النظر ولم يقع فيه ممانعة ولا نهى ثم جاء انسان
ففقأ عينه فهو جان يلزمه حكم جناية لظاهر قوله تعالى
العين بالعين الى قوله والجروح قصاص اقول ان ما ذكره الراد
فهو حكم من دخل على غيره فى داره بغير اذنه ولا يقاس
عليه حال من اطلع فى دار غيره ونظر اليه للفرق بينهما
لان الدخول لا يستلزم العلم بعورات الناس بخلاف

النظر لافضاءه الى اطلاع ما لا يجوز الاطلاع عليه وايضا التمسك
في هذا المقام بقوله تعالى العين بالعين الخ ضعيف لانعقاد
الاجماع على ان هذا النص مشروط بما اذا لم تكن العين مستحقة
فاما لو كانت مستحقة فلم يلزم القصاص واستحقاق تعيين
من اطلع وعدمه اول المسئلة نعم لو قيل في وجه الردان
كلام المجيب صريح في دخول ملك الموت على موسى عليه السلام
دون الاطلاع والنظر من غير الباب وحكم الداخل غير حكم
المطلع فلا يهدر فقاء عينه فلا وجه قال صاحب العواصم
والقواصم في اعتذار الاعضال المذكور الوجه الاول وهو المعتمد
انه يجوز ان يكون الملك اتاه في صورة رجل من البشر
ولم يعرفه انه ملك مثل ما اتى جبرئيل الى مريم فتمثل
لها بشرا سويا ولهذا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت
تقيا ولو علمت انه جبرئيل عليه السلام لما استعاذت
بالله منه وقد صح تصور الملائكة على صورة البشر
وقد ارشد الى ذلك في الكتاب والسنة فلما اتى ملك الموت

الى موسى على هذه الصفة واراد ان يقتله دفع موسى عن نفسه
وهذا الجواب وقع في خاطري ثم وقفت عليه في الاول من
البداية والنهاية لابن كثير مسنودا الى الحافظ ابن حسان
وذكر انه ورد عليه كما جاء جبرئيل عليه السلام في صورة
الاعرابي وكما وردت الملائكة على ابراهيم ولوط عليهما السلام
ولم يعرفاهم انتهى ويؤيده ما قال الشعراني في حاشيته على الفتوحات
وتحقيقه على مذهب الصوفية ان جوهر العالم في الاصل واحد
لا يتغير عن حقيقته وان كل صورة تظهر فيه فهي عارضة
تستحيل في نفس الامر في كل زمان فرد الحق يوجب الامثال
على الدوام لانه على الدوام والممكنات في حال عدمها
مهيأة لقبول الوجود فما ظهرت صورة من ذلك
الجوهر ظهرت جميع احكامها سواء كانت الصورة
محسوسة او متخيلة ففي نحن ظهور جبرئيل في صورة الاعرابي
يترتب على هذه الصورة المثالية المتخيلة جميع احكامها
من القوى القائمة بها في الانسان من كلامه وحركته المعتادة

مثالية متخيلة كما هي الصورة كذلك فالملك في ذلك الزمان حقيقة
انسان خيالي وله حكم تلك الصورة في نفس الامر على حال الصورة من
كونها انسانا خياليا واذا ذهبت تلك الصورة ذهبت احكامها
لذاتها بما فقط واجاب بعضهم بان المراد من اللطمة وفقأ العين الرؤية
وابطال حجته مجازا يعني ان موسى عليه السلام ناظره وحاجه فغلبه
بالحجة يقال لطمه فلان فلانا وفقاء فلان عين فلان اذا غلبه
بالحجة ويؤيده ما روي انه احتج عليه فقال من اين تنزع روحي
امن فمي وقد ناجيت ربي ام من سمعي وقد سمعت به كلام ربي
امن يدي وقد قبضت الالواح ام من قدمي وقد مشيت بين يديه
اكلمه بالطور فرجع الى ربه مفحما والمطيع لله تفحم بالله كما قال مريم
انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا وقت رؤية جبرئيل عليه السلام
ان قيل ان هذا الكلام من موسى عليه السلام يدل على انه كان شحيحا على الحيوة
اقول انه عليه السلام كان شحيحا على الحيوة حرصا على ما كان يتلذذ
به من كلام الله وقرب اليه الا ترى الى ما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مررت موسى ليلة اسرى لي فوجدته قائما يصلي في قبره

ولما كانت هذه مرتبة حيث حياه الله تعالى بالكلام والمناجات ولم يقطع
عنه بعد الموت لذة تلك النجوى فما ظنك بتلذذه بالمناجات
في حال حياته وانما ضرب الملك لانه حسبان بالموت ينقطع نجواه
من ربه ولم يفعل ذلك حرصا على حيوة الدنيا وايضا يجاب بانه
من المتشابهات فلا بد لنا من الايمان به وتفويض علمه الى الله كما هو
شان سائر المتشابهات واعلم ان هذا الفصل وان كان في شان
سيدنا موسى عليه السلام الا ان بعض الامور لم تتعين صدورها
عنه عند الطاعنين بل ينسبون صدورها اليه على تقدير والى هارون
والخضر عليهما السلام على تقدير اخر فلاجل هذا اوردت ذكرهما فيه

الفصل الثامن في شان سيدنا داود عليه السلام واستدل الطاعنون

في عصمة الانبياء على عدم عصمته بقوله تعالى وهل اتيك نبأ الخصم اذ
تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان
بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني
في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء

ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داؤد
انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب وبما اخرجه ابن جرير والحاكم عن السدي ان داؤد عليه السلام تمنى
يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك انه قد قسم الدهر
ثلاثة اقسام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل
ويوم لنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرء من الكتب فضل ابراهيم واسحق
ويعقوب فقال يا رب ارى الخير كله ذهب به آباؤ الذين كانوا قبلي فاوحى
الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه الصلوة والسلام بمحنة
وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف
فقال داؤد عليه الصلوة والسلام رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا فاوحى الله
عز وجل اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذي
وعده الله به دخل داؤد محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقراء الزبور
بينهما هو كذلك اذ جاء به الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها
من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها
فمد يده ليأخذها ويريها بني اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد

اخذها طارت غير بعيد من غير ان تولية من نفسها فاهتدا اليها ليأخذها فتتخت
منتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر
داؤد اين تقع فيبعث من يصيدها له فاذا بصر امراة في بستان على شاطئ بركة
تغتسل وقيل رأها تغتسل على سطحها فرأها من اجمل النساء خلقا فعجب
داؤد من حسنها وحانت فالتفت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده
ذلك اعجابا بها فسئل عنها فقيل هي تشابع بنت شابع امراة اوريا بن
حنانا وزوجها في غزوة البلقا مع ايوب ابن صوريا ابن اخت داؤد فكتب
داؤد الى ايوب ان ابعث اوريا الى موضع كذا ان تقدمه فقتل الثابوت
وكان من قدم على الثابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله تعالى
على يديه او يقتل فابعثه ففتح له فكتب الى داؤد بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى
عدو كذا وكذا اشد منه بأسا فابعثه ففتح له فكتب الى داؤد بذلك فكتب اليه
ان ابعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه بأسا فابعثه فقتل في المرة الثالثة فلما
انقضت عدة المرأة تزوجها داؤد عليه السلام فهي ام سليمان عليه السلام وبما روى
ابو سعيد الاشج قال حدثنا المغيرة عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان داؤد لما خطب صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم فقام على بيته

اسرائيل يدعو صاحب البعث فقال اذا حضر العدو وقرب فلانا بين يدي
التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت
لم يرجع حتى يقتل او ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه
قصة فقطن داؤد فسجد لمكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه
على رأسه واكلت الارض من جبهته وهو يقول في سجوده رب زل داؤد زلة
ابعد ما بين المشرق والمغرب ربان لم ترحم ضعف داؤد ولم تغفر ذنبه
جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده فجاء جبرئيل من بعد اربعين ليلة فقال
يا داؤد ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داؤد الرب
قد علم ان يقتل الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف
بقتل اذا جاء يوم القيمة فقال رب دمها الذي عند داؤد فقال جبرئيل ما سئلت
ربك عن ذلك وان شئت لاغفرن قال نعم وعرج جبرئيل وسجد داؤد ما شاء الله
ثم رفع رأسه فجاء جبرئيل عليه السلام فقال سئلت الله يا داؤد عن الذي ارسلتني فيه
فقال قل لداؤد ان الله تعالى يجمعكما يوم القيمة فيقول له هب لي دمك الذي
عند داؤد فيقول هو لك يا رب فيقول الله تعالى فان لك في الجنة ما شئت
وما اشتهيت عوضا من دمك وبما قال وهب ان داؤد اتاه نداء اني قد غفرت

لك قال يارب كيف وانت لا تظلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا فناده وانا
اسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داؤد وقد لبس المسوح حتى جلس
عند قبره ثم نادى يا اوريا فقال من هذا الذى قطع علي لذتى وايقظنى قال انا
داؤد قال ما جاء بك يا نبى الله قال اسئلك ان تجعلنى فى حل مما كان منى
اليك قال ومما كان منك الى قال عرضتنى للقتل قال بل عرضتنى للجنة فانت
فى حل فاوحى الله تعالى اليه يا داؤد الم تعلم انى حكم عدل لا اقضى بالتعنت
الا اعلمه انك قد تزوجت امراته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذ
قطع على لذتى وايقظنى قال انا داؤد قال ما جاء بك يا نبى الله اليس قد عفوت
عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت
ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه ودعاه فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على راسه
ثم نادى ويلى ويل لداؤد ثم الويل الطويل لداؤد اذ ضعت الموازين بالقسط سبحان
خالق النور الويل لداؤد ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار
سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء يا داؤد قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك
واستجبت دعاءك وافلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبى لم يعف عنى قال يا داؤد اعطيه
من الثواب ما لم ترعيناه ولم تسمع اذناه فاقول له رضيت عبدى فيقول يارب

من اين لي هذا ولم يبلغه عملي فاوحى الله هذا عوض من عبدي داؤد استوهبك
منه فيهبك لي قال يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي وابقم عن وهب
بن منبه ان داؤد عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ
دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر
بعد الخطيئة على اربعة ايام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح
في الجبال والضياضي والسواحل ويوم يخلو في داره فيها اربعة آلاف محراب
فيجمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم
سياحة يخرج الى الضياضي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال
والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته
ويبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير ودواب البحر وطين الماء فاذا امسى
رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى منادي ان اليوم يوم نوح داؤد
على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل داره التي فيها المحاريب فيبسط فيها
ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء اربعة آلاف راهب عليهم
البرانس وفي ايديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داؤد عليه الصلوة
والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال

يبكى حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داؤد فيها مثل الفرخ يضطرب فيجئ
ابنه سليمان عليه السلام فيحمله ويأخذ داؤد من تلك الدموع فيكفيه ويمسح بها وجهه
ويقول يا رب اغفر ما ترى فان هذا المذكور يدل على صدور الذنب عن داؤد
عليه السلام بسبب حشقة على امرأة اوريا واحتباله الكثيرة فى قتل زوجها اقول
بتوفيق الله تعالى وتوفيقه ان تلك العقيدة فاسدة كاسدة ليست من
معتقدات اهل السنة والجماعة لما سنبين ان شاء الله تعالى وأما ما ذكروه
من الاحاديث والاخبار المذكورة فليست مما يعتمد عليها لمناقضتها فيما
بينها وتكذيب بعضها البعض بل لو نظر فيها بالتعمق من له ادنى دراية لحكم
بعدم صحتها اما الاول فلان ابتلاء ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلوة والسلام
ما كان فى معصية الله تعالى بل كان فى طاعته والصبر على هذا موجب لمزيد المرتبة و
علو الدرجة واما ابتلاء داؤد عليه السلام على القول بصحة الاخبار لم يكن
فى طاعة الله بل كان فى معصية ومثل هذا الابتلاء لا يكون سببا لمزيد المرتبة
وهو عليه الصلوة والسلام تمنى ابتلائه بما ابتلوا به آباؤه ولهذا قال ربى ابتلينى
بمثل ما ابتليتهم صرت ايض وليس لما ثلثة بينهما واما الثانى والثالث والرابع
فلانه تعالى لما اخبره بالمغفرة بقوله يا داؤد قد غفرت لك ذنبك ورحمتك

بكائك واستجبت دعائك ويقول جبرئيل عليه السلام يا داؤد ان الله قد غفر لك
الهم الذي هممت به كيف توقف داؤد عليه السلام في مغفرته ولم يجزم
بتحققها وقال يا رب كيف وصاحبي لم يعف عني وقال قد عرفت ان الله
عدل لا يميل فكيف بفلان الخ ولما تاب الله عليه بالمغفرة فلم قال بعدها على
سبيل الهدا ومة يا رب اغفر لي ما ترى وايضا تنافي صحيحا رواية سعيد بن المسيب
والحارث الاعور عن علي بن ابيطالب رضي الله عنه انه قال من حدثكم بحديث
داؤد على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية
على الانبياء فان هذا الرواية تدل على تكذيب قصة المذكورة وتلك الرواية
على صحتها فتناقضت وتعارضت وحكم التعارض التساقط وعدم الرجحان
وقد ثبت في اصول الفقه ان الترجيح ليس باعتبار كثرة الرواة وقلتهم ولا بانا عتبار
كثرة الرواية وقلتها فاذا تساقطت لا بد لنا من الرجوع الى البراهين القطعية
اليقينية على بطلان ما قالوا من ان داؤد عليه السلام عشق على امرأة اوريا
فاحتال باكوجوه وسعى في قتله حتى قتل ثم تزوج بها فلم يلبث عندها الا يسيرا
حتى بعث الله له الملكين على صورة انسانين فقصا عليه قصتهم ثم اعلم ان هذه
القصة باطلة بوجوه كما في الكبير الاول ان هذه الحكاية لو ثبت لا قتض

الناس واشدهم فجورا لاستنكف منها والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر
تلك القصة لو نسب الى مثل هذا العمل البالغ في تنزيه نفسه وربما لعن من ينسبه
اليها واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم اليه الثاني
ان حال القصة يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع
في زوجته اما الاول فامر منكر قال صلى الله تعالى عليه وسلم من سعى في دم مسلم ولو بشطر
كلمة جاء يوم القيمة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمت الله واما الثاني فمنكر
عظيم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وان اودياء
لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوحه الثالث ان الله تعالى وصف داود
عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات الكثيرة ووصفه ايضا بصفات كثيرة
بعد ذكر هذه القصة وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفا بهذا الفعل
المنكر والعمل القبيح اما الصفة الاولى فهي انه تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم
بان يقتدي بداود في المصابرة مع المكابرة كما قال اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود الآية ولو قلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى
في اراقة دم امرء مسلم تعرض شهوته فكيف يليق باحكم الحاكمين ان يأمر محمدا
افضل الرسل بان يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله واما الصفة الثانية

هى انه تعالى وصفه بكونه عبدا له كما قال واذكر عبدنا وذلك غاية تشريف
الا ترى انه تعالى لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال سبحان
الذى اسرى بعبده فههنا يدل على ذلك التشريف لداؤد وعلى ان المقصود
من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملا فى موقف العبودية تاما
فى القيام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات ولو قلنا ان داؤد عليه السلام
اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داؤد كاملا فى عبوديته لله تعالى
بل كان كاملا فى طاعة الهوى والشهوة وهذا باطل الصفة الثالثة هو قوله ذا
الايدى اى ذا القوة اذ الايد بمعنى القوة كقوله هو الذى ايدك بنصره وايدنا
بروح القدس والسماء بنيناها بايد وعن قتادة اعطى قوة فى العبادة وفقها
فى الدين وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر ولما مدحه الله تعالى بالقوة وجب
ان يكون تلك القوة موجبة للمدح والقوة التى توجب المدح العظيم ليست الا
القوة على فعل ما امر به وترك ما نهى عنه والقوة فى غير هذا انما كانت موجودة
فى ملوك الكفار واى قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والزعمة فى زوجة المسلم
الصفة الرابعة كونه اوابا اى كثير الرجوع الى الله تعالى فى طاعته فكيف يليق
هذا الوصف بمن يكون قلبه مشغوفا بالقتل والفجور الصفة الخامسة قوله تعالى انا

سخرنا الجبال معه افترى انه سخرت له الجبال ليتخذه وسيلة الى القتل والفجور الصفة السادسة
قوله والطير محشورة وقيل انه كان محرما عليه صيد شئ من الطير وكيف يعقل
ان يكون الطير امنا منه ولا يخيف منه الرجل المسلم على روحه ومنكوحه الصفة السابعة
قوله تعالى وشددنا ملكه ومحال ان يكون المراد انه تعالى شدد ملكه باسباب الدنيا
بل المراد انه تعالى شدد ملكه بما يقوى الدين واسباب سعادات الآخرة والمراد
تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن القتل الفجور كيف يليق
به ذلك الصفة الثامنة قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل الخطاب والحكمة
اسم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز ان يقول الله تعالى انا اتيناه الحكمة
وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستنكف عنه الخبيث الشيطان عن مزاحمة
اخلص اصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات المذكورة دالة على براءة
ساحته عن تلك الاكاذيب واما الصفات المذكورة بعد هذه القصة فهي عشرة
اولها قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وذكر هذه الكلام انما يناسب
لو دلت القصة المتقدمة على قوته في طاعة الله اما لو كانت القصة المتقدمة
دالة على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله وان له عندنا لزلفى لائقا به الثاني
قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وهذا يدل على كذب تلك القصة

من وجوه احدها ان الملك الكبير اذا حكى عن بعض عبيده انه قصد مماء الناس
واموالهم وازواجهم فبعد فراغه عن شرح تلك القصة على ملاء من الناس يقبح
منه ان يقول عقيبه ايها العبد اني فوضت اليك خلافتي ونيابتي وذلك لان
ذكر تلك القبايح والافعال المنكرة يناسب الزجر والحجر فاما جعله نائبا وخليفة
لنفسه فذلك البتة مما لا يليق وثانيها انه ثبت في اصول الفقه ان ذكر الحكم
عقيب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فلما حكى
الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة ثم قال بعده انا جعلناك خليفة في الارض
اشعر هذا بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو اتيانه بتلك الافعال المنكرة
ومعلوم ان هذا فاسد اما لو ذكر تلك القصة على وجوه تدل على براءة
ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرته على طاعت الله تعالى
فحينئذ يناسب ان يذكر عقيبه انا جعلناك خليفة في الارض فثبت ان
هذا الذي نختاره اولى والثالث وهو انه لما كانت مقدمة الاية دالة على
مدح داود عليه السلام وتعظيمه وموخرتها ايضا دالت على ذلك فلو كانت الواسطة
دالة على القبايح والمعائب لجرى مجرى ان يقال فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة
في طاعة الله تعالى يقتل ويزني ويسرق وقد جعله خليفة في ارضه وصوب احكامه

وكان هذا الكلام مما لا يليق بالعاقل فكذا ههنا ومن المعلوم ان ذكر العشق
والسعي في القتل من اعظم ابواب العيوب والرابع ان القائلين بهذا القول ذكروا
ان داؤد عليه السلام تمنى ان يحصل له في الدين كما حصل للانبياء المتقدمين
من المنازل العالية مثل ما حصل لابراهيم من الالقاء في النار وحصل لاسحق
من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد الموجبة لكثرة الثواب فاوحى الله تعالى اليه انهم
وجدوا تلك الدرجات لانهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سأل داؤد عليه
الابتلاء فاوحى الله اليه انك ستبتلى في يوم كذا فابالغ في الاحتراز ثم
وقعت الواقعة فنقول اول حكايتهم يدل على ان الله تعالى يبتليه بالبلاء
الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب اخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق
والافراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة ويثبت ان الحكاية التي ذكروها
بناقضها اولها اخرها الخامس ان داؤد عليه السلام قال وان كثيرا من الخلطاء
ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا استثنى الذين امنوا عن البغي فلو قلنا
انه كان موصوفا بالبغي لزم ان يقال انه حكم بعدم الايمان على نفسه وهو باطل
السادس ان داؤد عليه السلام لو فعل ذلك لكان ظالما فكان يدخل تحت قوله تعالى
الا لعنة الله على الظالمين ولا يقول بجواز اللعن عليه احد من اهل الاسلام فان

قيل ان اكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها قلت
لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الاحاد كان
الرجوع الى الدلائل القاطعة اولى وايضا فالاصل براءة الذمة وايضا فلما
تعارض دليل التحريم والتحليل كان جانب التحريم اولى وايضا هذا يوجب
توجيه قولنا وايضا كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون
والمحققون منهم يردونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد ويقررون هذه القصة
بوجهين احدهما يوجب ترك الافضل والاولى وثانيهما يوجب الحاق اعظم
انواع المدح والثناء بداؤد عليه السلام اما الاول فبوجوه الاول ان
هذه المرأة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داؤد عليه السلام فاثروه اهلها
وكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المومن مع كثرة نسائه وجاء في حديث
صحيح لا يحل لرجل مسلم يخطب على خطبة اخيه حتى يترك والنهي فيه للتنزيه
لا للتحريم الثاني قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب
البتة اما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس بذنب واما حصول الميل
عقيب النظر فليس ايضا بذنب لان هذا الميل ليس في وسعه فلا يكون مكلفا
به بل اذا اتفق ان قتل زوجها لم يتأذ تأذيا عظيما بسبب قتله لاجل انه لم يجمع

ان يتزوج تلك المرءة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهو انه لم يثقل
عليه قتل ذلك الرجل والثالث انه كان اهل زمانه يسأل بعضهم بعضا
ان يطلق امرأته حتى يتزوجها وكانت عادتهم فى هذا المعنى مألوفة معروفة
كما ان الانصار يواسون المهاجرين بهذا المعنى فاتفق ان عين داؤد عليه
وقعت على تلك المرأة فاحبها فسئله النزول عنها فاستحى ان يرده ففعل وهى
ام سليمان عليه السلام فقيل له هذا وان كان جائزا فى ظاهر الشريعة الا انه
لا يليق بك فان حسنات الابرار سيئات المقربين بهذه الوجوه التى تدل على
ان داؤد عليه السلام ترك الاولى له والافضل وترك الاولى ليس بذنب فاما الاحتمال
الثانى الذى يدل على الحاق اعظم انواع المدح والثناء به عليه السلام وهو
ان نقول روى ان جماعة من الاعداء طمعوا فى ان يقتلوا ابن الله داؤد عليه السلام
وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة فى ذلك اليوم
وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعونه منهم فخافوا فوضعوا
كذبا وقالوا لخصمان بغى بعضنا على بعض الى اخر القصة وليس فى نظم القرآن ما يمكن
ان يحتج به فى الحاق الذنب بداؤد عليه السلام الا الفاظ اربعة احدها قوله تعالى
وظن داؤد انما فتناه وثانيها قوله تعالى فاستغفر ربه وثالثها قوله وانا ب

ورابعها قوله تعالى فغفرنا له ذلك ثم نقول وهذه الالفاظ لا يدل شئ منها على
ما ذكروه وتقريره من وجوه الاول انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق
وعلم داؤد عليه السلام ذلك دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم الا انه
مال الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضاة الله وكانت هذه الواقعة هي الفتنة
لانها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام
منهم وتاب عن ذلك الهم وانابة فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم والثاني
انه وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال لما لم تقم
دلالة ولا امارة على ان الامر كذلك فبئس ما علمت بهم حيث ظننت بهم
هذا الظن الردي فكان هذا هو المراد من قوله وظن داؤد عليه السلام انما
فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وانابة منه فغفر الله له ذلك الثالث ان
الداخل
دخولهم عليه كان فتنة لداؤد عليه السلام الا انه عليه السلام استغفر لذلك
العازم على قتله فلداؤد عليه السلام استغفر لهم وانابة اي رجع الى الله تعالى
في طلب مغفرة ذلك الداخل القاصد للقتل وقوله تعالى فغفرنا له ذلك اي
غفرنا له ذلك الذنب لاجل احترام داؤد ولتعظيمه كما قال بعض المفسرين في
قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك اي ليغفر لك ولاجلك من ذنب امتك

الرابع هب انه تاب او دعليه السلام من زلة صدرت منه لكن لانسلم ان تلك الزلة
وقعت بسبب امرأة فلم لايجوز ان يقال ان تلك الزلة انما حصلت له لانه قضى لاحد
الخصمين قبل ان يسمع كلام الخصم الثاني فانه لما قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى
نعاجه فحكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم بغير بينة لكون هذا الحكم مخالفا للصواب
فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة الا ان هذا من باب ترك الاولى والافضل
ايضا كما قيل فثبت بهذه البيانات انا اذا حملنا هذه الآيات على هذا الوجه فانه لايلزم
اسناد شيء من الذنوب الى داود عليه السلام بل في ذلك يوجب اسناد اعظم الطاعات
اليه وايضا دعوى الطاعن لايتم الا اذا اقتنا الخصمان كانا ملكين وانهما كانا
من الملائكة وانه كان بينهما مخاصمة وبغي احدهما على الآخر وكان قولهما خصمان
بغى بعضنا على بعض كذب مدعاه لانتم الا بشيئين احدهما اسناد الكذب
الى الملائكة في قولهما خصمان لعدم الخصومة بين الملائكة وفي قولهما بغى
بعضنا على بعض لعدم البغي بين الملائكة وفي قولهما ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة لعدم وجود النعاج لهم والكذب على الملك غير جائز بقوله تعالى لايسبقونه
بالقول وهم بقوله يعملون مايؤمرون والثاني ان يتوسل باسناد الكذب
الى الملائكة الى اسناد الفحشاء القبائح الى رجل كبير من اكابر الانبياء فانا

اذا حملنا الكلام على ان الخصمين كانا رجلين دخلا عليه لغرض الشر شم
وضعا هذا الحديث الباطل فحينئذ لزم اسناد الكذب الى شخصين فاسقين
فكان هذا اولى من القول الاول ولو سلم ان الخصمين كانا ملكين ارسلهما الله تعالى
اليه ليتنبهنا على زلته ويكون تقرير الملكين تمثيلا وتصويرا القصة من قبيل
المعاريض دون الاخبار بمضمون الكلام حتى يلزم الكذب فلا نسلم ان زلته ما
ذكره الطاعنون بل زلته كانت ما ذكرنا من انه خطب امرأة كان خطبها
اوريا فزوجها اولياؤها داؤد عليه السلام دون اوريا ويدل عليه قوله وعزني في
الخطاب قال في ياقيت والجواهر بعد نقل عبارت الفتوحات وهي هذه
واما الجواب عن خطيئة داؤد عليه السلام التي استغفر منها وخر راكعا
واناب فكانت نظرة فجأة بغير تقدم نية صالحة ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانت خطيئة اخي داؤد النظر انتهى وذلك انه رفع راسه
من الارض بغير نية تناسب مقامه فاخذه الله بذلك ولذلك ورد انه
لم يرفع بصره الى ناحية السماء الى ان مات حياءً من ذلك الرفع السابق
مع الغفلة فعين الذنب هو رفع البصر ولو الى مباح بغير نية فافهم فعلم
ان مواخذة الاكابر في الحركات والسكنات مع الغفلة لاتختص بالنظر

ولا عبرة فلو قدر انه حرك اصبعه مع الغفلة عن شهود رضى الحق بذلك لاخذه
لوجوب الحضور عليهم مع الله على الدوام انتهى ويؤيده وما اخرجه الديلمي
عن ابن عباس رضى الله عنهما كان لهارون ولدان يخدمان المسجد و
يسرجان قناديله من نار تاتيهما من السماء وان النار تاخرت ذات
ليلة عن وقتها التي كانت تاتي فيه فاسرج الولدان تلك القناديل
من النار الدنيا فجاءت النار من السماء فوقعت عليهما فقام
هارون ليطفئ عن ولديه تلك النار فصاح موسى كف عن ذلك
ودع امر الله ينفذ فيهما فاوحى الله عز وجل هذا فعلي بمن خالف امري
من اوليائي فكيف بمن خالف امري من اعدائي فان قيل ان هذا
الجواب وان كان دافعا للطعن المذكور بالحبشية المذكورة
ولكنه لا يقطع مادة اصل الاشكال لان غرض الطاعنين اثبات
صدور الذنب عن داؤد عليه السلام ولو كان تركه الواجب
فلزم ان يقولوا لما كان الحضور مع الله دائما واجبا عليه فكان
الغفلة عن الشهود حراما عليه فيكون التارك للواجب والمرتكب
للحرام مذنبا وهو عين مدعى الطاعن فالزم اقول يحتمل ان لا يكون المراد

بالوجوب الوجوب الشرعي بل يكون الواجب بمعنى المستحسن والافضل ولا
مضائقة بترك الافضل تامل فيه **الفصل التاسع فيشان سيدنا**
سليمان عليه السلام واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء على عدم
عصمته بامور احدها قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه
بالعشي الصافنات الجياد فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت
بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق فان ظاهره يدل
على ان اشتغاله بتلك الصافنات الهاه عن ذكر الله حتى روى انه فاتت
عنه صلوة العصر باستعراض الافراس ثم سال الله ان يرد عليه الشمس واخذ
السيف فعقر الخيل فى سوقها واعناقها ويؤيده ما اخرجه ابن جرير
وابن منذر عن على رضى الله عنه قال الصلوة التى فرط فيها سليمان
عليه السلام صلوة العصر وما اخرجه ابن ابى شيبة فى المصنف عن ابن
عباس قال كان سليمان عليه السلام لا يكلم احدا ما له فلقد فاتته صلوة العصر
وما استطاع احد ان كلمه وما اخرجه الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه
بسند حسن عن ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فطفق مسحا
بالسوق والاعناق قال قطع سوقها واعناقها بالسيف ولا شك ان ترك الصلوة

كبيرة والجواب انه لا دلالة في الآية على ترك الصلوة مع انه اذا كان
فوتها بالنسيان لم يكن ذنبا والله اعلم او لان في تقدير قوله الى احببت حب الخير
وجواب الاول ان يضمن احببت معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حبي الخير عن
ذكر ربي والثاني ان احببت بمعنى لزمت والمعنى انى لزمت حب الخيل
عن ذكر ربي اى عن كتاب ربي وهو التوراة لان ارباط الخيل كما انه
في القرآن ممدوح فكذلك في التوراة ممدوح والثالث ان الانسان قد يحب
شيئا ولكن لا يجب ان يحبه كالمريض الذي يشتهي ما يزيد في مرضه وكالاب الذي
يحب ولده الردي وانما من احب شيئا واحب ان يحبه كان ذلك
غاية الكمال في المحبة فيكون احببت حبي لهذه الخيل ثم قال عن ذكر ربي
يعني ان هذه المحبة الشديدة انما حصلت عن ذكر الله وامره لا عن الشهوة
والهوى وطلب الدنيا وهذا الوجه اظهر الوجوه ثم قوله تعالى حتى توارت
بالحجاب ردها يحتمل ارجاع الضميرين الى الشمس لانه جرى ذكرها له تعلق بها
وهو العشي ويحتمل ان يكون كل واحد منهما عائد الى الصافنات ويحتمل
ان يكون الاول متعلقا بالشمس والثاني بالصافنات ويحتمل ان يكون
بالعكس من ذلك وهذه احتمالات اربعة لا مزيد عليها فالاول ان يعود

الضمير ان معاد الى الصافنات كانه قال حتى توارت الصافنات بالحجاب
رد والصافنات على والاحتمال الثانى ان يكون الضميران معا عائدين
الى الشمس كانه قال حتى توارت الشمس بالحجاب رد والشمس على وهذا الاحتمال
بعيد والذى يدل على كونه بعيدا وجوه الاول ان الصافنات مذكورة تصريحا
والشمس غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر الثانى
انه قال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب فظاهر هذا اللفظ
يدل على ان سليمان عليه السلام كان يقول انى احببت حب الخير عن ذكر ربى
وكان يعيد هذه الكلمة الى ان توارت بالحجاب فلو قلنا المراد حتى توارت
الصافنات بالحجاب كان معناه انه حين وقع بصره عليها حال جريها
كان يقول هذه الكلمات الى ان غابت عن عينه وذلك مناسب ولو قلنا
المراد حتى توارت الشمس بالحجاب كان معناه انه كان يعيد عين هذه الكلمة
من وقت العصر الى وقت المغرب وهذا فى غاية البعد الثالث انا لو حكمنا
بعود الضمير فى قوله حتى توارت الى الشمس وحملنا اللفظ على انه ترك
صلوة العصر كان هذا منافيا لقوله احببت حب الخير عن ذكر ربى فان
تلك المحبة لو كانت عن ذكر الله لما نسى الصلوة ولما ترك ذكر الله الرابع

انه بتقدير انه عليه السلام بقي مشغولا بتلك الخيل حتى غربت الشمس وفاتت
صلاة العصر فكان ذلك ذنبا عظيما وجرما قويا فالا ليق بهذه الحالة
التضرع والبكاء والمبالغة في اظهار التوبة وامان يقول على سبيل التهور
والغطرسة لاله العالم ورب العالمين رددها علي بمثل هذه الكلمة العارية عن كل
جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم فهذا لا يصدر من ابعد الناس
عن الخير فكيف يجوز اسناده الى الرسول المطهر المكرم الخامس ان القادر على
تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب ان يقول رد ها
علي ولا يقول ردوها علي فان قالوا انما ذكر صيغة الجمع للتنبيه على تعظيم
المخاطب فنقول قوله ردوها لفظ مشعر باعظم انواع الاهانة فكيف
يليق هذا اللفظ رعاية للتعظيم فان قالوا بارجاع ضمير الجمع في ردوها
الى الملائكة كما ورد في خبر علي رضي الله عنه اشتغل سليمان عليه السلام بعرض
الافراس للجهاد حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس فقال بامر الله تعالى
للملائكة الموكلين بالشمس ردوها يعني الشمس فردوها الى موضع وقت العصر
حتى صلى العصر في وقتها اقول انه مع كونه خبرا واحدا لا يعارض الادلة
القطعية اليقينية يدل على فوت صلوته ناسيا في حال اشتغاله بامر الجهاد

تكمل فيه السادس ان الشمس لو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهدا
لكل اهل الدنيا ولو كان الامر كذلك لتوفرت الدواعي على نقله واظهاره
وحيث لم يقل احد ذلك علمنا مناده السابع انه تعالى قال اذ عرض عليه
بالعشي الصافنات الجياد ثم قال حتى توارت بالحجاب وعود الضمير الى اقرب
المذكورين اولى واقرب المذكورين هو الصافنات الجياد واما العشي
فما بعدهما فكان عود ذلك الضمير الى الصافنات اولى ثم قوله فطفق مسحا
بالسوق والاعناق ليس معناه انه عليه السلام مسح السيف لسومها واعناقها
اي قطعها لانه بعيد ايضا ويدل عليه وجوه الاول انه لو كان معنى مسح السوق
والاعناق قطعها لكان معنى قوله وامسحوا برؤسكم وارجلكم قطعها وهذا
مما لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح راسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما
اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم البتة من المسح العقر والذبح الثاني
القائلون بهذا القول جمعوا على سليمان عليه السلام انواعا من الافعال
المذمومة فاولها ترك الصلوة وثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا
الى حيث نسي الصلوة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس
كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالاتيان البتة

ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها علي وهذه كلمة لا يذكرها
الرجل الخسيس لا مع الخادم الخسيس وخامسها انه اتبع هذه المعاصي
بعقر الخيل في سوقها واعناقها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
نهى عن ذبح الحيوان لا لما اكلته وهذه انواع من الكبائر تنسبونها الى سليمان
عليه السلام مع ان نظم القرآن لم يدل على شئ منها وسادسها ان هذه القصة
انما ذكرها الله تعالى عقيب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب
وان الكفار لما بلغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
اصبر يا محمد على سفاهتهم وعلى ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام
انما يكون لائقا لو قلنا ان سليمان عليه السلام اتى في هذه القصة بالاعمال
الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله تعالى واعرض عن الشهوات
والملذات فاما لو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع
انه اقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر هذه القصة لائقا
بهذا الموضع فثبت ان كتاب الله تعالى ينادي على هذه الاقوال الفاسدة
بالرد والافساد والابطال فالتفسير المطابق لالفاظ القرآن ان نقول
ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في دين محمد صلى الله

عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس واجرى الخيل
واجراها وذكر انى لاحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احببتها
لامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربى ثم امر عليه السلام
امرا بعد امر وتيسيرها حتى توارت بالحجاب اى غابت عن بصره ثم امر الراكضين
بان يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها
والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفها وابانة تعزتها
لكونها من اعظم اعوان فى دفع العدو الثانى انه اراد ان يظهر انه فى
ضبط السياسة والملك يتضرع الى حيث يباشر اكثر الامور بنفسه الثالث
انه كان اعظم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمتحنها ويمسح سوقها
واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض وهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق
عليه لفظ القرآن انطباقا مطابقا موافقا ولا يلزمنا نسبة شىء من تلك
المنكرات والمحذورات والعجب من الناس انهم كيف قبلوا الوجوه السخيفة
من ان العقل والنقل يردها وليس لهم فى اثباتها شبهة اى دليل ظنى فضلا عن حجة
واما الاخبار المذكورة فلم تبلغ الى درجة الصحة وعلى تقدير التسليم لا تصلح
معارضة للدلائل القوية اليقينية لكونها احادا ولو تنزلنا عن ذلك

فالاخبار تدل على فوت صلوته صلى الله عليه وسلم نسيانا ولا مضائقة فيه وقد نام
نبينا صلى الله عليه وسلم في الوادي حتى طلعت الشمس وقضى الصبح فالنسيان والنوم
سيان في عدم الاختيار وتأنيثها أي ثاني الامور قوله تعالى ولقد فتنا سليمان
والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب بأنهم قالوا ان سليمان عليه السلام بلغ خبره مدينة
في البحر فخرج اليها بجنوده فحملته الريح فاخذها وقتل ملكها واخذ بنتا له اسمها
جرادة من احسن النساء وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها وكانت
تبكي دائما على ابيها فامر سليمان عليه السلام الشيطان فمثل لها صورة ابيها فكسنها
مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة بكرة وعشيا مع جواريها يسجدن لها
على عادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة
ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له رماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى وكانت له
ام ولد يقال لها امينة اذا دخل الطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها
وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر على صورة
سليمان وقال يا امينة خاتمي فختم به وجلس على كرسي سليمان فاتى عليه الطير والجن
والانس وتغيرت هيئة سليمان فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف
ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان

حتى اعليه التراب وسبوه ثم اخذ يخدم السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه
كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحالة اربعين يوما عدد ما عبد الوثن فى بيته فانكر
آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان فسأل آصف نساء سليمان فقلن
ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة ثم طار الشيطان وقذف الخاتم
فى البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم
فتختم به ووقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه واخذ ذلك الشيطان واحضره فى
صخرة والقاها فى البحر وهل هذا الا عصيانه باتهام الصنم الذى يسجد له فى
بيته والجواب ان اهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه الاول ان الشيطان
لو قدر على ان يتشبه فى الصورة والخلقة بالانبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد
على شئ من الشرائع فلعل هؤلاء الذين رأوهم الناس فى صورة محمد
صلى الله عليه وسلم وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا اولائك بل كانوا شياطين
تشبهوا بهم فى الصورة لاجل الاغواء والاضلال ومعلوم ان ذلك يبطل
الدين بالكلية وكما يبطل الدين فهو باطل الثانى ان الشيطان لو قدر على ان
يعامل نبى الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء
والزهاد وحينئذ وجب ان يفتنهم وان يمزق نساءهم وان يخرب ديارهم فهذا باطل

ذلك فى حق احاد العلماء فلان يبطل مثله فى حق اكابر الانبياء اولى التأكيد

كيف يليق بحكمة الله واحسانه ان يسلط الشيطان على ازواج سليمان عليه السلام

ولاشك انه قبيح فحاشا ثم حاشا من سوء هذه العقيدة الفاسدة الكاسدة

وكيف يتوهم ذلك ومع ان الشيطان اللئيم لا يمكن له التمثل بصورة

نبى من الانبياء فى النوم فكيف يتمثل بصورة سليمان عليه السلام فى اليقظة مع وجوده

فى ذلك المكان المرابع لو قلنا ان سليمان عليه السلام اذن لتلك المرأة فى

عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه ولم يقل به احد وان لم يأذن فيه البتة

فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله سليمان بفعل لم يصدر عنه وأما

اتخاذ التماثيل فلم يصح الاباذن منه عليه السلام واذا علمت هذا فاعلم ان

ما قاله اهل التحقيق فى تفسير هذه الاية امور الاول ان فتنة سليمان عليه السلام

انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل ابيه فنبيد نا

ان نقتله فعلم سليمان ذلك فكان يربيه فى السحاب فبينما هو مشتغل بهمامة اذ القى

ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطائه فى انه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر به

وتاب فهذا مما لا باس به غاية ترك الاولى وليس فى التحفظ ومباشرة

الاسباب ترك الا متثال لامر التوكل على ما قال عليه السلام اعقلها وتوكل

فان قيل كانت الشياطين يصعدون الى السماء حينئذ فما فائدة رفعه فى السحاب
فى ملنع عنهم قلت فائدته ان الشياطين التى خاف سليمان على ابنه منهم
كان فى خدمة الدائمة فى الارض فكان فى الرفع الى السحاب رفعه عن ابصارهم
وتغيبه عن عملهم وتسليمه الى محافظة الملائكة الثانى ما روى عن النبى عليه الصلوة
والسلام انه قال قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن
تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة
واحدة جاءت بشق ولد له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فالذى
نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
كلهم فى سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان الثالث
ان فتنة سليمان كانت لسبب مرض شديد القاه الله عليه ومعنى قوله والقينا
الخ اى والقينا على كرسيه منه جسدا او ذلك لشدة المرض والعرب تقول فى الضعيف
انه لحم على وضم وجسم بلا دم ثم اناب اى رجع الى حال الصحة ولا يبعد ايضا
ان يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط وقوع خوف او وقوع بلاء توقعه من بعض
الجهات حتى صار بقوت ذلك الخوف كالجسد الضعيف على ذلك الكرسى ثم
ان الله تعالى ازال عنه ذلك الخوف واعاده الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب

فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة الى حمله على تلك الوجوه الركيكة واما
طلب المغفرة فانه لا يستلزم تقدم الذنب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى
استغفر الله فى اليوم والليلة الحديث مع انه عليه السلام معصوم من الذنوب
كلها كما ستقف عليه وايضا الانسان لا ينفك البتة عن ترك الافضل والاولى
وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة لان حسنات الابرار سيأت المقربين وقال
بعض العلماء انما كان استغفاره هضما لنفسه لان الانبياء كانوا فى مقام
هضم النفس واظهار الندم والخضوع دائما وثالثها اى ثالث الامور قوله وهب لى
ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب بانه عليه السلام طلب الدنيا
وتبدل على حرصه وارادعدم وصول الخير للغير وهو حسد والحسد ذنب واجيب
عنه بوجوه الاول ان الملك هو القدرة فكان المراد اقدرنى على اشياء لا يقدر
عليه غيرى البتة ليصير اقتدارى عليها معجزة تدل على صحت نبوتى ورسالتى
والدليل على صحت هذا الكلام انه تعالى قال عقيبه فسخرنا له الريح تجرى بامره
رخاء حيث اصاب فكونت الريح جاريا بامره قدرة عجيبة وملكا عجيبا ولا شك
انه معجزة دالة على نبوته فكان قوله هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى هو
هذا المعنى لان شرط المعجزة ان لا يقدر غيره على معارضتها فقوله لا ينبغى لاحد

يعني لا يقدر احد على معارضته والثاني انه عليه السلام لما مرض تنبه على الصحة
عرف ان خيرات الدنيا صائرة الى الغير بارث او سبب آخر فسئل ربه ملكا
لا يمكن ان ينتقل منه الى غيره وهو ملك الدين الذي لا يمكن فيه الانتقال
فقوله ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي ملكا لا يمكن ان ينتقل عني الى غيري
فاذا ليس بحرص ولا حسد الثالث ان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة
عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها فكانه قال يا الهي اعطني
مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز عنها مع القدرة عليها
ليصير ثوابي اكمل وافضل والرابع انه كان من الناس من يقول ان الاحتراز
عن لذات الدنيا عسر صعب لان هذه اللذات حاضرة وسعادات الآخرة
نسية والنقد يصعب بيعه بالنسية فقال سليمان عليه السلام اعطني يا رب مملكة
تكون اعظم الممالك الممكنة للبشر حتى اني ابقى مع تلك القدرة الكاملة
في غاية الاحتراز عنها ليظهر للخلق ان حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى
الخامس ان من لم يقدر على الدنيا يبقى ملتفتا القلب اليها فيظن ان فيها
سعادات عظيمة وخيرات نافعة فقال سليمان يا رب لعزتك اعطني اعظم الممالك حتى
يقف الناس على كمال حالها فحينئذ يظهر للعقل انه ليس فيها فائدة

وحينئذ يعرض القلب عنها ولا يلتفت اليها واشتغل بالعبودية ساكن
النفس غير مشغول القلب بعلائق الدنيا والسادس انه ليس طلبه للمفاخرة
بامور الدنيا الفانية وانما كان هو من بيت نبوة وملك وكان في زمن
الجبارين وتفاخرهم بالملك ومعجزة كل نبي ما اشتهر في عصره كما غلب
في عهد الكليم السحر فجاءهم بما يتلقف ما ازاروه وفي عهد
نبينا الفصاحة فاتاهم بكلام لم يقدروا على قصر سورة منه وليس المقصود
بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي استقلاله به بحيث لا يعطى احد مثله ليكون
رغبة في الملك وحرصا عليه بل كان مراده من قوله هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي تخصيصه بتلك المعجزة كما كانت لسائر الانبياء معجزات خاصة
لا يشاركه فيها غيرهم وايضا كان غرضه منه طلب ثبات الملك ودوامه
لنفسه والمعنى لا تسلبنيه الى آخر عمري كما لم تسلبنيه مني فيما مضى منه وهذا
بخلاف الحسد فانه عبارة عن ارادة زوال النعمة عن الغير وليس لاحد مثل
ملكه حتى اراد سليمان عدم زواله عنه بل هو دعاء لنفسه بعدم زوال نعمته الى الغير
مثل قول القائل رب هب لي زوجة لا يصل اليها غيري وانما دعا بهذا
الدعاء لسياسة الناس وانصاف بعضهم من بعض لما فيه من القيام

بحقوق الله ولم يسئله لاجل ميله الى الدنيا ومنه كقول يوسف عليه السلام
اجعلني على خزائن الارض قال بعض المفسرين ان معنى قوله لا ينبغي لاحد من
بعدي لا يطمح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافيا
ولا شيء في ان تتعلق همت العبد ويستوهب من مولاه نعما جليلة و
الطافا عظيمة وانما المحذور في ان يتمنى زوالها عن غيره واجاب بعض
العلماء بان ملك سليمان عليه السلام لما كان عظيما خاف ان لا يقوم
غيره بشكره ولا يحافظ فيه على حدود الله تعالى وكان عالما بان سر نبينا صلى الله
عليه وسلم لا يلاحظ الدنيا ولا سلكها كما قد اغنى جميع ما في ملك وجوه من جهت
الافعال والصفات فلم يبق شيء فظهر مكانه شيء لا يوسف حيث وقع تجلي الذات
في مرتبة لم ينلها احد من افراد الخلق سابقا ولا لاحقا وستظهر سلطنته
الصورية ايضا بحيث يكون آدم ومن دونه تحت لوائه فلا
يكون في ذلك الدعاء ضن على الانبياء عليهم السلام واجاب بعضهم بان
يكون معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي لا يسئل الملك احد بل يجب ان يكل
امره الى الله في اختياره له وقال بعض المفسرين كان ذلك

الدعاء منه عليه السلام بالحكم من الله لانه تعالى لما اراد تخصيصه بالملك الهمه
تلك الدعاء فقال رب هب لى الآية بان يكون الظهور به بالفعل
فى ذلك الشهادة فى الامور العامة والخاصة مختصا بى لا مطلق التمكن
فان ذلك مما اتاه الله تعالى غيره من اكمل نبيا كان او وليا الا ترى
ان نبينا صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع
على صلاتى فامكننى الله الحديث فعلمنا ان الله تعالى قد وهب لنبيه تصرفا فيه بما شاء
من الربط وغيره ثم ان الله تعالى ذكر متذكر دعوة سليمان فتاذب
مع كمال التأدب حيث لم يظهر التصرف فى الخصوص فكيف بالعموم
فرد الله ذلك العفريت بتركه هذا التأدب خاسئا عن الظفر به وكان فى وجود
سليمان عليه السلام وتبنية السلطنة العامة ولهذا الهمه الله تعالى ان يسأله
الملك المخصوص به فلم يكن سؤاله للبخل والحسد والحرص على الاستبداد
بالنعم وترغيبه فيها كما توهمه الجهلة قال صاحب الكشاف فان قلت
اما ليتسبب الحرص والحسد على الاستبداد بالنعمت ان يستعطى الله ما لا يعطيه
ما لا يعطيه غيره قلت كان سليمان عليه السلام نا شيا فى بيت الملك والنبوة وارثا
لهما فاراد ان يخاطب من ربه معجزة فطلب على حسب ما نشأ ملكا زائدا

على الممالك زيادة خارقة للعادت بالغة حد الاعجاز ليكون دليلا على
نبوته انتهى قال في اليواقيت وقد ذكر الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات
ان الاكابر ما سئلوا الله تعالى التوسع في الدنيا الا لغرض صحيح وذلك
انهم لما احكموا الزهد في الدنيا والقناعة فيها بالقليل امنوا على انفسهم
ان يشتغلوا من الله بشئ فسألوا الله التوسع في الدنيا ليوسعوا بها على
انفسهم وعلى من يلوذ بهم اعطاء لنفوسهم ومعارفهم حقهم وليستلذوا
بخطاب الله عز وجل لهم بقوله اقرضوا الله قرضا حسنا فانه تعالى ما خاطب
بذلك الا اهل الجدة والسعة فلاجل لذت خطاب الحق تعالى لهم ذلك سارعوا
الى تحصيل مرتبة الغنى بالتجارات المكاسب الشرعية لعلمهم بان من لا مال له محروم
من لذت هذا الخطاب فقد بان لك ان سليمان عليه السلام لم يقدح في كماله سؤاله
ذلك منه ان تكون ناقة صالح الناقة التي كرهت الدنيا لاجله انتهى والاصل
في الدنيا كرهها قال صلى الله عليه وسلم لعوضة فلا تكون شاغلة من الله تعالى بالنسبة
الى الانبياء والكمل ومحال ان يسئلوا من ربهم ما يحجبهم عنه او يحجبهم الله تعالى
ما يحجبهم اكرامهم وقد صرح صاحب التأويلات النجمية على بعض الاجوبة بقوله
ومنها انه قدم طلب المغفرة على طلب الملك لانه لو كان طلب الملك زلة

فى حق الانبياء كانت مسبوقة بالمغفرة لا يطالب بها ومنها ان الملك مهما يكن
فى يد مغفور له منظور بنظر العناية فما يصدر منه تصرف فى الملك الا مقرونا
بالعدل والنصفة وهو محفوظ من آفات الملك وتبعاته ومنها قوله وهب لى ملكا
لا ينبغى لاحد من بعدى اى يكون ذلك موهوبا لله بحيث لا ينزعه منه ويؤتيه
من يشاء كما هى السنة الالهية جارية فيه ومنها قوله لا ينبغى لاحد من بعدى اى
لا يطلبه احد غيرى لئلا يقع فى فتنة الملك على مقتضى قوله تعالى ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى فان الملك جالب للفتنة ومنها قوله لا ينبغى لاحد
من غيرى اى لا يكون هذا الملك ملتمس احد منك غيرى للتمتع والانتفاع به
وهو بمعزل عن قصدى وينتهى فى طلب هذا فان لى فى طلب هذا الملك
ينته لنفسى وينته لقلبى وينته لروحى وينته للمالك باسرها وينته للرعايا
فاما ينتهى لنفسى فتزكيتها عن صفات الذميمة واخلاقها الئيمة وذلك فى
منعها عن استيفاء شهواتها وترك مسئالة اتها النفسانية بالاختيار
دون الاضطرار وانما يتيسر ذلك بعد القدرة الكاملة عليها بالملكية والملكية
بلا مانع ولا منازع وكمالية فى المملكة بحيث لا يكون فيها ما يحرك داعية
من دواعى البشرية المركوزة فى جبلة الانسان ليكون كل واحدة من الشهويات

والمستلذات النفسانية محركة الداعية تناسبها عند تملكها والقدرة
عليها عند توقان النفس اليها وغلبات هواها فيجرم على النفس مرضعها
ويحرمها من مشاربها ويهناها عن هواها خالصا لله وطلبا لمرضاته فتموت
النفس عن صفاتها كما يموت البدن عند اعواز فقدان ما هو غذاء يعيش
به فاذا ماتت عن صفاتها الذميمة يحييها الله بالصفات الحميدة كما قال
ولنحيينه حياة طيبة وقال قد افلح من ذكاها فلا يبقى لها نظر
الى الدنيا وسائر نعمها كما كان حال سليمان لم يكن له نظر الى الدنيا
ونعيمها وانما كان مع تلك السعة في المملكة يأكل كسرة من كسب يده
مع جليس مسكين ويقول مسكين جالس مسكينا واما بنية القلب بتصفية
عن محبة الدنيا وزينتها وشهواتها وتوجيه الى الآخرة بالاعراض عنها
عند القدرة عليها والتمكن منها تصورها في سبيل الله وقلعا اصلها من
ارض القلب ليبقى القلب صافيا من الدنس قابلا للفيض الالهي فانه
خلو من آفة لجميع الصفات الالهية واما بنيته لروحه فتحليته بالاخلاق
الحميدة الربانية ولا سبيل اليها الا بعلو الهمة وخلوص النية فان المرء
يطير بهمته كالطائر يطير بجناحيه وموقوفة الهمة بحسب نيل المقاصد الدنيوية

الدنية وصرفها فى نيل المراتب الدينية الاخروية الباقية وان ترك المقاصد
الدنيوية الدنية فانكان اثر التربية الهمة ولكن لا يبلغ حد اثر الصرف
ما يملك من المقاصد الدنيوية لنيل مراتب الدرجات العلية فلما كان من
اخلاق الله تعالى ان يحب معالى الامور ويبغض سفسافها التمس سليمان
اقصى مراتب الدنيا وغاية مقاصدها لئلا يلتفت اى كان لا يشتغل قلبه
بمرتبة من مراتب الدنيا بعد حصولها بأسرها له ويستعملها فى تربية الهمة
لتتحلى روحه بان يحسن اليهم ويؤلف قلوبهم ببذل الماء والجاه فان القلوب
جبلت على حب من احسن اليها فانهم اذا احبوا نبى الله لزمهم حب الله فيكون
حب الله وحب نبيه فى قلوبهم منحصرا فى الايمان ومن لم يمكن ان يؤمن بالاحسان
فيدخلهم فى الايمان بالقهر والغلبة بان يأتيهم بجنود لم يروها كما ادخل
بلقيس وقومها فى الايمان واما نية للمالك بان يجعل الممالك الدنيوية
الفانية اخروية باقية بان يتوسل بها الى الحضرة بصرفها باظهار الدين
واقامة الحق واعلاء كلمة الاسلام فانقيل قوله لا ينبغى لاحد من بعدى هل
يتناول النبى صلى الله عليه وسلم اولا اجيب اما بالصورة فيتناول ولكن تعلم منه
وكمال قدره لعدم استحقاقه لانه عرض عليه صلى الله عليه وسلم ملك اعظم من ملكه

فلم يقبله وقال الفقر فخرى واما بالمعنى فلم يتناول النبى صلى الله عليه وسلم
لانه قال فضلت على الانبياء بست يعنى على جميع الانبياء ولا خفاء فى ان سليمان
عليه السلام ما بلغ درجة واحد من اولى العزم من الرسل مع اختصاصه
بصورة الملك منهم وهم معه مفضولون بست فضائل من النبى صلى الله
عليه وسلم بمعنى الملك الحقيقى الذى كان ملك سليمان صورة بلا ريب يكون
داخلا فى الفضائل التى اختصه الله بها واخبر عنها بقوله وكان فضل الله عليك
عظيما بل اعطاه الله ما كان مطلوب سليمان من صورة الملك ومعنا وفزها
اعطى سليمان عليه السلام انتهى والاولى فى الجواب ان يقال لئن سلم سليمان
عليه السلام بالبعدية البعدية الزمانية حتى تناول الانبياء بل كان
مراده بها البعدية فى الرتبة يعنى لا ينبغى لاحد من بعدى فى المرتبة بان لا يكون
نبيا فيكون معناه ان من كان مثلى فى انقطاع التعلقات عن الخلق واشتغال
قلبه بحب الله ومعرفته لا يضره ولا يشغله شئ فكان له الدنيا وسيلة الى
كسب الحسنات ومن لم يكن كذلك كانت الدنيا له شاغلا عن الله فكانت الدنيا
مضرة له فلا ينبغى لمثله ضررها والانبياء كلهم شاغلون قلوبهم بحب الله تعالى
ومعرفته فلا يضرهم الدنيا او يقال ان مراده بقوله من بعدى غيره من ملوك زمانه

لان لا يعارض معجزة الدالة على نبوته فافهم **الفصل العاشر في شأن سيدنا**

يونس عليه السلام واختلف المحققون في عصمة الانبياء عليهم السلام

بقوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى

في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين

من وجوه الاول ان اكثر المفسرين على انه ذهب يونس مغاضبا

لربه ويقال هذا قول ابن مسعود وابن عباس والحسن والشعبي

وسعيد بن جبير ووهب واختاره ابن قتيبة ومحمد ابن جرير

فاذا كان كذلك فيلزم مغاضبة لله تعالى والمغاضبة لله من

اعظم الذنوب ثم على تقدير ان هذه المغاضبة لم تكن مع الله تعالى

بل كانت مع ملك قومه ورئيسهم كان محظورا لان الله تعالى

قال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وذلك

يقتضي ان ذلك الفعل من يونس كان محظورا وثالثها قوله

تعالى فظن ان لن نقدر عليه وذلك يقتضي كونه شاكا في قدرة

الله تعالى والشك في قدرة الله ذنب كبير ثالثها قوله اني كنت من الظالمين

والظلم ذنب وقال الله تعالى الا لعنة الله على الظالمين ورابعها

انه لو لم يصدر عنه الذنب فلم عاقبه الله تعالى بان القاه فى بطن الحوت وخامسها
قوله لا تكن كصاحب الحوت فان لم يكن صاحب الحوت مذنبا لم يجز النهى عن
تشبيهه به وان كان مذنبا فقد حصل الغرض والجواب عن الاول انه
ليس فى الآية من غاضبه لكنا نقطع على انه لا يجوز على نبى الله ان
يغاضب ربه لان ذلك صفة من يجهل كون الله صاحبا للامر والنهى
والجاهل بالله لا يكون مؤمنا فضلا عن ان يكون نبيا واذا ثبت
انه لا يجوز صرف هذه المغاضبة الى الله تعالى وجب ان يكون المراد
انه خرج مغاضبا لغير الله والغاضب انما يغاضب من يعصيه فيما يامره
به فيحتمل قومه او الملك او هما جميعا ومعنى مغاضبته لقومه انه غضب
عليهم لطول ما ذكرهم واقام على كفرهم وظن ان ذلك ليسوغ حيث
لم يفعله الا غضبا لله والعنة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان
عليه ان يصبر وينتظر الاذن من الله تعالى فى المهاجرة عنهم فابتلى
ببطن الحوت او انه لما اخبر قومه ان الله تعالى ينزل العذاب بهم لاجل
معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضى الاجل انه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم لاى
سبب لم يعذبهم فخشى ان ينسب الى الكذب ويعيره بذلك لا ارجع

الى قومه كذا يا فذهب مغاضبا للرجوع اليهم كما رها له والغضب
الكراهة وان كان من قبله خاصة الا انه اخرج على بناء المفاعلة للدلالة
على كمال غضبه والمبالغة فيه لان اكثر استعمال بناء المفاعلة في المبالغة
ولا شك ان ماصدر بطريق المبالغة يكون اتم ويحتمل ان يكون البناء
على بابه اى من باب المشاركة من حيث انه اغضب قومه حين
لم يؤمنوا بدعوته واصروا على الكفر مدة واغضوا اياه حين وعظهم وزجرهم
او حين خرج من بينهم لخوفهم لحوق العذاب بهم عند خروجه من بينهم واما على
القوم ايضا كانت محظورة قلنا لا نسلم انها كانت محظورة فان الله تعالى امره بتبليغ
الرسالة اليهم فلما لم تقبل رسالته ونبوته عندهم لسبب اصرارهم على الكفر صار
مغاضبا لهم وكان ذلك الغضب غضبا لله تعالى لاجله والفته لدينه و
لغضاضة الكفر والشرك وعن الثاني انه ليس معنى قوله فظن ان لن نقدر عليه ظن
عجز قدرت الله تعالى عليه لان من ظن عجز الله فهو كافر ولا يجوز نسبة الكفر
الى الانبياء بل معناه اما ان لن نضيق عليه لان القدر قد يكون بمعنى
ضيق يقال قدر على عياله قدرا قال الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر اى يضيق ومن قدر عليه رزقه اى ومن ضيق روى عن ابن

عباس رض على معاوية يوما فقال له معاوية لقد ضربتني امواج القرآن البارحة
ففزعت فيها ولم اجد لنفسي خلاصا الا بك فقال وما هي يا معاوية ففزع
هذه الآية وقال ويظن بنو الله ان لا يقدر عليه تعالى فقال ابن عباس رض هذا من القدر
لا من القدرة اولن نقضي عليه بالعقوبة لان القدر قد يكون بمعنى قضى يقال
قدر الله الشيء وقدره اي قضاه وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك
والكلبي ورواية العوفي عن ابن عباس رض الله عنه واختار الفراء والزجاج
وقال الزجاج نقدر بمعنى نقدر يقال قدر الله الشيء قدرا وقدره تقديرا
فالقدر بمعنى التقدير كما قرء عمر ابن عبد العزيز والزهري فظن ان لن نقدر عليه
بضم النون والتشديد من التقدير اولن نعمل فيه قدرتنا على ان يكون نقدر
من القدرة التي هي مجاز عن اعمال القدرة ومباشرة الفعل بها على طريق اطلاق
السبب وارادة المسبب فان بين القدرة والفعل علاقة السببية فلا يبعد
جعل احدهما مجازا عن الآخر ويحتمل ان يكون هذا من باب التمثيل
بان يشبه حاله في خروجه عن قومه من غير انتظار لامر الله تعالى بحال
من ظن انه تعالى لا يقدر عليه وعن الثالث انه عليه السلام عد نفسه من
الظالمين لاجل انه كان تاركا للافضل مع القدرة على تحصيله فكان

ذلك ظلما بالنسبة اليه لان حسنات الابرار سيئات المقربين والملامة
ايضا كانت بهذا الاعتبار والجواب عن الوجه الاول انا لا نسلم ان ذلك
عقوبة اذ الانبياء لا يجوز ان يعاقبوا بل المراد به المحنة لكن كثيرا
من المفسرين يستعملون العقوبة في مطلق المحنة هذا كله على تقدير وقوع
تلك القصة بعد وقوع يونس عليه الصلوة والسلام في بطن الحوت بعد اشتغاله
باداء الرسالة واما على تقدير وقوع هذه القصة قبل اشتغاله باداء الرسالة
على ما روى عن ابن عباس انه قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين
فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقي سبط ونصف فاوحى
الله تعالى الى شعيب النبي عليه الصلوة والسلام ان اغز بالحرب الملك
وقل له وجه بنيا قويا اسيا الى هؤلاء فاني القي في قلوبهم الرعب حتى
يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وجه في مملكته خمسة
من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوي امين فدعاه الملك وامره ان يخرج
فقال يونس هل امرك الله تعالى باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال
لا فقال يونس وههنا انبياء غيري فلحوا عليه فخرج فاتبعه الملك
ولقومه فاتى بحر الروم فوجد قوما هيؤا السفينة فركب معهم فلما لجت السفينة

تكافأت بهم فكادوا يغرقون فقال الملاحون ههنا رجل عاصٍ وعبد آبق لان
السفينة لا تفعل هذا الا وفيها رجل عاصٍ ومن رسمنا اذا ابتلينا بهذا البلاء ان
نقترع فمن وقعت عليه القرعة القيناه في البحر ولان يغرق واحد خير من ان
تغرق السفينة واقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس
عليه السلام فقال انا الرجل العاصي والعبد الآبق فالقى نفسه في البحر
فجاء حوت وابتلعه فاوحى الله تعالى الى الحوت ان لا تؤذ منه شعرة
فانى جعلت بطنك سجنا له ولم اجعله طعاما ثم لما انجاه الله تعالى
من بطن الحوت ونبذه بالعراء كالفرخ المنتوف ليس به شعر ولا جلد
انبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى
اشتد فيبست فحزن عليها يونس عليه السلام فقيل له اتحزن على
شجرة ولم تحزن على مائة الف او يزيدون حيث لم تذهب اليهم
ولم تطلب راحتهم ثم اوحى الله تعالى اليه وامره ان يذهب اليهم
فتوجه اليهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فاتاهم يونس وقال
لملكهم ان الله تعالى ارسلني اليك فارسل معي بني اسرائيل قالوا ما نعرف ما تقول ولو
علمنا انك صادق لفعلنا وقد اتينا كم في دياركم وسبينا كم فلو كان الامر

كما تقول لمنعنا الله عنكم فطاف بهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فابوا عليه
فاوحى الله تعالى اليه قل لهم ان لم يؤمنوا جاءهم العذاب فابلغهم فابوا فخرج من عندهم
فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه ثم ذكروا
امرهم وامر يونس للعلماء الذين عندهم فقالوا انظروا واطلبوه فى المدينة
فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شئ وان كان قد خرج فهو
كما قال فطلبوه فقيل لهم انه خرج العشية فلما ايسوا اغلقوا باب مدينتهم فلم
يبرحوها هم وابهم ولا غنمهم وعزلوا كل والدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات
ثم قاموا ينتظرون الصيح فلما انشق الصبح رأوا العذاب نزل من السماء فشقوا
جيوبهم ووضعت الحوامل ما فى بطونها وصاح الصبيان ونعقت الاغنام والبقر
ورفع الله العذاب عنهم فبعثوا الى يونس فآمنوا به وبعثوا معه بنى اسرائيل انتهى
كما هو الصحيح لقوله تعالى فى سورة والصافات فنبذناه بالعراء وهو سقيم
وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فلا حاجة
الى الاجوبة المذكورة لانه لما دعاه الملك وامره بالخروج الى الملك
المقابل وقال له يونس هل امرك الله باخراجى فقال الملك لا ثم سأله ثانيا
فقال هل سمانى لك فقال لى لا ثبت عنده ان خروجه بنفسه الى ذلك الملك

لیس بامر اللہ تعالی فلا ضرورۃ لہ بالخروج الیہ ولو قال الملک فی جوابہ
نعم امرنی اللہ باخراجک لخرج البتۃ ویبذ اسئلہ مرۃ بعد اخری لکن لما کان
لہ اولی ان یسعی فی تخلیص قومہ وان لم یکن واجبا علیہ ابتلی ببطن الحوت

وعد نفسہ من الظالمین **الفصل الحادی عشر فی شان سیدنا ومولانا وحبیبنا**
وشفیعنا محمد علیہ وعلی آلہ وصحبہ افضل الصلوٰۃ والتسلیمات

واحتج الطاعنون فی عصمت الانبیاء علی عدم عصمت علیہ السلام بامور منہا
قولہ تعالی ووجدک ضالا فہدی فان ہذا القول یدل علی انہ علیہ السلام
کان علی دین قومہ الی مدت کما قال السدی انہ علیہ الصلوٰۃ والسلام کان علی دین قومہ
اربعین سنۃ وقال المجاہد فی تفسیر ہذا القول ووجدک ضالا عن الہدی
فہداک لدینہ وقال الکلبی ووجدک ضالا یعنی کافرا فی قوم ضلال فہداک
للتوحید والموافقۃ مع الکفار فی امور الدین ذنب عظیم اقول لیس معنی
الآیۃ ما زعمہ الطاعنون لانہ یستلزم الکفر وہو علی الانبیاء محال علیہ جائز
لقولہ علیہ السلام ما کفر باللہ بنی قط وایضا انعقد الاجماع علی عصمت الانبیاء
من الشرک والکفر کما مر فی الباب الاول وایضا قال اللہ تعالی فی شانہ علیہ السلام
ما ضل صاحبکم وما غوی فکیف یلیق بالمومن ان یحظر بالقلب تلک العقیدۃ

الفاسدة بل معنى الآية ما ذكره الجمهور من المفسرين فى تفسيرها بوجوه احدها
ما روى عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب وجدك ضالا
عن معالم النبوة واحكام الشريعة غافلا عن كل ما لا طريق الى ادراكه الا السمع
فهداك اليه باعمال المذكورة فيه فيكون الضلال بمعنى الغفلة كقوله تعالى
لا يضل ربى ولا ينسى ويؤيده قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله ما كنت تدرى
ما الكتاب ولا الايمان وثانيهما قال كعب رضى الله عنه ان حليمة لما قضت حق
جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة
هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور والبهاء والجمال قالت
فوضعته لاصلح شأنى فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم ار شيئا فقلت
يا معشر الناس ابنى الصبى فقالوا لم نر شيئا فصحت واحمداه فاذا شيخ قائم
يتوكأ على عصى فقال اذهبى الى الصنم الاعظم فان شاء ان يرده
اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب لم تزل منتك على
قريش وهذه السعدية تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب
على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك ايها الشيخ فهلاكنا على يد محمد
فالتفت الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فان خشيت

قريش الى عبد المطلب طلبوه فى جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة
سبعا وتضرع الى الله تعالى ان يرده فسمعوا منادا ينادى من السماء معاشر الناس
لا تفجعوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادى شمامة عند شجر السمر
فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبى صلى الله عليه وسلم قائم تحت
شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وثآلثها كما روى مرفوعا انه عليه الصلوة
والسلام قال ضللت عن جدى عبد المطلب وانا صبى ضائع كاد الجوع
يقتلنى فرآنى الله ذكره الضحاك وذكر تعلقه باستار الكعبة ويقول يا رب
رد ولدى محمدا فما زال يردد هذا عند البيت حتى اتاه ابو جهل على ناقته
محمد بن ابيه معه يقول له ما ترى ما ذا ترى من ابنك فقال عبد المطلب
وما ذاك فقال انى اخفضت الى الارض فاركبته من خلفى فاتبت الناقة ان تقوم
فلما اركبته لما رأت الناقة كان الناقة تقول يا احمق هو الامام
فكيف يقوم خلف المقتدى وقال ابن عباس ردّه الى جده بيد
عدوه كما فعل بموسى حين حفظه على عدوه وآيرها قال سعيد بن المسيب
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه ابى طالب فى قافلة ميسرة عبد
خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة على ناقة فجاء ابليس فاخذ بزمام الناقة

فعدل بها عن الطريق فجاء جبرئيل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى
ارض الحبشة وقيل الى ارض الهند وردده الى القافلة فمن الله تعالى عليه
بذلك وخامسها يقال ضل الماء فى اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الآية
كنت مغمورا بين الكفار بمكة ففوك الله تعالى حتى اظهرت دينه وسادسها
العرب تسمى الشجرة الفريدة فى الفلات ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك
البلاد كالمفازة ليست فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله ومعرفته
الا انت فانت شجرة فريدة فى مفازة الجهل فوجدتك ضالا فهديت
بك الخلق الىّ ونظيره قوله عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن وسابعها ووجدك
ضالا عن معرفة الله تعالى حين كنت طفلا صبيا كما قال
والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا فخلق فيك العقل والهداية
والمعرفة والمراد من الضال الخالى عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد الخطاء
او وجدك ضالا عن وصال محبوبك فهديك الى وصاله حتى كنت
قاب قوسين او ادنى وثامنها كنت ضالا عن النبوة ما كنت تطمع فى ذلك
ولا خطر شئ من ذلك فى قلبك فان اليهود والنصارى كانوا يزعمون ان النبوة
فى بنى اسرائيل فهديتك الى النبوة التى ما كنت فيها البتة او كنت منقطعا

في ابتداء ظهورك متحيرا عن ادراك حقيقتك وحقيقتنا فهديناك المعرفتك
كان من عرف نفسه فقد عرف ربه وتاسعها انه قد يخاطب السيد ويكون
المراد قومه مثل قوله لئن اشركت ليحبطن عملك فقوله ووجدك ضالا
اى وجد قومك ضلالا فهداهم بك وبشرعك وعاشرها وجدك ضالا
عن الضالين منفردا عنهم عجانبا لدينهم فكلما كان بعدك عنهم اشد كان
ضلالهم اشد فهداك الى ان اختلطت بهم ودعوتهم الى الدين المبين
الحادى عشر وجدك ضالا عن الهجرة متحيرا فى يد قريش متمنيا فراقهم وكان
لا يمكنك الخروج بدون اذنه تعالى فلما اذن له ووافقه الصديق عليه
وهداه الى خيمة ام معبد وكان ما كان من حديث سراقة وظهور القوة
فى الدين كان ذلك المراد بقوله فهدى الثانى عشر وجدك ضالا اى عن القبلة
فانه كان يتمنى ان تجعل الكعبة قبلة له وما كان يعرف ان ذلك هل يحصل
له ام لا فهداه الله بقوله فلنولينك قبلة ترضاها فكانه سمى ذلك التحير
بالضلال الثالث عشر انه حين ظهر له جبرئيل عليه السلام فى اول امره
ما كان يعرف انه جبرئيل عليه السلام ام لا وكان يخاف منه فاشد يدا وربما
اراد ان يلقى نفسه من الجبل فهداه حتى عرف انه جبرئيل عليه السلام والرابع عشر

الضلال بمعنى المحبة كما فى قوله انك لفى ضلالك القديم اى محبتك
يعنى وجدك محبا عاشقا مغرما فى الحب والعشق يكنى بالضلال لاستلزامه السكر
غالبا والسكران يغلط الطريق غالبا وفى الحديث حملك الشئ يعمى ويصم فهو
تسمية السبب باسم المسبب كما فى قوله تعالى انزل الله من السماء ماء ان ارق
يعنى فمن مطر وقال نسوة فى المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد
شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين ومعناه انك محب فهذيتك الى التى هى
التى بها تتقرب الى خدمت محبوبك الخامس عشر وجدك ضالا اى مستلذا بالدنيا
لا تعرف التجارة وغيرها تشهد بتيك حتى رجعت تجارتك وظهر ان حبتك
رغبت عن تجارتك والمعنى انه ما كان لك وقوف على امر ما حتى
تعرف سوى الدنيا فهديتك الى مصالح الدنيا بعد ذلك
ضالا اى ضالا فى قومك كانوا يؤذونك ولا يرضون
امرك وهذا مثال ان صرت اميرا واليا عليهم السابع عشر معناه كنت ضالا
ما كنت تهتدى على طريق السموات فهديتك اذ عرجت بك الى السموات ليلة المعراج
الثامن عشر وجدك ضالا اى ناسيا فهديتك اى ذكرتك وذلك انه ليلة المعراج
لشئ ما يجب ان يقال بسبب الهيبة فهداه الله الى كيفية الثناء حتى قال

الثناء عليك التاسع عشر انه وان كان عارفا بالله بقلبه
الا انه كان في الظاهر لا يظهر لهم خلافا فعبر عن ذلك بالضلال وبهذا ظهر
وجه قول السدي والمجاهد والكلبي لان الكفر ليس معناه ما ذهبوا اليه عن
لاستحالة صدوره عن الانبياء عليهم السلام بالدلائل العقلية والنقلية
والاجماع كما ذكرنا فلا بد ان يحمل الكفر على المعنى اللغوي وكنت
ساتر التوحيد من غير اظهاره عند القوم فهداك الله الى اظهار توحيده
عندهم واظهاره وبالجملة لا دلالة لهذه الآية والاقوال المذكورة على العصيان
والميل عن طريق الحق والعشرون ووجدك ضالا اي عن التوحيد الذاتي عند كونك
في عالم ابيك محتجبا بالصفات عن الذات فهداك بنفسه الى عين الذات
ومنها تولهه تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك بان الوزر هو الذنب
وانقاضه الظهر يدل على كبره اجاب المفسرون المحققون عن هذا الاشكال
بوجوه احدها ما قال قتادة كانت للنبي صلى الله عليه وسلم صغائر سلفت
في الجاهلية قبل النبوة وقد اثقلته فغفرها له يعني انه عليه الصلوة والسلام فعل
امورا قبل ظهور نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة
عدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له وثانيها

ان المراد منه تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بامرها
وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط عنه
ثقلها بان يسرها عليه حتى تيسرت له يعني ان اداء التكاليف الشرعية من دعوة
الخلق وتبليغ الاحكام واتيان ما امر الله به وانتهاء كل ما نهى الله عنه
ثقيل شاق الم تران السموات والارض والجبال ابين ان يحملنها واشفقن
منها وقال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين فلما شرح الله صدره
صلى الله عليه وسلم للايمان والحكمة وازال عنه حظ الشيطان ورذائل النفس
التي جبلت عليها النفوس صارت التكاليف الشرعية له عليه السلام طبعية
مرغوبة محبوبة حتى قال وجعلت قرة عيني في الصلوة وهذه المرتبة التي عبر الله
سبحانه وتعالى عنها بوضع الوزر يسميها الصوفية بالايمان الحقيقي وهذا هو المعنى
من قولهم لسقوط التكليف عن الصوفي وهذه المرتبة العليا اعني شرح الصدر
ووضع الوزر حصلت للنبي عليه السلام ظاهرا وعيانا وتحصل الاولياء امته
بهدايته باطنا بحيث يظهر في المثال وذلك بعد فناء النفس وزوال العين
والاثر وهناك يحكم الصوفية العلية ويشير بشرح الصدر والايمان
الحقيقي فحاصل معنى الآية الم نشرح صدرك ووضعنا وزرك انقض

كلفة التكليف ظهرك ولم تستطع اداء ما وجب عليك حق الاداء ولهذا
قال عليه السلام لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ويؤيده
ما قال الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي هو وزر النبوة والقيام باعبائها
لانه في مقام الشهود لا يجد للخلق وجودا فضلا عن الفعل ولم يفرق
بين فعل وفعل لشهوده لا فاعل له تعالى فكيف يثبت خيرا وشرا ويامر وينهى
وهو لا يرى الا الحق وحده فاذا رد الى مقام النبوة عن مقام الولاية
وحجب بحجاب القلب وثقل ذلك عليه وكاد ان يقصم ظهره لاحتجابه عن الشهود
الذاتي حينئذ فوهب له تمكين في مقام البقاء حتى لم يحتجب بالكثرة عن الوحدة
وشاهد الجمع في عين التفصيل ولم يغب عن مشهوده بالدعوة وذلك هو
شرح الصدر وهو بعينه وضع الوزر وقالتها الوزر ما كان يكره من
تغييرهم لسنة الخليل وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله وقال له ان
اتبع ملت ابراهيم ورايتها اتخاذ نوب امنة صارت كالوزر عليه لا يعرف
ما ذا يصنع في خصمهم الى ان قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فامنه
من العذاب في العاجل ووعده الشفاعة في الاجل وخامسها معناه
عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الذنب

حاصلا فسمي العصمت وضعا مجازا فمن ذلك ما روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون
به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك فان قلت
ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي باعلى مكة لو حفظت لي غنمي حتى
ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشبان فخرجت اريد ذلك حتى اتيت اول
دار من دور مكة فسمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقالوا فلان ابن فلان
يزوج بفلانة فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني
الا مس الشمس فرجعت صاحبي فقال ما فعلت فقلت ما صنعت شيئا
ثم اخبرته الخبر قال ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك فضرب الله على
اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله
برسالته وسادسها الورد ما اصابه من الهيبة والفزع في اول ملاقاة
جبرئيل عليه السلام حين اخذته الرعدة وكاد يرمي نفسه من الجبل
ثم تقهقر حتى الفه وصار بحالة كاد يرمي بنفسه من الجبل لشدة اشتياقه
وقت فتور الوحي وسابعها الورد ما كان يلحقه من الاذى والشتم
حتى كاد ينقض ظهره وتأخذه الرعدة ثم قواه الله تعالى حتى صار

بحيث كانوا يدمون وجهه ويقول اللهم اهد قومي فقامنها الموادمن الوزر
واثقل الحيرة التي كانت له قبل البعثة وذلك انه بكمال عقله لما نظر الى عظيم
نعم الله تعالى عليه حيث اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه الحياة والعقل
وانواع النعم ثقل عليه نعم الله وكاد ينقض ظهره من الحياء لانه
عليه السلام كان يرى ان نعم الله عليه لا تقطع وما كان يعرف انه
كيف يطيع ربه فلما جاءته النبوة والتكاليف وعرف انه كيف ينبغي له
ان يطيع فحينئذ قل حيائه وسهلت عليه تلك الاحوال فان اللئيم لا يستحي
من زيادة النعم دون مقابلتها بالخدمة والانسان الكريم النفس
اذا كثرت الانعام عليه وهو لا يقابلها بنوع من انواع الخدمة فانه يثقل
ذلك عليه جدا بحيث يميته الحياء فاذا كلفه المنعم بنوع خدمة سهل
ذلك عليه وطاب قلبه وفيه وفيه وتاسها لعل ان يكون نزول
الآية بعد موت ابي طالب وخديجة فلقد كان وزرا فادحا عليه وزرا
عظيما فوضع عنه الوزر برفعه الى السماء حتى لقيه كل ملك وحياه
فارتفع له الذكر فلذلك قال ورفعنا لك ذكرك والعاشر ان
الوزر عبارة عن ترك الاولى والانتقاض عبارة عن استعظامه اياه

وهو غير قادر في عصمة الحلاك عشرات الموادبالي زعم الفراق وتوهم الوداع الذي احزن النبي صلى الله
تعالى عليه واله وسلم وقت نزول الوحي وقول الله سبحانه وتعالى ما ودعك ربك وما قلى فانزل الله سبحانه ذلك الغم الذي
بانزال الآيات من سورة والضحى والم نشرح حتى سكن النبي صلى الله تعالى عليه واله وسلم حاشاه واستقر نفسه
وعلم ان ذلك الفراق ليس على سبيل الوداع وانقلاب بل كان لحكمة ومنفعة وفعل الله سبحانه ازالة
ذلك الغم من المنعم عليه ومنها قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وان عبد الله ابن ام مكتوم
لما اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل ابن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية ابن خلف والوليد ابن المغيرة يدعوهم الى الاسلام
رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال النبي صلى الله تعالى عليه واله وسلم يا محمد اقرء علي
مما علمك الله وكرر ذلك فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم قطعه لكلامه فعبس
واعرض عنه تعاتبه الله تعالى على ذلك الفعل وهو يدل على ان ذلك الفعل كان معصية وذنبا
والجواب ان ذلك الفعل ليس بذنب ولا معصية لان الاهم مقدم على المهم وابن ام مكتوم كان قد اسلم
وتعلم ما كان يحتاج اليه من امر الدين اما اولئك الكفار فانهم كانوا قد اسلموا وكان اسلامهم
سببا لاسلام جمع عظيم فالقاء ابن ام مكتوم ذلك الكلام في البين كان سببا في قطع ذلك
الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم وايضا قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون فنهاهم عن مجرد النداء الا في الوقت فهم منا هذا النداء

الذى صار كالصارف للكفار عن قبول الايمان وكالقاطع على الرسول
اعظم مهماته اولى ان يكون ذنبا ومعصية وظاهر انه عليه السلام كان ماذونا
فى ان يعامل اصحابه بحسب ما يراه مصلحة انه عليه السلام كثيرا ما كان يوبخ
اصحابه ويزجرهم عن اشياء لانه بعث لتاديبهم وتعليمهم محاسن الاخلاق
والآداب لا انه لما كان مامورا بتقديم الاغنياء على الفقراء وذلك غير لايق
بشان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان ذلك جائزا بل ترك
الاحتياط وترك الافضل عاتبه الله تعالى به لان حسنات الابرار سيئات
المقربين ومنها قوله عفى الله عنك لما اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين فان هذه الآية تدل على صدور الذنب عن الرسول عليه السلام
من وجهين الاول انه تعالى قال عفى الله عنك والعفو لا يستدعى
سابقة الذنب والثانى انه تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام بمعنى الانكار
فدل هذا على ان ذلك الاذن كان معصية وذنبا والجواب عن الاول لا نسلم
ان قوله عفى الله عنك يوجب الذنب ولم لا يجوز ان يقال ان ذلك يدل
على مبالغة الله فى تعظيمه وتوقيره كما يقول الرجل لغيره اذا كان
معظما عنده عفى الله عنك ما صنعت فى امرى ورضى الله عنك ما جوابك

عن كلامي وعافاك الله ما عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا
مزيد التجهيل والتعظيم والجواب عن الثاني ان نقول لا يجوز ان يقال المراد
بقوله لم اذنت لهم الانكار لانا نقول اما ان يكون صدر عن الرسول ذنب
في هذه الواقعة او لم يصدر عنه ذنب فان قلنا انه ما صدر عنه ذنب
امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا
انه كان قد صدر عنه ذنب فقوله عفى الله عنك يدل على حصول العفو عنه
وبعد حصول العفو عنه يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على
جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول
مذنبا وعند هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والافضل والاكمل
وتارك الافضل في امور الحروب قد يعاتب ومنها قوله تعالى ما كان لنبي
ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فانه عليه السلام لما اتى
باسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابيطالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك
واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك

فقام عمر وقال كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم هؤلاء
ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء فمكن عليا من عقيل وحمزة من
العباس ومكني من فلان ينسب له فنضرب اعناقهم فقال عليه الصلوة
والسلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد
قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن
تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثل عيسى في قوله ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثل موسى حيث
قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه واله وسلم الى قول ابي بكر فلما اخذ الفداء
نزلت هذه الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء
بكيت وان لم اجد تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
منه ولو نزل عذاب من السماء لما نجى منه غير عمر وسعد بن معاذ

[illegible] اعلم ان هذا المذكور يدل على صدور الذنب
عنه عليه السلام من وجوه الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون
له اسرى معناه ان هذا المعنى منهي عنه وممنوع من قبل الله تعالى
فان هذا المعنى قد حصل بما رويناه ولقوله تعالى بعد تلك الآية
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى الآية والثاني انه
تعالى امر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وجميع قومه يوم بدر
بقتل الكفار وهو قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل
بنان وظاهر الامر الوجوب فلما لم يقتلوا بل اسروا كان الاسر معصية
الثالث ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حكم باخذ الفداء وكان
اخذ الفداء معصية لقوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
اجمع المفسرون على ان المراد من عرض الدنيا ههنا هو اخذ الفداء ولقوله
تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
واجمعوا على ان المراد بقوله لاخذتم ذلك الفداء والرابع ان النبي صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم وابا بكر بكيا وصرح الرسول عليه السلام انه انما بكى
لاجل انه حكم باخذ الفداء وذلك يدل على انه ذنب الخامس

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة ولو نزل لما نجى منه الاحمر وذلك يدل على الذنب والجواب
عن الوجه الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن
في الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان
في الارض والمراد بالاثخان هو القتل والتخويف الشديد ولا شك
ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما وليس من شرط الاثخان في الارض
قتل جميع الناس ثم انهم بعد القتل الكثير اسروا جماعة والآية
تدل على ان بعد الاثخان يجوز الاسر فصارت هذه الآية دالة دلالة
بينة على ان ذلك الاسر كان جائزا فكيف يمكن التمسك
بهذه الآية في ان ذلك الاسر كان ذنبا ومعصية وبيان كذا
هذا الكلام بقوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما
فداء فان قالوا فعلى ما شرحتموه دلت الآية على ان ذلك الاسر كان جائزا
والاتيان بالجايز المشروع لا يليق بترتيب العتاب عليه فلم ذكر الله
بعده ما يدل على العقاب فنقول الوجه فيه ان الاثخان في الارض ليس
مضبوطا بضابط معلوم معين بل المقصود منه اكثار القتل بحيث يوجب

وقوع الرعب في قلوب الكافرين وان لا يتجرؤا على محاربة المؤمنين وبلوغ
القتل الى هذا المقدار لا شك انه يكون مضافا الى الاجتهاد فلعله غلب
على ظن الرسول عليه السلام ان ذلك القدر من القتل الذي تقدم
كاف في حصول هذا المقصود مع انه ما كان الامر كذلك فكان هذا خطأ
واقعا في الاجتهاد في صورة ليس فيها نص وحسنات الابرار سيئات
المقربين فحسن ترتيب العتاب على ذكر هذا الكلام لهذا السبب مع ان
ذلك لا يكون البتة ذنبا ولا معصية ويمكن ان يجاب بانه ليس فيه الزام
ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل به بين سائر الانبياء
فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم
تحل لنبي قبلي وانقيل ما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية قيل اراد
بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد عرضه لعرض الدنيا وحده
والاستكثار منها وليس المراد هذا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل
الناس بالسلب وجميع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو
ثم قال الله تعالى لولا كتاب من الله سبق والجواب عن الوجه الثاني ان

نقول ان ظاهر قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق ان هذا الخطاب انما كان
مع الصحابة لاجماع المسلمين على انه عليه السلام ما كان مامورا ان يباشر
قتل الكفار بنفسه واذا كان هذا الخطاب مختصا بالصحابة فهم لما تركوا القتل
واقدموا على الاسر كان الذنب صادرا منهم لا من الرسول عليه السلام ونقل
ان الصحابة لما هزموا الكفار وقتلوا منهم جمعا عظيما والكفار فروا اذهب الصحابة
خلفهم وتباعدوا عن الرسول عليه السلام واسروا اولئك الاقوام ولم يعلم الرسول
باقدامهم على الاسر الا بعد رجوع الصحابة الى حضرته وهو عليه السلام
ما امرهم بالاسر فذاك هذا السؤال فان قالوا هب ان الامر كذلك
لكنهم لما حملوا الاسارى الى حضرته فلم لم يامر بقتلهم امتنا لقوله تعالى
فاضربوا فوق الاعناق قلنا ان قوله فاضربوا التكليف مختص بحالة الحرب
عند اشتغال الكفار بالحرب فاما بعد انقضاء الحرب فهذا التكليف ما كان
متناولا له والدليل القاطع عليه انه عليه الصلوة والسلام استشار الصحابة
في انه بماذا يعاملهم ولو كان ذلك النص متناولا لتلك الحالة لكان مع
قيام النص القاطع تاركا لحكمه وطالبا لذلك الحكم من مشاورة الصحابة وذلك
محال وايضا فقوله فاضربوا فوق الاعناق امر والامر لا يفيد الا المرة الواحدة

وثبت بالاجماع ان هذا المعنى كان واجبا حال محاربة فوجب ان يبقى عديم
الدلالة على ما وراء وقت المحاربة وهذا الجواب شاف والجواب عن الوجه الثالث
وهو قولهم انه عليه السلام حكم باخذ الفداء واخذ الفداء محرم بانا
لا نسلم ان اخذ الفداء محرم واما قوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
فنقول هذا لا يدل على قولكم وبيانه من وجهين الاول ان المراد من هذه الآية
حصول العتاب على الاسر والاخذ لغرض الدنيا وذلك لا يدل على ان
اخذ الفداء محرما مطلقا وذلك الاخذ لا لغرض الدنيا كما ان ابا بكر رضى الله عنه
قال الاولى ان ناخذ الفداء لتقوى العسكر به على الجهاد وذلك يدل على انهم
انما طلبوا ذلك الفداء للتقوى به على الدين والآية تدل على ذم من طلب الفداء
لمحض غرض الدنيا لا لتقوى الدين ولا تعلق لاحد المتباينين بالثانى والجواب
عن الرابع ان بكاء الرسول عليه السلام يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة
لما خالف امر الله فى القتل واشتغل بالاسر استوجب العذاب فبكى الرسول عليه
خوفا من نزول العذاب عليهم ويحتمل ايضا انه عليه الصلوة والسلام اجتهد فى
ان القتل الذى حصل هل بلغ مبلغ الاثخان الذى امره الله به فى قوله حتى
يثخن فى الارض ووقع الخطاء فى ذلك الاجتهاد وحسنات الابرار سيئات المقربين

فاقدم على البكاء لاجل هذا المعنى والجواب عن الخامس ان ذلك العذاب
انما نزل بسبب اولئك الاقوام حالفوا امر الله بالقتل واقدموا
على الاسر حال ما وجب عليهم الاشتغال بالقتل ومنها قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم فان المفسرين ذكروا في
سبب نزول هذه الآية ان الرسول عليه السلام لما رأى اعراض قومه عنه
وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى في نفسه ان يأتيهم من الله
ما يقارب بينه وبين قومه وذلك لحرصه على ايمانهم فجلس ذات يوم في نادٍ
من اندية قريش كثيرا هله واحب يومئذ ان لا ياتيه من الله شيء ينفره عنه
وتمنى ذلك فانزل الله تعالى سورة والنجم اذا هوى فقرءها رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بلغ قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت
قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرأته فقرأ السورة
كلها فسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين
فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد سوى الوليد بن المغيرة ابي احيحة

سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من التراب من البطحاء ورفعاها الى
جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت
قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر فلما امسى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاه جبرئيل عليه السلام فقال ما اذا صنعت تلوت على الناس
ما لم آتك به من الله وقلت ما لم اقل لك فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حزنا شديدا وخاف من الله خوفا عظيما حتى نزل قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك الآية وهذا يدل على سهوه عليه السلام في ابلاغ الوحي والذي اسبب
ان جماعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلوة
والسلام في اغتمامه بما سبق به لسانه سهوا من حديث الغرانيق الا ان
رؤساء اهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة
موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول اما القرآن
فمنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين ومنه قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من
تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي ومنه قوله تعالى وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى فاولا انه عليه السلام قرأ عقيب هذه الآية

قول تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله تعالى في الحال وذلك
لا يتوهمه مسلم واما السنة فهي ما روى عن محمد بن اسحاق بن خزيمة
انه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وصنف
فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن حسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة
من حيث النقل ثم اخذ يتكلم في ان رواة هذه القصة مطعون فيهم
وايضا فقد روى البخاري في صحيحه ان النبي عليه السلام قرأ سورة والنجم
وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث
الغرانيق وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث
الغرانيق واما المعقول فما ذكره الامام النسفي في تفسيره بقوله
والصحيح المعتمد عليه ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
لم يتكلم بها فانا لو توهمنا انه صلى الله عليه وآله وسلم
تكلم بها فلا يخلو الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يجري
ذلك على لسانه عمدا باختياره وهذا لا يجوز لانه كفر
وهو صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جاء داعيا الى الايمان
فاهيا عن الكفر طاعنا في الاصنام فكيف يمدحها ويعظمها باختياره

وأما ان يجري الشيطان ذلك على لسانه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا ايضا لا يجوز لان الشيطان
لا يقدر على ذلك في حق نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لقوله تبارك
وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى حكاية عنه ما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فكيف يقدر على ذلك في حقه صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم وأما ان يقع ذلك على لسانه صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم سهوا وغفلة من غير قصد وهو ايضا مردود لانه صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم كان اعقل الخلق واعلمهم فكيف تجوز عليه هذه الغفلة
خصوصا في حالة تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على
قوله والثقة به لقيام احتمال الغلط والخطاء في كل واحد
من الاحكام والشرائع فلما بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق
الا احتمال واحد وهو انه عليه السلام وقف وسكت
عند قوله ومنات الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده
فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلة بقرأته
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فوقع عند بعضهم انه صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم هو الذي تكلم بها لتكون القاءً في قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان الشيطان يتكلم في زمن الوحي كما ذكر انه ظهر في صورة شيخ نجدي على المشركين الذين اجتمعوا في دار الندوة على قصد المكر بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتكلم في شوراهم واستصوب رأي بعضهم واخطأ آخرين وذكر ايضاً انه نادى يوم احد الا ان محمداً قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وهذا الاحتمال غير مستحيل عقلا وشرعاً فتنة من الله تعالى ابتلاء لعباده وليس بقادح في عصمته هذا هو المعتمد في التأويل على تقدير كون قصة الغرانيق اخرجها ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير وكذا ابن مردويه والبزار وابن اسحاق في البر ومن موسى بن عقبة في المغازي وابو معشر في السيرة كما نبه عليه الحافظ عماد الدين ابن كثير وغيره وكذا بنى على ثبوت اصلها شيخ الاسلام و الحافظ ابو الفضل العسقلاني فان طرقها وان كانت مرسلة الا ان كثرة الطرق تدل على ان للقصة اصلا وقال في العسقلاني ان لها طريقين اخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح احدهما ما

اخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب والثاني ما اخرجه
ايضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة كلاهما عن داؤد
بن ابي هند عن ابي العالية اذا ثبت هذا فلا بد لنا من تأويل فهذا
الوجه هو الاحسن هذا على تقدير تسليم القصة واما على تقدير
عدم تسليمها كما قال المحققون من المفسرين ان هذه القصة موضوعة
غاية ما في الباب ان جمعا من المفسرين رحمة الله تعالى عليهم ذكروها
لكنهم ما بلغوا في الكثرة حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض
الدلائل العقلية والنقلية المتواترة فيكون محض الآية ما ارسلنا
من رسول ولا نبي في حال من الاحوال الا مقدرا في شأنه
اذا احب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه من امور الآخرة ما لم تؤمر
به وسوس اليه الشيطان والقى في مراده ما يوجب اشتغاله بالدنيا فيبطل
الله ما يلقي الشيطان وينسخه بعصمته عن الركون ويرشده
الى ما يهديه من آياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة وتفصيله
ان التمني جاء في اللغة لامرين احدهما تمحض القلب والثاني القراءة قال الله
تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني اي القراءة

لان الامي لا يعلم القرآن من المصحف وانما يعلمه قراءة فالامنية
اما القراءة واما الخاطر اما اذا فسرناها بالقراءة ففيه قولان الاول انه
تعالى اراد بذلك ما يجوز ان يسبق هوى الرسول عليه السلام فيه
ويشتبه على القارئ دون ما رووه من قوله تلك الغرانيق العلى والثاني
المراد منه وقوع هذه الكلمة في قراءته ثم اختلف القائلون بهذا على
وجوه الاول ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يتكلم
بقوله تلك الغرانيق العلى ولا الشيطان تكلم به ولا احد تكلم
به لكنه عليه السلام لما قرأ سورة والنجم اشتبه الامر على الكفار
فحسبوا بعض الفاظه ما رووه من قولهم تلك الغرانيق العلى
وذلك على حسب ما جرت العادة به من توهم بعض الكلمات
على غير ما يقال وهذا الوجه ذهب اليه جماعة وهو ضعيف لوجوه احدها
ان التوهم في مثل ذلك انما يصح فيما قد جرت العادة بسماعه فاما
غير المسموع فلا يقع ذلك فيه وثانيها انه لو كان كذلك لوقع هذا
التوهم لبعض السامعين دون البعض فان العادات طائفة من اتفاق
لهم الغفير في الساعة الواحدة على خيال واحد فاسد في المحسوسات

وثالثها لو كان كذلك لم يكن مضافا الى الشيطان الوجه الثاني
قالوا ان ذلك الكلام كلام شيطان الجن وذلك بان تلفظ
بكلام من تلقاء نفسه او قعه في درج تلك التلاوة في بعض وقفاته
ليظن انه من جنس الكلام المسموع من الرسول عليه السلام
قالوا والذي يؤكده انه لا خلاف في ان الجن والشياطين متكلمون
فلا يمتنع ان يكني الشياطين بصوت الرسول عليه السلام فيتكلم بهذه
الكلمات في اثناء كلام الرسول عليه السلام وعند سكوته فاذا سمع
الحاضرون من المشركين تلك الكلمة بصوت مثل صوت الرسول عليه
السلام وما رؤا شخصا آخر ظن الحاضرون من المشركين انه كلام
الرسول ثم هذا لا يكون قادحا في النبوة لما لم يكن فعلا له الوجه الثالث
ان يقال المتكلم بذلك بعض شياطين الانس وهم الكفرة فانه
عليه السلام لما انتهى في قراءة هذه السورة الى هذا الموضع وذكر اسماء
الهتهم وقد علموا من عادته انه يعيبها فقال بعض من حضر تلك الغرانيق
العلى وشتبه الامر على القوم لكثرة لغط القوم وكثرة صياحهم و
ظنهم تغليطه واخفاء قراءته ولعل ذلك كان في صلوته لانهم كانوا

يقربون منه فى حال صلوته وليسمعون قرأته ويلغون فيها وقيل انه
عليه السلام كان اذا تلا القرآن على قريش توقف فى فصول آه يا
فالقى بعض الحاضرين ذلك الكلام فى تلك الوقفات فتوهم القوم انه
من قرأة الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم اضاف الله تعالى
ذلك الى الشيطان لانه بوسوسته يحصل اولا ولانه سبحانه جعل
ذلك المتكلم فى نفسه شيطانا وهذا ايضا ضعيف بوجهين احدهما انه
لو كان كذلك لكان يجب على الرسول عليه السلام ازالة الشبهة
وتصريح الحق وتبكيت ذلك القائل واظهار ان تلك الكلمة منه صدرت
ولو فعل ذلك لكان ذلك اولى بالنقل فان قيل انما لم يفعل الرسول
عليه السلام ذلك لانه كان قد ادى السورة بكمالها
الى الامة من دون هذه الزيادة فلم يكن ذلك مؤديا الى التلبيس
كما لم يؤد سهوه فى الصلوة بعدات وصفها الى اللبس قلنا ان القرآن
لم يكن مستقرا على حالة واحدة فى زمان حياته لانه كان تأتيه
الآيات فيلحقها بالسور فلم يكن تأدية تلك السورة بدون
هذه الزيادات سببا لزوال اللبس وايضا فلو كان كذلك لمن

اى سبب حكم من الله خوفا شديدا كما رواه القوم الوجه الرابع هو
ان الملك هو الذى اهدا الرسول عليه السلام ثم هذا يحتمل ثلاثة اوجه فانه اما
ان يكون قال هذه الكلمة سهوا او قسرا او اختيارا اما الوجه الاول وهو
انه عليه السلام قال هذه الكلمة سهوا فكما يروى عن قتادة و
مقاتل انهما قالا انه عليه السلام كان يصلى عند المقام فنعس وجرى
على لسانه هاتان الكلمتان فلما فرغ من السورة سجد وسجد كل من في
المسجد وفرح المشركون بما سمعوه واتاه جبرئيل عليه السلام فاستقرأه
فلما انتهى الى الغرانيق قال لم آتك بهذا فحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم الى ان نزلت هذه الآية وهذا ايضا ضعيف لوجوه احدها
انه لو جاز هذا السهو لجاز فى سائر المواضع وحينئذ تزول الثقة
عن الشرع وثانيها ان الساهى لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الالفاظ
المطابقة لوزن السورة وطريقتها ومعناها فانا نعلم بالضرورة
ان واحدا لو انشد قصيدة لما جاز ان يسهو حتى يتفق منه بيت
شعر فى وزنها ومعناها وطريقتها ثالثها هب انه تكلم بذلك
سهوا فكيف لم يتنبه لذلك حين قرأها على جبرئيل عليه السلام

وذلك ظاهر اما الوجه الثانى وهو انه عليه السلام تكلم بذلك فنراه هو
الذى قال قوم ان الشيطان أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ان يتكلم
بهذا وهذا ايضا فاسد بوجوه احدها ان الشيطان لو قدر على ذلك
فى حق النبى عليه السلام لكان اقتداره علينا اكثر موجب ان
يزيل الشيطان الناس عن الدين ولجاز فى اكثر ما يتكلم به الواحد
منا ان يكون ذلك باجبار الشياطين وثانيها ان الشيطان لو قدر على هذا
الاجبار لارتفع الامان من الوحى لقيام هذا الاحتمال وثالثها انه باطل
بدلالة قوله تعالى حاكيا عن الشيطان وما كان لى عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا انفسكم وقال
تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما
سلطانه على الذين يتولونه وقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ولا شك انه
عليه السلام كان سيد المخلصين اما الوجه الثالث وهو انه عليه السلام تكلم
بذلك اختيارا وههنا وجهان احدهما ان نقول ان هذه الكلمة باطلة
والثانى ان نقول انها ليست كلمة باطلة اما على الوجه الاول فذكروا
فيه طريقين الاول قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى رواية عطاء

ان شيطانا يقال له الابيض اتاه على صورة جبرئيل عليه السلام والقى عليه
هذه الكلمة فقرأها فلما سمع المشركون ذلك اعجبهم فجاء جبرئيل عليه السلام
فاستعرضه فقرأها فلما بلغ الى تلك الكلمة قال جبرئيل عليه السلام انا ما جئتك
بهذه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انه اتاني اتٍ على صورتك
فالقاها على لساني الطريق الثاني قال بعض الجهال انه عليه السلام لشدة
حرصه على ايمان القوم ادخل هذه الكلمة من عند نفسه ثم رجع عنها وهذان
القولان لا يرغب فيهما مسلم البتة لان الاول يقتضي انه عليه السلام
ما كان يميز الملك المعصوم والشيطان الخبيث والثاني يقتضي انه
كان خائنا في الوحي وكل واحد منهما خروج عن الدين اما الوجه الثاني
وهو ان هذه الكلمة ليست باطلة وههنا ايضا طرق الاول ان يقال الغرانيق
هم الملائكة وقد كان ذلك قرآنا منزلا في وصف الملائكة فلما توهم
المشركون انه يريد آلهتهم لنسخ الله تلاوته الثاني ان يقال المراد منه
الاستفهام على سبيل الانكار فكانه قال اشفاعتهن ترتجى الثالث ان
يقال انه ذكر لاثبات واراد النفي كقوله تعالى يبين الله لكم ان
تضلوا اي لا تضلوا كما قد يذكر النفي ويريد به الاثبات كقوله تعالى

قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا والمعنى ان
تشركوا وهذان الوجهان الاخيران يعترض عليهما بانه لو جاز ذلك بناء
على هذا التأويل فلم لا يجوز ان يظهروا كلمة الكفر فى جملة القرآن او فى
الصلوة بناء على هذا التاويل ولكن الاصل فى الدين ان لا يجوز عليهم
شئ من ذلك لان الله تعالى قد نصبهم حجة واصطفاهم للرسالة فلا يجوز
عليهم ما يطعن فى ذلك او ينفر ومثل ذلك فى التنفير اعظم من الامور
التى حثه الله تعالى على تركها كنحو الفظاظة وقول الشعر هذا
كله اذا فسرنا التمنى بالتلاوة واما اذا فسرناها بالخاطر وتمنى
القلب فالمعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم متى تمنى بعض
ما يتمناه من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ويدعوه الى ما لا ينبغى
ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ترك الالتفات الى
وسوسة فيكون معنى الآية اذا تمنى اى اذا اراد فعلا مقربا
الى الله تعالى القى الشيطان فى فكره ما يخالفه فيرجع الى الله
تعالى فى ذلك وهو كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعلى هذا تكون

الرواية المذكورة من مفتريات الملاحدة ويدل على موضوعيتها ما قال
في الشفا ان هذه الرواية لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواة ثقة
بسند سليم يتصل وانما اولع به ويمثله المفسرون والمورخون
المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف وتعلق بذلك الملحدون مع ضعفه نقلته
واضطراب رواته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوة
واخر يقول قالها في نادي قومه حين نزلت عليه السورة واخر يقول قالها وقد
اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه فنسيها واخر يقول ان الشيطان قالها على
لسانه وان النبي عليه السلام لما عرض على جبرئيل قال ما هكذا اقرأتك واخر
يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي عليه السلام قرأها فلما بلغ ذلك قال والله
ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومنها قوله تعالى انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما
واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما فان طعمة لما سرق درعا وطلبت الدرع منه
رمى واحدا من اليهود بتلك السرقة ولما اشتدت الخصومة بين قومه وبين قوم اليهودي
جاء قومه الى النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه ان يعينهم على هذا المقصود وان يلحق
هذه الخيانة باليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت الآية

المذكورة فهي تدل على صدور الذنب من الرسول عليه السلام ولو لا اراد
الرسول عليه السلام ان يخاصم لاجل الخائن ويذب عنه لما ورد النهي عنه والجواب
ان النهي عن الشئ لا يقتضي كون المنهي فاعلا للمنهي عنه بل ثبت في الرواية
ان قوم طعمة لما التمسوا من الرسول عليه السلام ان يذب عن طعمة وان
يلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي فنزلت هذه الآية وكان الغرض
من هذا النهي تنبيه النبي عليه الصلوة والسلام على ان طعمة كذاب وان اليهودي
بريء عن ذلك الجرم فان قيل الدليل على ان ذلك الجرم قد وقع من النبي
عليه السلام قوله تعالى بعد هذه الآية واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما
امره الله بالاستغفار دل على سبق الذنب واجيب عنه بوجوه الاول لعله مال
طبعه الى نصرة طعمة لسبب انه كان في الظاهر من المسلمين فامر بالاستغفار
لهذا القدر لان حسنات الابرار سيئات المقربين والثاني لعل القوم لما شهدوا
على سرقة اليهودي وعلى براءة طعمة من تلك السرقة ولم يقم للرسول عليه السلام
ما يوجب القدح في شهادتهم بان يقضي بالسرقة على اليهودي ثم لما اطلعه الله
تعالى على كذب اولئك الشهود عرف ان ذلك القضاء لو وقع لكان خطأ
فكان استغفاره بسبب انه هم بذلك الحكم الذي لو وقع لكان خطاء في نفسه

وان كان سعد ورًا عند الله فيه الثالث قوله واستغفر الله يحتمل ان يكون
المراد واستغفر الله لاولئك الذين يذبون عن طعمة ويريدون ان يظهروا براءة
عن السرقة ومنها قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين
فانه يدل على صدور الشك عنه عليه السلام فيما انزل عليه وهو فى غاية
انه اختلف المفسرون فى ان المخاطب بهذا الخطاب من هو فقيل النبى عليه
الصلوة والسلام وقيل غيره اما من قال الاول فاختلفوا على وجوه الاول
ان الخطاب مع النبى عليه السلام فى الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى
يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وكقوله لئن اشركت
ليحبطن عملك وكقوله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس الذى يدل
على صحت هذا وجه الاول قوله تعالى فى آخر السورة يا ايها الناس ان كنتم
فى شك من دينى فبين ان المذكور فى اول الآية على سبيل الرمز هم المذكورون
فى هذه الآية على سبيل التصريح الثانى ان الرسول لو كان شاكا فى
نبوة نفسه لكان شك غيره فى نبوته اولى وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية

والثالث ان نقدر ان يكون شاكا فى نبوة نفسه فكيف يزول ذلك
الشك باخبار اهل الكتاب عن نبوته مع انهم فى الاكثر كفار وان حصل
فيهم مسلمان مؤمنا الا ان قوله ليس بحجة لا سيما وقد تقرر ان ما فى ايديهم
من التوراة والانجيل مصحف محرف فثبت ان الحق هو ان هذا الخطاب
وان كان فى الظاهر مع الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان المراد هو الامة ومثل
هذا الخطاب معتاد فان السلطان الكبير اذا كان له امير وكان
تحت رايته ذلك الامير جمع فاذا اراد ان يأمر الرعية بامر مخصوص فانه
لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب على ذلك الامير الذى جعله
اميرا عليهم ليكون ذلك اقوى تاثيرا فى قلوبهم الوجه الثانى انه تعالى
علم ان الرسول لم يشك فى ذلك الا ان المقصود انه متى سمع هذا الكلام
فانه يصرح ويقول يا رب لا اشك ولا اطلب الحجة من قول اهل الكتاب
بل يكفينى ما انزلته على من الدلائل الظاهرة ونظيره قوله تعالى للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون والمقصود ان يصيروا جوابا لهم ويقولوا
سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن وكما قال لعيسى عليه السلام
أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله والمقصود منه

ان يصرح عيسى عليه السلام بالبراءة عن ذلك فكذا ههنا والوجه الثالث
ان قوله فان كنت فى شك فافعل كذا وكذا قضية شرطية والقضية الشرطية
لا اشعار فيها البتة بان الشرط وقع او لم يقع وبان الجزاء وقع او لم يقع
بل ليس فيها الا بيان ان ماهية ذلك الشرط مستلزمة لماهية ذلك
الجزاء والدليل عليه انك اذا قلت ان كانت الخمسة زوجا كانت
منقسمة بمتساويين فهو كلام حق لان معناه ان كون الخمسة زوجا يستلزم
كونها منقسمة بمتساويين ثم لا يدل هذا الكلام على ان الخمسة زوج ولا على
انها منقسمة بمتساويين فكذا ههنا هذه الآية تدل على انه لو حصل هذا الشك
لكان الواجب فيه هو فعل كذا وكذا اما ان هذا الشك وقع او لم يقع
فليس فى الاية دلالة عليه الوجه الرابع فى تقرير هذا المعنى ان نقول المقصود
من ذكر هذا الكلام استحالة قلوب الكفار وتنفيرهم من قبول الايمان وذلك
لانهم طالبوه مرة بعد اخرى بما يدل على صحة نبوته وكانهم استحيوا من
تلك المعاودات والمطالبات وذلك الاستحياء صار مانعا لهم من قبول الايمان
فقال تعالى فان كنت فى شك من نبوتك فتمسك بالدلائل يعنى اولى الناس
بان لا يشك فى نبوته هو نفسه ثم مع هذا ان طلب هو من نفسه دليلا على نبوة نفسه

بعد ما سبق من الدلائل الباهرة والبينات القاهرة فانه ليس فيه عيب
ولا يحصل بسببه نقصان فاذا لم يستقبح منه ذلك في حق نفسه فلان لا يستقبح
من غيره طلب الدلائل اولى والخامس ان يكون التقدير انك لست شاكا
البتة ولو كنت شاكا لكان لك طرق كثيرة في ازالة ذلك الشك
كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والمعنى انه لو فرض ذلك
الممتنع واقعا لزم منه المحال الفلاني فكذا ههنا لو فرضنا وقوع هذا الشك
فارجع الى التوراة والانجيل لتعرف بهما ان هذا الشك زائل وهذه الشبهة
باطلة الوجه السادس هو ان لفظ ان في قوله ان كنت في شك للنفي
اي ما كنت في شك يعني لا آمرك بالسؤال لانك شاك لكن لتزداد يقينا
كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى يقينا واما الوجه الثاني
وهو ان يقال ان هذا الخطاب ليس مع الرسول فتقريره ان الناس في زمانه
كانوا فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون له والمتوقفون في امره الشاكون
فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت ايها الانسان في شك مما
انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل اهل الكتاب ليدلوك على
صحة نبوته وانما وحد الله ذلك وهو يريد الجمع كما في قوله يا ايها الانسان ما غرك

بربك الكريم الذي خلقك ويا ايها الانسان انك كادح وقوله فاذا مس الانسان
ضر دعانا لم يرد في جميع هذه الآيات انسانا بعينه بل المراد هو الجماعة فكذا ههنا و
لما حذرهم الله تعالى بما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان يلحقهم عقاب القسم الثاني
وهم المكذبون فقال ولا تكن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين
ومنها قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون
من الظالمين روي عن عبد الله بن مسعود انه قال مر الملاء من قريش على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من
ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء من قومك افنحن نكون تبعا
لهؤلاء اطردهم عن نفسك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال عليه السلام ما انا
بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئناك فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت
فقال نعم طمعا في ايمانهم فهذا يدل على عدم عصمة من وجوه الاول انه عليه الصلوة
والسلام طردهم والله تعالى نهاه عن ذلك الطرد فكان ذلك الطرد ذنبا
والثاني انه تعالى قال فتطردهم فتكون من الظالمين وقد ثبت انه طردهم
فيلزم ان يقال انه كان من الظالمين والثالث انه تعالى حكى عن نوح عليه السلام

انه قال وما انا بطارد الذين آمنوا ثم انه تعالى امر محمدا عليه السلام بمتابعة الانبياء
عليهم السلام في جميع الاعمال الحسنة حيث قال اولئك الذين هداهم الله فبهداهم
اقتده فهذا الطريق وجب على محمد عليه السلام ان لا يطردهم فلما طردهم كان
ذلك ذنبا والرابع انه تعالى ذكر هذه الآية في سورة الكهف فزاد فيها فقال
تريد زينة الحياة الدنيا ثم انه تعالى نهاه عن الالتفات الى زينة الحياة الدنيا
في آية اخرى فقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحياة الدنيا فلما نهى عن الالتفات الى زينة الدنيا ثم ذكر في
تلك الآية انه يريد زينة الحياة الدنيا كان ذلك ذنبا الخامس نقل ان
اولئك الفقراء كلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الواقعة
فكان عليه السلام يقول مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم او لفظ هذا معناه وذلك
يدل ايضا على الذنب والجواب عن الاول انه عليه السلام ما طردهم لاجل
الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما عين لمجالستهم وقتا معينا سوى الوقت
الذي كان يحضر فيه اكابر قريش فكان غرضه منه التلطف في ادخالهم في الاسلام
ولعله عليه السلام كان يقول هؤلاء الفقراء من المسلمين لا يفوتهم بسبب هذه
المعاملة امرهم في الدنيا وفي الدين وهؤلاء الكفار فانهم يفوتهم الدين

والاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى فاقصى ما يقال ان هذا الاجتهاد وقع
خطاء لكن ان الخطاء فى الاجتهاد معفو واما قوله ثانيا ان طردهم يوجب كونه
عليه السلام من الظالمين فجوابه ان الظلم عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه
والمعنى اولئك الضعفاء الفقراء كانوا يستحقون التعظيم من الرسول عليه السلام
فاطردهم عن ذلك المجلس كان ذلك ظلما لانه ما طردهم ولا تركهم بل عين لهم
وقتا معينا وذلك من باب ترك الاولى والافضل لا من باب ترك الواجبات
وكذا الجواب عن سائر الوجوه فانا نحمل كل هذه الوجوه على ترك الاولى والافضل
والاكمل والاحرى والله اعلم بالصواب ومنها قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر فان هذا القول صريح فى صدور الذنب عنه عليه السلام
والجواب عنه من وجوه الاول ان المراد به ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى
منصبه الجليل لان حسنات الابرار سيئات المقربين فى المثنوى شعر انكه
عين لطف باشد بر عوام * قهر شد بر عشق كيشان كرام والثانى ما قال
ابن عطاء قدس سره لما بلغ عليه السلام سدرة المنتهى ليلة المعراج
قدم هى وآخر جبرئيل فقال الجبرئيل اتتركنى فى هذا الموضع وحدى فعاتبه الله تعالى
حين سكن الى جبرئيل فقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

والثالث المراد بالمغفرة الحفظ والعصمة والتبرية من العيوب انزكاوا بـ ١٢
فيكون المعنى ليحفظك الله ويعصمك من الذنب المتقدم والمتأخر فهو تعالى
انما جاء بما تقدم اشارة الى انه عليه السلام محفوظ معصوم فى اللاحق
كما فى السابق والرابع ما قال الشعرانى يجوز حمل نحو قوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر على نسبة الذنب اليه من حيث ان شريعته
هى التى حكمت بانه ذنب فلو لا اوحى به اليه ما كان ذنبا فجميع ذنوب
امته يضاف اليه والى شريعته بهذا التقدير فما كان قوله ليغفر لك الله
لابد الاطمينان له عليه السلام ان الله قد غفر جميع ذنوب امته التى جاءت
به شريعته ولو بعد عقوبته قال فى التأويلات النجمية ان المراد بالفتح فى قوله
تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فتح باب قلبه عليه السلام الى حضرت
ربوبيته بتجلى صفات جماله وجلاله وفتح ما انغلق على جميع القلوب ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك اى ليسترك بانوار جلاله ما تقدم من ذنب
وجودك من بدء روحك وهو اول شئ تعلقت به القدرة كما قال اول ما خلق الله
روحى وفى رواية نورى وما تأخر اى من وقت وجودك الى الابد وذنب
الوجود هو الشرك فى الوجود وغفره ستره بنور الوحدة لمحو آثار الاثنينية

انتهى وقال الطبري واختاره القشيري ان المراد بالذنب ما كان
عن سهو وغفلة وتأويل وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول
وما ادري ما يفعل به ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقصد الآية انك مغفور لك غير مواخذ
بذنب ان لو كان واجاب البعض بان المراد بما تقدم ما جاء في حديث مارية
وبما تأخر ارادة امرأة زيد وهذا محكي عن المجاهد وقال ابن عباس رضي الله عنهما
المراد بما تقدم وما تأخر الذنوب الماضية والمستقبلة فرضا يعني لو كانت
لك ذنوب في الماضي والمستقبل لغفرت لك كلها وقال السبكي رحمه الله تأملت
وهذه الآية فما وجدت فيها الا احتمالا واحدا وهو ان هذا تشريف صلى الله ليرسوله
من غير ثبوت الذنوب له عليه السلام لان من عادة الملوك اذا رضي واحد من
عبده ومملوكه يقول له غفرت جميع ذنوبك ورفعت ذمتك من المواخذة
وان لم يكن له ذنب فكذا نه تعالى افاض عليه النعم الدنيوية والاخروية ومنها
قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليك امسك عليك زوجك
واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم

اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا فان المفسرين قد ذكروا في تفسير هذه الآية
وسبب نزولها انه عليه السلام اتى زيدا ذات يوم لحاجة ولم يكن هو في بيته فابصر
زينب فجاءته في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من اخر نساء
قريش فوقعت في نفسه محبتها واعجبه حسنها فقال سبحان الله يا مقلب القلوب ثبت
قلبي وانصرف فلما جاء زيد الى بيته ذكرت له ذلك ففطن زيد القى في نفسه
كراهتها في الوقت واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق
صاحبتي فقال له مالك ارابك منها شيئا قال لا والله يا رسول الله ما رئيت
منها الا خيرا ولكنها تتعظم على شرفها وتؤذي بلسانها فقال له النبي عليه السلام
امسك عليك زوجك واتق الله في امرها واخفى في نفسه محبتها وكان حريصا
على ان يطلقها زيد فيتزوجها فعاتبه الله تعالى بذلك السبب فقول ان ما ذكره
في سبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي عليه السلام واراده طلاق زيد اياها
فيه اقدام عظيم من قائله وقلت معرفته بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله
كيف مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا وكيف يقال انه رآها فجاءة
فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت وما كان النساء يحتجبن
منه عليه السلام مع انه تعالى اعلم انه يبدي ما اخفاه كما قال وتخفي في نفسك

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظهر خبرتزويجها منه فقال ذوجناكها فلو كان الذى يضمره
رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها لو اراده طلاقها لكان يظهر ذلك لانه يجوز
ان يخبر انه يظهر ذلك تقريرا لما يظهره ولا ينبغى للمسلم ان يغتر بنقل المفسرين وان كانوا
من اهل السنة والجماعة لان الحق احق بالاتباع وان كان مخالفا لما هو على السنة
القوم معاذ الله عن ذلك الاعتقاد فى حبابه عليه السلام لان عصمت الله يقينا
فيكل فعل وقول يصدر عنه والذى يدل على برائته عن نظر الخيانة ومن الذى
شاهد خيانة وان لم يكن فى نفسه خيانة فما قاله عليه السلام فى قتل عبيد الله ابن
ابى سرح بعد اعتراض عثمان رضى الله عنه بشفاعته له واعطاء الامان له وقيامه
عن المجلس وقول العمر رضى الله عنه له عليه السلام لقد كان عينى لفى عينك هل تشير
الى فاقتله لانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد وما عدر رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا القدر من خيانة النظر فى حق نفسه ولم يجوزه لمشابهته الخيانة
فى الظاهر مع ان لمعناه كان لاجل مصلحت الدين فكيف يجوز المؤمن ان يتهم
انه عليه السلام نظر الى زوجة المغير واخفى محبتها فى قلبه بل لابد ان يعتقد برائته
لان نفسه كانت مسطبعة لله تعالى فى كل وقت وليس للهوى دخل فيه لان شيطانه
قد اسلم ولم يأمره الا بخير فعلم ان ما ذكروه لا يعتد به بل المعتمد فى سبب نزولها

هذا منقولة قول النبى ١٢

مارية عن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم في امر زيد
بطلق زينب وانه عليه السلام يتزوجها بتزويج الله اياها فلما شكى زيد الى
صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه واعلم انه يريد طلاقها قال له
طريق النصح والوصية امسك عليك زوجك واتق الله في ذلك واخفى عليه
السلام في نفسه ما اعلمه الله من انها ستكون زوجته فلما انقضت عدتها استحيا
من ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي ولم يأمره
بطلاقها خوفا من لائمة الناس ان يقولوا امر رجلا بطلاق امراته ثم
نكحها فكان ذلك الخوف والخشية شفقة ورحمة على الناس من وقوعهم
في الفتنة بان يخطر ببالهم نوع انكار او اعتراض عليه او شك في نبوته
بان النبي من تنزه عن مثل هذا الميل فيخرجهم من الايمان الى الكفر ولا يطيقون
سماع هذه المحالة ولا يقدرون على تحملها وما كان اظهار سر الذي اوحى الله
اليه في تلك المقدمة واجبا عليه لان ذلك السر يتعلق بالمشية والارادة
ولا يجب على الرسل الا خبار عن المشية وانما يجب عليهم الاخبار والاعلان
عن الاوامر والنواهي كما انه عليه السلام كان يقول لابي لهب آمن بالله وقد
علم ان الله اراد ان لا يؤمن ابو لهب كما قال الله تعالى سيصلى نارا ذات لهب

كان ذلك الذى يتعلق بعذاب ابى لهب انما هو المشية والارادة فلا يجب
عليه الاظهار والاخبار عنه وقوله آمن بالله يتعلق بالاوامر والنواهى فكذا
ههنا امر زيدا بالامساك اداء الامر بالمعروف ولكن كان الاولى له ان يصمت
عند سماع قول زيد ويقول له انت اعلم بشأنك وربما يعاتب على ترك الاولى
وبعض المباحات خصوصا اذا كان الدخول فى ذلك البعض سببا الى حصول
واجبات يعظم اثرها فى الدين كما ان طلاق زيد زينب وتزويج النبى صلى الله
عليه وسلم اياها سبب لازالة حرمة التبنى وابطال سنة الجاهلية ورفع الحرج
عن المومنين كما قال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم
فثبت ان ما اضمره النبى عليه السلام هو السر المذكور دون محبتها
وطلاق زيد لها ولو سلم انه عليه السلام رآها فجاءة واستحسنها واخفى محبتها ولكما
لو طلقها فما قولك انه ايضا لا يقع فى حال الانبياء عليهم السلام لان العبد غير ملوم
على ما يقع فى قلبه مثل هذه الاشياء ولا نكرة فيما طبع عليه البشر من استحسان
الحسن بالنظرة الفجاءة معفو عنها ما لم يقصد اثما ومعلوم انه عليه السلام قمع نفسه
عنها ومنع عن هواها وامر زيدا بامساكها اداء للامر بالمعروف ونصح له على خلاف
مقتضى طبعه فنرى يجب اعظم الاجر قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم

ولو كان بهم خصاصة وقال من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون مع ان
ذلك الحبيب عليه السلام ما كان مذموما لان دواعيه من قبل اذن الى
اذ ليس للشيطان عليه سبيلا فافهم ثم اذكرت لك من التحقيقات والتدقيقات
علمت ان الرسل والانبياء عليهم الصلوة والسلام معصومون من صدور الصغائر
والكبائر فلا ينبغي لك ان تلتفت الى خرافات الطاعنين لانه موجب لما سيأتي في الباب الآتي
انشاء الله تعالى واما الباب الثالث ففي بيان ما هو سب
او في حكم سب في حق الانبياء عليهم الصلوة والسلام
نصا صريحا او تلويحا وفي حكم سبهم وشتمهم واعلم اولا ان كل من شتم نبيا من الانبياء
او عابه او الحق به نقصا في نفسه او دينه او نسبه او خصلة من خصاله او عرض
او شبه بشئ على طريق السب له او الازراء عليه اي الاحتقار به والاستخفاف
بحقه او التصغير لشانه او الغض اي الخفض والتنقص من امره او عابه في
حكمه او دعا عليه بالويل او بشئ من المكروه او تمنى مضرة له كانت تحصل اليه
او نسب اليه ما لا يليق بمقامه الشريف ومكانه المنيف على طريق الذم او لعب
ومزح في جانبه الكريم بسخف من الكلام وفحش في الملام وذكر من القول زورا
اي كذب وافتراء امر منحرف عن الحق او عيره بما جرى من المحنة

والبلاء عليه كالفقر والفاقة او غمصه اى حقره ببعض العوارض البشرية
الجائزة جريا عليه او بشئ منه فهو ساب له والحاصل ان كل من قال قولا
يدل على استهانة نبي من الانبياء فهو ساب له وحكمه القتل وهو ثابت
بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا اليما فكل من اذى النبي
فهو ملعون وقال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فعلم
ان الملعون واجب القتل وقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت الآية فنفى الله اسم الايمان عمن
وجد في صدره حرجا من قضائه ومن تنقصه فقد ناقض هذا اى عارض
ما يجب عليه من انه لم يجد من نفسه حرجا من قضائه وقوله يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون ومن المعلوم ان مجرد رفع الصوت فوق صوته لا يبطل العمل
فان المعاصي سواء كانت الكبائر والصغائر لا تبطل الحسنات عند اهل السنة
والجماعة وانما يبطلها الكفر وهو لا يكون الا اذا تضمن رفع الصوت خفض
حرمة النبي صلى الله عليه وسلم واستخفاف منصبه فعلم ان اذاه واستخفاف

منصبه كفر والكافر يقتل بالارتداد فان قيل ان هذه الآيات تدل على
قتل من سب واذا نبينا صلى الله عليه وسلم او خفض حرمته او استخفف بمنصبه
ولا دلالة لها على ان استخفاف منصب سائر الانبياء ايضا موجب لهذا
الحكم قلت قد ذكرنا في الباب الاول ان الانبياء كنفس واحدة
فكانت حرمتهم كحرمة واحدة فلاجل هذا كان تكذيب احدهم
تكذيب الكل فما كان موجب هتك حرمة نبي واحد فهو موجب هتك
حرمة كل نبي واما الاجماع فقد ثبت اجماع العلماء من المفسرين والمحدثين
وائمة الفتوى من المجتهدين من لدن الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
الى هلم جرا على ما ذكرناه قال القاضي ابو بكر بن المنذر محمد ابن
ابراهيم نيشابوري اجمع عوام اهل العلم اي كلهم على ان من سب النبي
صلى الله عليه وسلم يقتل صونا لقدره تعظيما لامره وممن قال ذلك مالك بن
انس امام المذهب والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه
وهو مذهب الشافعي رحمة الله قال القاضي ابو الفضل رحمة الله عليه وهو مقتضى
قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري
والاوزاعي واهل الكوفة في المسلم ولكنهم قالوا هو مرتد يقبل توبته

وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وقد ذكر غير واحد الاجماع على
قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد ابن سعيد بن
حزم اليزيدي القرطبي الظاهري الفارسي الاصل الى الخلاف في تكفير
المستخف به والمعروف ما قدمناه من تكفيره وقتله قال محمد بن
سحنون اجمع علماء الاعصار في جميع الامصار ان شاتم النبي صلى الله
عليه وسلم المنتقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه
عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه فقد كفر والحق به قال ابن القاسم
المصري في العتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه
عند الامة القتل واما السنة فقد روى بسند صحيح عن علي ابن ابيطالب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه
ومن سب اصحابي فاضربوه وجاء في الخبر الصحيح من امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله
وغيرهما من الاثار الا ان ههنا وجوه لا بد لنا من بيانها لئلا يشتبه الحكم على
المنصف والمتعسف احدها ان يكون القائل بالامور المذكورة قاصدا لسب نبي
من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فحكمه الكفر والقتل

كما ذكرنا وثانيها ملحق بالوجه الاول فى البيان والجلاء اى فى الظهور وعدم الخفاء
وهو ان يكون القائل لما قال من الكلام فى جهته عليه السلام غير قاصد للسب
ولا للاستخفاف والاستحقار ولا معتقد لمضمون الكلام ولكن تكلم فى جهة
نبى من الانبياء بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يليق
بشان الانبياء او نفى ما يجب ثبوته له مما هو فى حقه نقيصة من مثل ان ينسب
اليه اثبات كبيرة اى صدورها من قول او فعل او مداهنة اى مصانعة فى تبليغ
الرسالة او مساهلة فى حكم بين الناس ويخفض وينقص من مرتبة العلية
او يأتى بسفه من القول او قبيح من الكلام او نوع من السب وما فيه
من قلت الادب فى جهة نبى وان ظهر بدليل حال القائل انه لم يعتمد ذمه
فى مقاله ولم يقصد سبه لاعتقاده كماله لكن صدر عنه مقاله اما لجهالة
بنعوت جماله حملته على مقاله او تغلق من اثر غم ناله او منكر محرم او غيره
او قلة مراقبته فى شان الانبيا او قلت ضبط لسانه وقلة مبالاته فى
بيانه وتهوره فى كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول اى الكفر والقتل بدون التوقف
والاستتابة اذ لا يعذر احد فى الكفر بالجهالة لان معرفة ذات الله وصفاته
وما يتعلق بانبيائه فرض عين مجملا فى مقام الاجمال ومفصلا

فى مقام التفصيل ولهذا من قال انا ملحد كفر ولو قال ما علمت انه كفر لا يعذر
هذا فى القضاء الظاهر والله اعلم بالسرائر ولا يعذر بدعوى زلل اللسان
ولا شئ مما يظن انه عذر اذا كان عقله فى فطرته سليما وافتى فقهاء الاندلس
بقتل ابن حاتم المتفقة الطليطلى صلبه بما شهد عليه من استخفافه
بحق النبى صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن
حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها
الى اشباع لهذا الاستخفاف والاستهتار فى حقه عليه السلام مما يكفى
امرؤ لاحد منهما فى تكفيره وقتله وهذا اجل من ابن الحاتم المذكور بماله
عليه السلام وكماله فى هذا المقام حيث خير بين ان يكون نبيا ملكا وبين
ان يكون نبيا عبدا فاختار الفقر وقال اجوع يوما فاصبر واشبع يوما
فاشكر ليكون مظهر لنعت الجلال والجمال فالملعون المذكور اراد الطعن
فى زهده والقدح فى فقره معه انه محل فخره تواضعا لربه وانكسارا فى
امره وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزارى وكان
شاعرا ماهرا فى كثير من العلوم الادبية والعقلية وكان ممن يحضر مجلس الحاكم
ابى العباس ابن طالب للمناظرة فى العلوم فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب

فى الاستهزاء بالله وانبيائه فاحضوله اى لاجل ابراهيم الفزارى القاضى
ابو العباس يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر ابو العباس بقتله وصلبه فطعن
فى بطنه بالسكين حتى هلك وصلب منكوسا راسه ثم انزل فاحرق بالنار
وحكى بعض المورخين انه لما رفعت الى خشبة وزالت عنها الايدى استدارت
وحولت عن القبلة فكان ذلك اية لجميع الحاضرين وكبر الناس وجاء كلب
فولغ فى دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلعم وذكر حديثا عنه عليه السلام
انه قال لا يلغ الكلب فى دم مسلم وقال القاضى ابو عبد الله المرابط من قال
ان النبى صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب قبلت توبته وان لم يتب
قتل لما انتضته ردته لان الهزم تنقص فى مرتبة عليه السلام اذ لا يجوز
وقوع الهزيمة فى خاصة نفسه عليه السلام لبراءة ساحته من الهزيمة عن مقام
طاعته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته عن ابى اسحاق قال البراء
كنا اذا احمر البأس نتقى به عليه السلام وان الشجاع منا للذى يحاذيه
اى يقابله وكذا روى عن على كرم الله وجه واما حزوره عليه السلام من البيت الحرام
فانما كان بامر الله تعالى بالهجرة الى دار السلام وثالثها اى ثالث الوجوه
ان يقصد احد من الانام الى تكذيب نبى من الانبياء فيما تواتر عنه من الكلام

او اتى به من احكام الاسلام التي اجمع عليها الاعلام او ينفي بنوته ورسالته عن
من ارسل اليهم او ينفي وجوده في عالم شهوده او يتبرأ منه فهو كافر بالاجماع يجب قتله
بحكم الحاكم او نائبه الا انه ان كان معلنا غير متستر بذلك كان حكمه حكم المرتد
من غير نزاع عند المالكية والحنفية الا ان المختار عند المالك انه يقتل وان
تاب فتوبته غير مقبولة وان كان مستترا فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة
قولا واحدا عند المالكية قال في حاشية البيضاوي الزنديق في عرف الفقهاء
من يبطن الكفر مصرا عليه ويظهر الايمان تقية وذكر الى لوا لجي هي فرقة من الثنوية
القائلين بتناسخ الارواح ودوام الدهر والاشباح نقلا للجوهري في صحاحه
ان الزنديق من الثنوية وهو معرب والجمع الزنادقة وقد تزندق الاسم
الزندقة انتهى وقال ابن فرقول الزنادقة من لا تعتقد ملة من الملل المعروفة
وتستعمل في كل من عطل الاديان وانكر الشرائع وفي مزايلهم الاسلام واسرغيره
والاصح عند الشافعية انه الذي لا يتحل دينا واختلفوا في قبول توبته
والاصح عندنا وعند الحنفية انها تقبل قبل الظفر وبعده والدليل عليه قوله تعالى
آمنوا كما آمن الناس فانه خطاب للمنافقين وهم من الزنادقة وقد امروا
بالايمان وطلب منهم ان يجيء منهم فينبغي ان تقبل توبتهم منهم لان ما لا يقبل

من التكليف لا يطلب منه بالامر التكليفي واذا قبلت توبتهم وهم زنادقة
علم ان توبة الزنديق مقبولة فهو المطلوب وعند المالكية لا تقبل توبة
الزنديق انتهى وقال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم
اى تبرأ منه او اعرض عنها وكذبه في نبوته فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع
قبل قيام الحد عليه فعلم من هذا ان توبة قبل قيام الحد يسقط القتل سواء
كان معلنا به او مستترا وكذا من تنبأ او قال ان بعد نبيكم نبي
بان يولد او نبي ناسخ لدين محمد صلعم لانه مكذب لله ورسوله قال الله تعالى
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا خاتم النبيين
وايضا قال عليه السلام مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل ابتنى دارا فاكملها واحسنها
الا موضع لبنة وكان من دخلها فنظر اليه قال ما احسنها الا موضع اللبنة
فانا موضع اللبنة ختم بي الانبياء وقال لا نبي بعدي ورابعها اى رابع الوجوه
ان يأتي من الكلام بجمل مشتمل على تعدد معنى محتمل او يتكلم من القول بمفصل يبين
حمل المجمل على النبي وغيره ويتردد في المراد بالكلام المعضل من سلامة النبي
من المكروه وملامته فههنا محل تردد نظر المتأملين وحيرة العبرة ومظنة
اختلاف المجتهدين فمنهم من قدم حرمة النبي وحمى عرضه من ان تنقصه

فاقدم على قتل قائله من غير استتابة ومنهم من اعظم حرمة الدم ودفع الحدود بالشبهات لقوله عليه الصلوة والسلام ادرءوا الحدود بالشبهات كما رواه جماعة الثقاة وروى الحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان الامام لان يخطئ في العفو خير من ان يخطئ في العقوبة انتهى فالجمع بين حمى العرض ودرء الحد بالشبهة ممكن بان يعرض التوبة على القائل المذكور فان تاب فهو المراد والا قتل فيرتفع الاشكال وبين دليل الاحتمال وخامسها اى خامس الوجوه ان لا يقصد القائل في محمل كلامه نقص النبي ولا يذكر عيبا في امره والاشتمام وذما في حقه لكنه في محتمل كلامه يجهل ويتجذب بذكر بعض اوصافه الى ما يصرفه عن ان يفهم منه نقص او ذم في اثناء الكلام او يستشهد في بعض ما قاله ببعض احوال الانبياء الجائزة عليهم في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او الغيره على سبيل التشبيه بقوله او فعله او عند هضيمته اى نقيصة عظيمة اصابته او مذلة وحقارة لحقته اى لنبي من الانبياء ليس على طريق الاقتداء والاهتداء به بل على مقصد الترفيع والاعلاء اما لنفسه او لغيره من الآباء والابناء او على سبيل التشبيه لنفسه او لغيره بالانبياء

وعدم التعظيم والتبجيل فى تمثيله لنبى وقصد الهزل كقول القائل ان قيل فى السوء
فقد قيل فى الانبياء او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد
اذنبوا وانا اسلم من ألسنة الناس ولم يسلموا يعنى الانبياء والرسل
وكقول الحسان المصيصى من شعراء الاندلس فى محمد بن عباد من ملوك
الاندلس المعروف بالمعتمد بالله ووزيره ابى بكر بن زيدون
كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد اى كان وزيرك ايها
الممدوح ابا بكر بن زيدون ابو بكر الصديق وشاعرك حسان المصيصى
بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم وكانك انت الممدوح محمد صلى الله
عليه وسلم فان هذه الامثلة المذكورة كلها وان لم تتضمن سبا صريحا ولا اضافة
الى الانبياء نقصا اى عيبا قبيحا ولا قصد القائل الاحتقار ولا انتقاص
لكن مع ذلك ما قام بحق الكلام وما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا مر سلها
ولا قوى حرمة الاصطفاء ولا اعزاز المرتبة المكرمة ولا المنزلة المعظمة حتى
شبه من شبه من الامراء والوزراء بالانبياء والاصفياء لاجل جائزة
اصابها من ممدوحها ومشقة ومصيبة قصد البرى عنها او ضرب مثل
لتطييب مجلس القائل والمقول له ترغيبا فى مجالسته ومخالطته ومصاحبته

وهكالمته اومبالغة فى الوصف لتحسين كلامه و تزيين مرامه بمن عظم الله خطره
اى منزلته بشرف قدره ومرتبته من الانبياء والاصفياء فحق هذا القائل
ان ورعه عن القتل احتياطا الادب بضرب وجيع وتوبيخ بليغ فظيع والحبس
فيمكان شنيع وقوة تعزيره بحسب شنعته فقاله ولم يزل المتقدمون من العلماء
والامراء ينكرون مثل هذا المدح ممن جاء به من الشعراء وقد انكر هارون الرشيد
على ابى العتاهية قوله فان يك بانى سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف
خصيب اى ان يكن فى مملكتهم ارض مصر يقينه من سحرهم وفلاهى تجدى نفعا
مع وجود عصى موسى بكف اميرها خصيب تلقف ما يأفكون فقال له الرشيد يا
ابن اللخناء اى يا ابن المنتنة انت المستهزئ المستهتر بعصا موسى بجعلك
اياها بكف خصيب وامر بلجراحه عن عسكره فى ليلته واستفتى بعض قضاة
الاندلس القاضى ابا محمد ابن منصور رحمه الله تعالى فى رجل تنقصه رجل اجزء
شئ من الكلام فقال له انما تريد نقصى بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص
البشرى حق النبى صلى الله عليه وسلم فافتاه بابطاله تحبه وايجاع اديه اذ كم
بقصد
السب والاذى بحكم بقتله لكفره وقال ابو الحسن فى شاب معروف بالخير قال الرجل شيئا
فقال له الرجل اسكت فانك اهوج فقال الشاب ليس كان النبى اميا فيشنع

عليه مقاله وكفر الناس وشفق الشاب بما قال واظهر الندم عليه فقال
ابو الحسن اما الطلاق الكفر عليه فخطأ ولكنه مخطئ فى اشهاده وبصفة النبى
صلى الله عليه وسلم وكون النبى اميا آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة
ومن جهالته احتجاجه بصفة النبى صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب
واعترف ولجاء الى الله تعالى فيترك وقوله لا ينتهى الى حد القتل وما طريقه
الادب فطوعر فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه وكان بعض فقهاء الاندلس
افتى بقتله اخذا له بظاهر قوله زجرا له ولغيره قال الفاضل على القارى رحمة الله
عليه ولعل هذا كله مبنى على السياسة وسد باب الذريعة والا فالمخلوق من
حيث هو مخلوق خرج من العدم الى الوجود وفى صدد الزوال عن عالم الشهود
ناقص الحال بالاضافة الى كمال الملك المتعال لا سيما ولا يخلو احد عن تقصير
فى مقام العبودية عما يجب عليه من قضاء حقوق الربوبية كما اومأ اليه
صلى الله عليه وسلم بقوله لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وكما اشار اليه
سبحانه وتعالى بقوله كلا لما يقض ما امره قال البيضاوى لم يقض الانسان من لدن
آدم عليه الصلوة والسلام الى هذه الغاية امر الله تعالى بأسره اذ لا يخلو احد
من تقصير ما ولو كان عظيما فى قدره انتهى وسادسها اى سادس الوجوه

ان يقول القائل ذلك القول الذى فيه نقص من قدر نبى من الانبياء حاكيا
عن غيره راويا وناقلا عنه فهذا الناقل ينظر فى صورة حكايته وقرينة مقالته
ودلالة حالته المؤذنة بغرضه الباعث له على روايته ويختلف الحكم باختلاف
صورة حكايته وقرينة ما حالته على اربعة وجوه من الاحكام فان كان ناقله
مخبرا به على وجه الشهادة لاحد عليه نفيا او اثباتا او عرض الناقل تعرف حال
قائله وصفته ولا انكار عليه ليعلم ما يترتب عليه من قتل وتعزير وتوبيخ ونحو ذلك
اويحترز عن مجالسته ومصاحبته فهذا القول على هذا المنوال مما ينبغى امتثاله
ويقبل مقاله ويحمد فاعله وكذلك الحكم ان حكاه فى كتاب او فى مجلس وعظ
وتدريس على طريق الرد له والنقض على قائله ولا فتاء لما يوجبه من قتل ونحوه
فهذا الرد والنقض منه ما يجب بيان حكمه ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكى
والمحكى عنه فان كان القائل لذلك الذى حكاه ممن تصدى كان يؤخذ منه
العلم او الرواية او يحكم بحكمه لكونه اميرا او قاضيا او يحترم شهادته لعدالته
او يفتى فى الحقوق بعلمه وحكمه يجب على سامع قوله الافشاء والاشاعة
بما سمع منه والتنفير للناس عنه ويجب لشهادة عليه بما قاله ليجتنب عنه
ويجب على من بلغه ذلك الذى صدر منه من ائمة المسلمين انكاره وبيان

كفره وفساد قوله لقطاع ضرره عن المسلمين وكذلك حكم واعظ العامة
ومؤدب الصبيان لانه لا يؤمن على القاء ذلك فى قلوبهم فيتأكد فى
حق هؤلاء الايجاب بالانكار لحق الانبياء عليهم السلام وان لم يكن القائل
من المذكورين فصيانة الانبياء عن الطعن والنقص فيهم ايضا واجب
لا يجوز التهاون عنها فى حق مؤمن الا اذا قام هذا من علانيته الحق وانفصلت
به الخصومة وظهر به الصدق سقط الغرض عن الباقيين لكن يستحب لهم الدعوى
والشهادة للتقوية والتشهير للقضية والمبالغة فى الاجتناب والاحتراز عنها
واما الاباحة لحكاية قوله المشتمل على الكفر بغير ما ذكرنا من المقصود فلا مدخل
لان التنزه بغير غرض شرعى لا يجوز بعرض نبى من الانبياء والتحرك لسوء
ذكره لا يجوز لاحد لاذاكرا ولا راويا وناقلا واما للاعراض المتقدمة
كالشهادة والرد والنقض فموضع تردد بين الايجاب والاستحباب وان نقل
مقالات الغير من سب نبى والازراء بمنصبه على وجه الحكاية والاسمار واحاديث
الناس وصفا لانهم فهو ممنوع بعضه اشد من بعض فى المنع والعقوبة بحسب علم
الحاكى وقصده وشدة الحكى عنه فى الشناعة وغيره ولهذا قالوا فيمن حفظ
نصف بيت بقصد حفظه وارادة نشره مما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم

انه كفر وسب يوخذ بقوله ولا ينفعه نسبة الى غيره فتبادر الى قتله ويعجل الى
الهاوية امره وقد حكى ان رجلا سال مالكا رحمه الله عمن يقول القرآن
مخلوق فقال مالك رحمه الله انه كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال
مالك انما سمعناه منك لا من غيرك وكان هذا الحكم على طريق الزجر
والتغليظ فليس الم ينفذ قتله وسابعها اى سابع الوجوه ان يذكر ذاكر
ما يجوز على الانبياء كارعاء الغنم لما في الحديث ما من نبي الا وقد رعى
الغنم وفي حديث كنت ارعاها على قراريط او يختلف في جوازه عليه
كارتكاب صغيرة عمدا او يعرض عليه من الامور البشرية والاحوال الطبعية
او يذكر احدا ممتحن به وصبر في ذات الله تعالى مع قوة بلائه كاصابة
الايذاء له من اعدائه او يذكر ما لقيه من شدة في وقته كاختيار الفقر
والفاقة لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كله على سبيل الرواية وتحصيل العلم
ومعرفة ما صحت منه العصمت للانبياء وما يجوز عليهم فهذا النوع خارج مما ذكر
في الوجوه المذكورة ليس فيه عيب ونقص ولا استحقار ولا استهزاء لا في
ظاهر اللفظ ولا في قصد اللافظ ولكن يجب ان يكون الكلام فيما ذكرنا
مع اهل العلم والتبيان وفهماء طلبة الدين ممن يفهمون مقاصده ويحققون

فوائده ويخبون ذلك الكلام ممن عساه لا يفهمه ولذا كره بعض السلف تعليم النساء
سورة يوسف لما اشتملت عليه لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن
ولو ذكر هذا المذكور مع الاذكياء من الطلبة على طريق المذاكرة والتعليم
لا بد للمتكلم ان يلتزم في كلامه عند الذكر يعني عند ذكر نبي من الانبياء
وعند ذكر تلك الاحوال توقيره وتعظيمه ويلاحظ حال لسانه بعظم شانه ولا يتركه
ويظهر على نفسه علامات الادب خوفا من الرب فعند ذكر الشدايد على الانبياء
من جهت الخلق اظهر عليه الاشفاق او الشفقة والرحمة ويتوقد له ويتيقظ به
ويود لو كان في ذلك الوقت لا وقع بعامل ذلك الشدايد ما قدر من آثار
المقت والغضب ويجب ان يفدي بروحه وابيه وامه للنبي صلى الله عليه وسلم
لو قدر عليه والنصوة له ان امكنته لديه ويطلب احسن اللفظ وادب
العبارة كان يقول هل يجوز من نبي المخالفة في بعض الاوامر والنواهي
ومواقعة الصغائر بل الاولى ان يقول هل يجوز عنه صدور الزلة
وترك الاولى واجتنب عن كريه اللفظ وقبيح العبارة كلفظ الجهل والكذب
والمعصية ولا يقول هل يجوز عنه صدور الكبرة والمعاصي والذنوب
كما اجترء عليها الطاعنون ولا يقول بجهل النبي مجئ الساعة لقبح اللفظ

وشناعة فان حسن العبارة معتبر عنه ارباب الاشارة كما حكى انه كان
معبران لبعض الامراء وجعل وظيفة احدهما الفاكه والآخر بضده وعجز دعائه
وجلسائه عن وجه الفرق بينهما لاتحادهما فى مراتب العلم والصلاح والادب
فسئلوه عن ذلك وعن تميزهما بما ذاك فقال رئيت فى النوم ان
اسنانى سقطت فصاحب الاكف عبر بانك تعيش بعد اقوامك كلهم
وعبر الآخر بانهم يموتون قدامك جميعهم فانظروا الفرق بين العبادتين
مع ان موءداهما واحد فى الاشارتين بل يقول لا يعلم ولا يدرى نبى
من الانبياء موعد الساعة ولا يعلم المغيبات من الاشياء الا ما اعلمه
الله تعالى احيانا وقد صرح علماءنا الحنفية بتكفير من اعتقد ان النبى يعلم الغيب
لمعارضة قوله تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وقال الله
ان الساعة آتية اكاد اخفيها اى عن نفسى لو امكن فضلا عن غيرى وفى الحديث
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة الآية وفى الحديث
جبرئيل ما المسئول عنها باعلم من السائل والحاصل ان الانبياء عليهم السلام
لا يعلمون المغيبات فمن اعتقد خلافه فقد افترى عليهم وحكم الافتراء
قدم من القتل والمشهور من مذهب مالك رحمه الله واصحابه واقوال السلف

وجمهور العلماء قتل الساب والمفتى حد الكفر ان اظهر التوبة منه وحكمه
حكم الزنديق ومسر الكفر فى هذا القول سواء كانت توبة على هذا القول المشهور
بعد القدرة على اخذه والشهادة على قوله المؤدى الى قتله او جاء تائبا
من عند نفسه لان قتله حد وجب عندهم لا تسقطه التوبة كسائر
الحدود من الزنا وقتل النفس ونحوهما اتفاقا ومنه انه قياس مع الفارق
فان هذه الحدود عامة ثابتة بالكتاب والسنة واما من كفر بسبب سب
ثم تاب فلا يعرف لحد فى هذا الباب اذ كثير من ارتد عن الاسلام ثم تاب
وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته ورفعت عنه ردته هذا وقد صح
عنه عليه السلام ان الاسلام يرفع ما قبله وهو يشمل الاسلام السابق واللاحق
وقال الشيخ ابو الحسن القابسى رحمة الله اذا اقر بالسب وتاب عنه واظهر التوبة
قتل بالسب لانه حد وجده ووافقه ابو محمد بن زيد وسحنون على هذا الا انه
قيده بالمسلمين واما الذمى الذى صرح بسب نبى من الانبياء او عرض استخف
بقدره فلا خلاف عندنا المالكية فى قتله ان لم يسلم واستدلوا بانا
لم نعطه الذمة على سب الانبياء وقد قال الله تعالى وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم الى قوله فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم

ولا يخفى على المتأمل ان هذه الآية فى المصالحة مع الحربي والكلام فى الذمي
وقد قال الله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون فظاهر الآية ان بعد اعطاء الجزية يرتفع عنهم القتل
واما اذا اسلم الذمي بعد سبه نعند بعض المالكية يسقط اسلامه قتله
كان الاسلام يهدم ما قبله سواء كانت مظلمة او غيرها وهو انا نعلم
باطنة الكافر فى بغضه وتنقصه بقلبه لكنا منعنا الذمي من اظهاره
فلم يزد نا ما اظهره من السب وغيره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله
قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف بخلاف المسلم اذا سبه
ثم تاب فانه يقتل ولا يسقط قتله توبته لانا ظننا باطنه حكم ظاهره وخلاف
ما اظهره عنه الآن فلم نقبل بعد رجوعه بالتوبة وفيه شئ وهو ان كفره ساعة كيف
يكون اشد من كفر سنين مع انه لا عبرة لظننا اذ يحتمل انه كان كافرا ليستتر
وما صح له الايمان المعتبر وعند بعضهم يعني المالكية لا يسقط اسلام الذمي
السابب قتله لانه حق وجب على الذمي لانتهاكه حرمة النبي فلم يكن رجوعه

الی الاسلام بالوجه الذی یسقط کما وجب علی الذمی من حقوق المسلمین من
قتل وقذف واذا قلنا لا تقبل توبة المسلم الساب لله تعالی فقتله فان لا تقبل توبة
الکافر الذمی بطریق الاولی وفیه ان قیاسه علی سائر حقوق المسلمین
غیر صحیح والاولی ان یقال کما یقبل توبة الحربی ان تقبل توبة الذمی والمسلم
لانهما اقرب الی الدین وقد قبل النبی صلی الله علیه وسلم توبة المرتدین
والیهود بعد شتمهم له علیه السلام وما عند ابی حنیفة والثوری واتباعهما
من فقهاء الکوفة لا یقتل الذمی بالسب لان ما هو علیه من الشرک
اعظم مما صدر من سبه لنبی من الانبیاء ولکن یؤدب ویعزر بقدر
مقاله وقوة حاله نحمد الله علی تالیف کتاب لطیف وترصیف مجموع شریف

لک الحمد یا ذا المن والفضل والعطاء	تبارکت رحمانا تکون ما تشاء
واشکر یا ذا المجد ایاک خاضعا	علی کل ما تعطی بفضلک دائما
خصوصا علی فیض جدید سرنی	وذلک تالیف الکتاب الذی حوی
فوائد من انوارها الشمس شرقت	وصار مزیدا فی مزید ضیائها

قطعة تاریخ اتمام تالیف کتاب از عمدة العلما وقدوة الاذکیا ناظم
بدل وناثر لاجواب مولوی سید احمد علی سیماب محمدآبادی

عرف ٹونک افاض اللہ بحارفیوضاتہ علی الدوام **قطعہ**

از عنایات قادرِ مطلق	آنکہ خلاق جزو و کل آمد
این کتابی پر از افاوت و فیض	مایۂ رشد ہر عقل آمد
از پئے رہروان راہ یقین	جذبۂ اشعلِ سُبُل آمد
سال اتمام او بلا علت	کاشفِ عصمتِ رسل آمد

۱۳۱۱ ۹۰

خاتمہ الطبع

الحمد للہ علی احسانہ والصلوٰۃ والسلام علی رسولہ وآلہ واصحابہ اجمعین الی یوم الدین کہ درین زمان سعید واوان حمید کتاب لاجواب فیض بخشای برنا دشتاب موسوم بہ **تحفۃ الاخلاّ فی عصمۃ الانبیاء ع** حسب اجازت بندگان عالی جناب فیاض زمان حاتم دوران حضور فیض گنجور یمین الدولہ وزیر الملک نواب محمد علی خان بہادر صولت جنگ دام اللہ اقبالہ واعاد اللہ ملکہ والی ریاست محمد آباد عرف ٹونک مقیم بنارس بتصحیح وتنقیح تمام ومحنت وشقت لیکلام عالم خفی وجلی مولوی محمد سعید معشوق علی سلمہ اللہ القوی باہتمام برگزیدۂ دوران نامور زمان محمد علی بخشان سلمہ الرحمان در مطبع علوی بتاریخ چہارم شہر ربیع الآخر ۱۲۹۴ ہجری مزین بزیور طبع گشتہ اریکہ آرای شاہد مقصود گردید فقط

واسطی سنداس امر کی کتاب چھپی ہوئی مطبع علوی کی ہی

مہر مطبع ثبت کیگئے فقط



صحت نامہ اغلاط تحفۃ الاخلاء فی عصمۃ الانبیاء

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
۳	۴	منزلة	مزلة
〃	۵	امرنی هو	امرنی من هو
۴	۸	حاوی الارواح	حادی الارواح
〃	۹	الدارسات	الدراسات
〃	۱۳	بالعبارت	بالعبارة
۵	۱۰	حیسید	حینئذ
〃	۱۳	همزون	یهمزون
۷	۵	اواصر	واصر
〃	۶	الوحے	الموحے
〃	۱۵	الانجیل	نزل الانجیل
۸	۵	اولو	اولے
۸	۶	نوح	نوح
〃	۹	الوالعزم	اولی العزم
〃	۱۰	نبے ما	نبی مثلما
〃	۱۵	لحب	الحب
۹	۶	بالحشاء	بالمنشار
۹	۱۱	لعجلت	لعجلة
۱۰	۵	تبئین	تبیلین
۱۰	۶	وارے	دارے
〃	۷	تلی وارها	تلی دارها
〃	۱۳	الانبیاء	الامناء
〃	۱۴	الانبیاء	الانباء

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
۱۱	۱۴	لوجوه	یوجوه
۱۲	۶	سمع	یسمع
〃	۱۱	اظهار	اظهار
〃	〃	الانه	الان
۱۳	۱	اعلم	اعلم
۱۴	۱۰	برایت	بدایته
〃	۱۲	لم یحصل	مالم یحصل
〃	۱۴	مثل	مثلا
〃	۱۵	فهدایت	فبدایته
۱۵	۷	للقصد	القصد
〃	۱۱	قدره	قدرة
〃	۱۲	یلیج	ملج
〃	۱۴	الاختلاف	الاخلاق
۱۶	۵	ایض	ایضً
۱۷	۱۴	بنی	نبی
۱۸	۵	وکثرة المخالفین	وکثرة المخالفین
〃	۶	محافتهم	حماقتهم
۱۹	۸	لایجواز	لایجوز
〃	۱۳	لا یقع	لایقع منهم
۲۰	۵	اصلا کبیرة	اصلا کبیرة
〃	〃	ولاخطاء	الاخطاء
〃	۱۲	خسله	خلع

صفحه	سطر	غلط	صحيح
٢٠	١٤	وقال	قال
٢١	١٥	العبهد	العبد
٢٢	〃	لواحد	الواحد
٢٣	١	فوله	قوله
〃	٥	مشاقة	مشاقته
〃	٦	ان نعلم	انا نعلم
〃	٩	منزجر	متزجر
〃	١١	ولاتحقوا	ولا استحقوا
٢٤	١٥	والجزيته	والخيريته
٢٦	١٠	واذاقلنا	واذ قلنا
〃	١٣	المعقول	العقول
〃	١٤	بالفضل	بالفصل
٢٨	٣	وابتلاءلهم	ابتلالهم
〃	٩	سبقت	سيقت
〃	١٣	احمرها	اخمرها
٣٠	٨	رفوق	وفوق
٣	٢	فدغته	فدغته
〃	٦	كذرات	كذرة
٣١	١٣	المصدق	المصدق به
〃	〃	بجميع	جميع
٣٢	٩	وغير	وغير
〃	〃	واختلفت	واختلفته
〃	〃	اونقلت	اونقلته

صفحه	سطر	غلط	صحيح
٣٢	١٠	نغيرالواحد	لتغيرالواحد
〃	〃	برفضة	برفضه
〃	〃	بدمه	بذمه
〃	١١	قدجاءمعهم	قدجامعهم
〃	١٢	ويتلونه	وتبلونه
〃	١٣	اقطعواقطع	اقطع واقطع
٣٣	١	ولهم	ولهم
٣٤	١١	الباب الثانى	واما الباب الثانى
〃	١٣	انبياء	ابينا
٣٥	١٢	نعافهم	فى هجم
٣٦	٧	بصيغته	بصيغة
٣٧	١	فيها	فيها
٣٧	٣	الحارث	لحارث
〃	٤	هذ اللفظ	هذا اللفظ
٣٨	١	اتينا	اتيتنا
〃	٢	لاالك	لاالك
٣٩	١	ذكرالله تعا	ذكرانه تعا
〃	٦	ذالك	ذلك
〃	١٢	اى اسئل	اى واسئل
٤٠	٩	جنة	جنته
٤٢	١٠	زوجة	زوجته
〃	〃	جراءة	جرادة
٤٣	١	انه خان	انه كان

صفحه	سطر	غلط	صحیح
۴۳	۱۲	تلك	تلكما
۴۴	۳	جزم	جزاء
〃	۴	هذل	هذه
〃	۶	نقل	ما نقل
〃	۹	الا الاعلے	الا لاعلے
〃	۱۵	فالتعليم	كالتعليم
۴۵	۶	تنزيه	تنزيته
۴۵	۷	ولاتقوم	و تقوم
〃	۱۲	يقضاء	بقضاء
〃	۱۴	بينه	بنيه
〃	۱۵	والاعتراف	ولا اعتراف
۴۶	۸	ترقيك	وترقيك
〃	۹	امير المومنين	امر المومنين
〃	۱۴	لذريه	لذريته
۴۷	۴	توبته	توبته
〃	۵	ورحمه	ورحمته
〃	۶	بالطاغه	بالطاعة
〃	۹	تذنبوا	تذنبوا
〃	۱۵	واسباب	اسباب
۴۸	۱	معه	مع
〃	۵	اقتلوامنى	اقتلومونى
〃	۶	انه خلقته	ان الخلقة
〃	۸	بشاهدون	يشاهدون

صفحه	سطر	غلط	صحیح
۴۸	۱۰	اكل	اكلے
۴۸	۱۳	لسيدنا	سيدنا
〃	۱۵	يامرديني	يامرونهى
۵۱	۱۲	فتى	غنى
۵۲	۹	كات	كان
〃	۱۴	يعابتون	يعاتبون
۵۴	۵	بالهدايته	بالبداهة
〃	۸	بينتها	نيتها
۵۵	۵	ماقصد	ماقصه
۵۷	۱۲	الاولى	ماالاولى
〃	۱۳	ولاتضمان	ولاتضمان
۵۸	۱۱	اى بانا	بانا
۵۹	۱	والتبغيد	والتبعيد
۶۰	۲۰	المطلوبته	المطلوبة
〃	۹	المولاء	المولے
۶۱	۸	الجبة	المجبة
۶۳	۷	معصية	معصية
۶۴	۱	حياه	حياء
〃	۵	على العقل	على الفعل
۶۶	۲	يمهل	مجهل
۶۷	۶	والفرع	والفزع
〃	۱۵	صرة	صرة صرة
۶۸	۳	البنى	النهى

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٦٨	٨	ارادہ	ارادۃ
٦٩	١	الاجتماء	الاجتماع
٧٠	١٢	عیارۃ	عبارۃ
〃	١٣	تهسبه	منسبه
٧٢	٢	اشرۃ	اغترۃ
〃	٤	الجنۃ	ان الجنۃ
〃	١٠	عباد	عبادہ
٧٣	٣	بصنعۃ	بصفتہ
٧٤	١٢	وتحیۃ بینك	وتحیتہ بینك
٧٦	١٢	افتراق الاجزاء او بمعنی	افتراق الاجزاء فلامنافات بین هلاك نعیم الجنۃ ودوام اکلها لان هلاکہ بمعنی افتراق الاجزاء او بمعنی
٧٦	١٣	بقی ذاتها	بقاء ذاتها
٧٧	٩	نجنت	الجنۃ
〃	١٤	تحصیل	یحصل
٧٨	٩	لیطوف	یطوف
〃	〃	لله ما	لاصرما
〃	١١	لاعضینه	لاعصینه
〃	١٤	یعبدہ	یعیدہ
٧٩	١	فوق السموات	الی فوق السموات

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٧٩	١٣	الی ما اجز	الی ما اخبر
٨١	١٤	لم نجد بذلك	ما نجد علیها بذلك
٨٢	٣	لجنت الخلد	جنۃ الخلد
٨٤	٢	خبان	جنان
〃	〃	انا	ان
٨٥	٦	وغایۃ	وغایته
〃	١٥	الضب	لضب
٨٦	١	الضب	لضب
〃	٨	ورالعبرا	ورابعها
〃	١١	والظمان	والظماء
٨٧	٤	یعلم ادم	لعلم ادم
〃	١٢	بوجوہ	بوجهیه
٩٠	١	عزیز	عزیر
〃	١٢	لاتغیر	لاتتغیر
〃	١٣	واتاب	واناب
٩٢	٥	وبطلانا	وبطلان
〃	٦	ضمتارها	فثمارها
〃	٧	لعاان	اما ان
〃	١٤	المنتهی	المنهی
٩٣	١٠	بقاء	بقاء
〃	١٣	دفعۃ واحدۃ ولماشبت	دفعۃ واحدۃ او بعد کل

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٩٤	١	فی جنة	فی جنته
٩٥	٤	مبنه	منبه
〃	〃	ایل	ابل
〃	١١	بعضها	بعضاً بعضاً
٩٦	٦	یسرون	یسیرون
〃	٩	عر	عمر
٩٧	٨	وابنه	دابته
〃	١٠	فاتبعته	فابتلعته
〃	١٣	قلم یقدر	فلم لم یقدر
٩٩	٧	طاعرف	لماعرف
〃	٩	واما الاستقراء	واما الاستقراء
〃	١٣	مضره	مضرة
〃	١٤	کله الله	کله لله
١٠٠	١٢	وخربوه	وضربوه
〃	١٥	یبس	ابیبس
١٠٢	١١	وحسان	وحان
١٠٣	٧	انه	ایضا
〃	١١	استغنینا	استغنینا
١٠٤	٥	التفریع	التفریع
〃	٦	یعلمون	یعلمون
〃	١٥	من الدین	من الابن
١٠٦	٣	یقال انه	یقال له انه
١١٧	١٣	ذجره	زجره

صفحه	سطر	غلط	صحیح
١٠٨	٤	الجواز	لجواز
〃	٧	من رحیم	من رحم
١٠٩	٢	ساوی	فقال ساوی
〃	٤	انبه	ابنه
〃	١٢	ینجینی	ینجی
〃	١٤	ان لا بن	الا بن
〃	〃	لعظیمة	العظیمة
١٠٩	١٥	امر الله	امر اله
١١١	٢	والله ترجعون	والیه ترجعون
〃	١٠	قدر والله	قدر الله
١١٢	٨	بذه الدعوة	هذه الدعوة
١١٢	١٠	عن ذنب	عنه ذنب
١١٣	٨	اختلفي	اختلفوا
١١٤	٤	ولا تجوز	ولا یجوض
〃	〃	والین	واللین
〃	١٠	ومکان	ومن کان
〃	١٥	اذا جاء	اذ جاء
١١٦	٣	خالطه	خالط
١١٨	١	ستغیرا	متغیرا
〃	٥	ان نقول	ان نقول
١١٩	١٠	مسطمعنا	مطمئنا
〃	١٢	یصدران	یصدرون
〃	١٣	عدو لا قتیل	عدو لا قتیل

صفحه	سطر	غلط	صحیح
١٢٠	٧	المؤيد	المؤبد
〃	١٣	لانقاد	لانقاذ
١٢١	٦	مسئلتنا	فی مسئلتنا
〃	١٣	مرّ اشدا	مسترشدا
١٢٢	١٢	فلذلك	فذلك
١٢٣	٢	الغرض	الفرض
〃	٣	ارشاد للصائبة	ارشاد للصائبة
١٢٤	٩	ضوئه ضوئه	ضوئه
١٢٦	١٢	ووقوع	وقوع
١٢٨	٦	المبتدؤ	المبتدء
〃	١٠	فلم يقبصر	فلم يقتصر
١٢٩	٣	مساعدين	مساعدين
١٣١	٦	قطعة	قطعته
〃	٩	عزين	عزين
〃	١٤	سبيل الكفار	سبيل الانكار
١٣٢	〃	حقبة	حقة
١٣٣	٦	ينے	نبے
〃	٧	لسماء	السماء
〃	٨	هوهو	اهوهو
〃	٩	فزنت پثم	فزنت فزنت ثم
〃	١٠	زنته	زنه
〃	〃	زنته	زنه
١٣٤	١٠	دارو	داری

صفحه	سطر	غلط	صحیح
١٣٤	١١	وعرفت	وعرف
١٣٥	١	انزل الله	انزلها الله
〃	٨	وعاشرها ابراهيم	وعاشرها ازواجهم
〃	١١	الرجهين	الوجهين
〃	١٥	استحق	اسحاق
١٣٦	٣	علمين	علمنے
١٣٧	〃	الشوك	الشكوك
〃	١٢	طمانية	طمانيته
〃	١٤	لاعرتيه	مرية
١٣٨	٥	عليه قيل	عليه قبل
〃	١٤	بينهم	نبيهم
١٤٠	٢	والطمانية	والطمانية
〃	١٣	الملكة	الملكية
〃	١٥	ليسقنے	ليسقينے
١٤١	٢	النام	التام
١٤٠	١١	مقامان	مقامين
١٤١	٤	تيسير	يتيسر
〃	٥	ولاجل هذا	ولاجل هذا
〃	١٣	من القران	من القران
١٤٢	١٢	المحدود	المحدد
〃	١٤	يحيے	يحيے
١٤٣	٤	يحذف	يحذف
〃	٦	قلب	قلبا

صفحه	سطر	غلط	صحیح
١٤٤	١٠	وصفه	صنعته
〃	١١	یالعین	یالعین
〃	١٢	بالعین	یالعین
١٤٧	٤	یازوی	یازمی
〃	١٣	السماع	السماء
١٤٩	١٠	خلق	حلق
〃	١٢	بدان	بدن
〃	١٣	فسود	فرد
١٥٠	١٤	بفکل حیثة	لقی کل حبشة
١٥١	٨	تکلمة	تکملة
〃	٩	جثة	جثته
١٥٢	١٣	ازواج	ازدواج
〃	〃	وقرنیة	وقرنیه
١٥٣	٣	لعقد	لحقد
١٥٤	٧	لبعض	ببعض
〃	٢	وقت	ووقت
〃	١١	النفس	النفس
١٥٥	١	منطوتها	سطوتها
〃	〃	وذهبت	ووهنت
〃	٤	ویترلی	وبترویتربیته
〃	١٥	تائة	تأتیه
١٥٦	٩	یقول	یقال

صفحه	سطر	غلط	صحیح
١٥٧	٨	واهو	اهو
١٥٩	٣	قریب	عنقریب
〃	٩	بعضهم	بعضهم له
〃	١٤	وعن سارة	ولسارة
١٦٠	٥	تقدیر الفعل	تقریر الفعل
〃	٩	الخرخشة	الخرمشة
〃	١٠	تقدیں	تقریر
١٦١	١٥	علیهم	علیهم
١٦٣	١	من شرط	من شرطه
١٦٥	٧	فمما طلب	فما طلب
١٦٦	٣	ان یقطع	ان ینقطع
〃	〃	متفرغا	متصرفا
〃	١٠	وعصمت	عصمة
〃	١١	اواعسم	اواعصم
١٦٩	٨	ابوامة	ابو امنه
١٧٠	〃	التام المعرفة	التام المعرفة
〃	١٥	آوے رکن	آوے الی رکن
١٧١	١١	العدد	العدق
١٧٣	١٤	ای ان	رای ان

صفحه	سطر	غلط	صحیح
١٧٣	١٤	والتفويض	وتفويض
١٧٤	١	يوسف عليه السلام	يوسف
〃	٣	والله اعلم من	واعلم من
〃	٧	وبالتفويض	وبالتفويض
١٧٥	٤	الله تعالى	لله تعالى
١٧٦	١٣	عن الكلب	عن القلب
١٧٧	٥	وخرعلى الارض مغشيا الارض	وخرعلى الارض مغشيا
١٧٨	٢	وجهها	وحبها
〃	٤	ليست	لبست
〃	٦	وقس على	وقس على هذا
〃	١٤	بعدم	وعدم
١٧٩	١٠	فوجهته	فوجهة
〃	١١	ووجهته	ووجهة
〃	〃	وجهنه	وجهة
١٧٩	١٣	لوجهتها	بوجهتها
〃	١٤	الاشياء الاخروية	للاشياء الدنيوية وتجلت

صفحه	سطر	غلط	صحیح
			فی الاشیاء الاخرویة بوجهتها التی الی الوجود وهذا الحیثیة وموبیات للاشیاء الاخرویة
١٨٠	٧	رتبه	رتبت
١٨١	١١	لتنبيهم	لتنبيههم
١٨٢	١	والقوة	والقود
١٨٥	١	يعنى	يعنى به
〃	٢	عاليه	عليه
〃	١٠	انى يحل	ان يحل
١٨٢	٢	السيد نوشته	السدى نوشته
〃	٣	لمرتواقعها	لمرتواقعها
١٨٧	٣	لمروايته	لمروايات
〃	١٠	الموجبية	الموضعية
١٨٨	٨	وانشاء	والثناء
١٩٠	〃	من اول	من ادل
〃	٩	خيرا للذين	خير للذين
〃	١٠	شرح	شرح
〃	١٤	ذلك الوقت الوقت	ذلك الوقت
١٩١	٣	فليقلوا	فليقبلوا

صفحه	سطر	غلط	صحيح
١٩٢	٩	الشهوه	الشهوة
١٩٤	٢	لانه قصدها	لانه قصدها
″	١٢	ثم لم	ثم لم
١٩٦	٣	وان الجن	اوان السجن
″	١٢	طبيعة	طبيعته
″	١٣	على ان دينه	الا ان دينه
١٩٧	٢	بدواه	بدوات
″	١٠	يضوبه	يضربه
″	″	فعل	فعلى
١٩٨	٤	رايته	برائته
″	١١	مما ذكرت	فما ذكرت
١٩٩	٧	نكة	نكلة
″	٩	سباق	سياق
٢٠٠	١٢	والبقتدى	وليقتدى
″	١٣	والتشبث	والتشبث
٢٠١	١١	سوء ا	سوءً
٢٠٢	٤	نفقها	لفقها
٢٠٤	٢	كلام	كلامه
″	″	قال	قاله
″	٦	الشعر	الشعراء
″	١٣	استخرجه	استخرجها
٢٠٥	٢	التهمة انه	التهمة والحال انه
″	١٤	وامهلهم	امهلهم

صفحه	سطر	غلط	صحيح
٢٠٧	٢	لقولك ان	لقولك اخاف ان
٢٠٩	١٠	تهيته	تحيه
″	١٣	بقبيسها	لقسسها
٢١٠	٩	ولم يكن	اولم يكن
″	″	مستحق	مستحقا
٢١١	٤	قتلهم	قتله
″	١١	الانقطاء	الانقطاع
٢١٢	١٢	قدم	ندم
″	١٤	ولم يوخذ	ولم يوخذ به
١١٣	٨	فى قوله تعالى	فى قوله
٢١٤	٣	اثم	اثم
″	٥	خوفه تعالى	خوفه
″	″	ذلك	وذلك
″	٦	الخ	الا يه
٢١٥	٧	نهيهم	نهيهم
″	١٤	ولا صنعن	ولا صنعن
٢١٦	٤	لايق	الايق
٢١٦	١٤	للامة	ملامته
″	١٥	استناد	استناد
٢١٧	١٤	قابلته	قابلة
٢١٨	٤	واعنى	اعنى
″	٨	ويقتل	ويفتل
″	″	لحية	لحيته

صفحه	سطر	غلط	صحيح
٢١٨	١٣	تهاية	نهاية
٢١٩	٥	هرون رضي الله بما فعل	هارون رضه بما فعل
〃	١٣	وخليفة	وخليفته
〃	〃	العدد	العدو
٢٢٠	٣	لم يبقى	لم يبق
٢٢١	٣	ولاترحقنى	ولاترهقنى
٢٢٢	٩	ابى حنيفة	الحنفى
٢٢٣	١٥	بموقه	بمونه
٢٢٤	٥	مايجب له	ماليجب له
〃	٧	انه على	انه علم
٢٢٤	١١	وكما هذا	وكان هذا
٢٢٥	٩	يهول	يهول
٢٢٦	٩	فى رعية	فى رعيته
٢٢٧	٣	سار النبى	صار النبى
〃	٤	غمزات	غمرات
〃	٦	النزوع	النزع
٢٢٨	١١	جناية	جنايته
٢٣٠	٩	فرد الحق	فرد والحق
〃	١٠	لانه على الدوام	لانه خالى على الدوام
٢٣١	٣	انسانا حيا	انسانا حيا
〃	٥	حجة	حجته
〃	١١	رؤية	رؤيتها

صفحه	سطر	غلط	صحيح
٢٣١	١٥	موسى	يوسف
٢٣٢	١٥	لقد ظلمك بسعال	لقد ظلمك لسوال
٢٣٣	١	ليسبغى	لينبغى
〃	٥	يخلوا	يخلو
٢٣٣	١٣	بينهما	فبينما
٢٣٤	٢	منتبعها	فتبعها
〃	١	فامتداليها	فامتد اليه اليها
٢٣٥	٤	لمكث	فمكث
〃	٨	اللهم	الهمّ
٢٣٦	١٠	ودعاه	وعاوده
٢٣٧	٢	والضيافى	والفيافى
〃	٨	سباحة	سباحته
〃	〃	الى الضيافى	الى الفيافى
٢٣٩	٤	حشقه	عشقه
〃	〃	واحتبالة الكثيرة	واحتبالة الكثيرة
〃	١٥	ورحمتك	ورحمة
٢٣٩	١٣	فاحتمال	فاحتال
٢٤٠	٢	البالغ	لبالغ
〃	٤	حال القصة	اصل القصة
〃	٥	ولو يشطر	ولو لشطر
〃	١	هذا القصة	هذه القصة
〃	٤	تعرض	لغرض

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٢٤٣	٦	عن القتل الفجور	عن القتل والفجور
٢٤٣	١٠	ساخته	ساحته
〃	١٤	علی القبایخ	علی القبائح
٢٤٤	٦	انهم وجدوا	انهم انما وجدوا
٢٤٥	〃	یودونه	یردونه
٢٤٧	٨	علمت	عملت
٢٤٨	٩	ولیعنی	ویغنی
〃	١٢	بعدم	لعدم
〃	١٣	بقوله	لقوله
٢٤٥	٤	لیتبهناه	لیتبرهناه
٢٥٠	١	حرك اصابع	حرك الاصابع
〃	٢	وما اخرجه	ما اخرجه
〃	٥	عن وقتها	عن وقتها
〃	١١	لایقطع	لایقلع
〃	١٥	مذنبا	مذنب
٢٥٣	٦	فظاهر	وظاهر
٢٥٤	٨	ردد ها	ردو ها
〃	٩	ردد ها	ردو ها
〃	١٠	ردد ها	ردو ها
〃	١٣	ردد ها	ردو ها
〃	〃	فردد ها	فردو ها
٢٥٥	٦	فما بعدهما	فا بعدهما
٢٥٦	١	ردد ها	ردو ها

صفحه	سطر	غلط	صحیح
〃	٤	الاما اکلته	الاما اکلته
٢٥٧	٧	اعوان	الاعوان
〃	٩	اعظم	اعلم
〃	١١	الطیاقا	انطباقا
〃	١٣	من ان	معان
٢٥٨	١٠	فحاس	فجلس
〃	١١	الطهارة	للطهارة
〃	١٣	خای	خاتمی
٢٦٠	٨	یفعل	بفعل
〃	٩	فلم یصح لاباذن	فلم یصح الاذن
〃	١٢	فبینهما	فبینما
〃	١٤	وغایة	وغایته
٢٦١	٧	فالفتة	فالفته
٢٦٣	〃	فالقة	فائقة
〃	٩	مملکه	مملکته
〃	١٤	سادات	سعادات
〃	١٥	المالك	الممالك
٢٦٤	٣	الحبارین	الجبارین
〃	٥	یتلفف	یتلفف
〃	١١	لاتسلبنیه	لاتسلبنیه
٢٦٥	٣	منافیة	منافقة
〃	١٠	لایوسف	لایوصف
٢٦٦	١١	والحرص	والحرص

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٢٦٦	١٥	انفه	الفه
٢٦٧	١٢	اقل منى	اقل من
〃	١٣	اويجمعهم الله	اويجبيهم الله
٢٦٨	٩	وينتهى	ونيتى
〃	٢	بنته	نية
〃	〃	وبنته	ونية
〃	〃	وبنته	ونية
〃	〃	وبنته	و نية
〃	〃	وبنته	و نية
〃	〃	للمالك	للممالك
〃	١٠	فاما ينتهى	فاما نيتى
٢٦٩	١	الداعية	لداعية
〃	٢	صرضعها	مراضعها
〃	٨	باكل كسرة	باكل كسرة
٢٦٩	١٥	ومرتيته لهمة	وتربيته لهمة
٢٧٠	٧	الماء	المال
〃	٨	لله	الله
〃	١٠	لم يردها	لم يروها
〃	١١	نية للمالك	نيته للممالك
٢٧٣	٩	قوله	قومه
〃	〃	ومعنا	ومعنى
〃	١٠	ماذكن بهم	ماذكرهم
٢٧٤	٥	على بابباى	على بابهاى

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٢٧٤	٩	والفنه	والفة
٢٧٥	٢	فقرقت	تفرقت
٢٧٦	٣	للحضرة	المضرة
٢٧٧	١	يفرقون	يغرقون
〃	٢	من رسنا	من سمنا
〃	١٠	استلد	اشتد
٢٧٨	١٣	وارسلنا	وارسلناه
٢٨٠	٥	لايضلوه	لايضلونه
〃	٨	والرياء	والبهاء
〃	١١	اذهب	اذهبى
٢٨١	١٥	فبسما	فبينما
٢٨٢	٧	فوجدتك	فوجدتك
٢٨٣	٦	ضلالهم	ضلالهم
٢٨٤	١٠	الدنيا	الدين
٢٨٥	٥	اللغو لكنت	اللغو يعنى كنت
٢٨٦	٥	ان يحملنها	ان يحملنها
〃	١٢	وتحصل لاق	وتحصل وليا
〃	١٣	بوراثته	بوراثته
٢٨٧	٩	سهروه	شهوته
٢٨٨	٢	يعلمون به	يعلمون به
〃	٣	فان قلت	فانى قلت
〃	١٠	الامس الشمس	الامس الشمس
٢٨٨	١٣	صاحبالة	صاربحالة

صفحه	سطر	غلط	صحيح
٢٨٩	١	من السوزر	من الوزر
٢٩٠	٣	حاشه	حاشته
〃	٤	وانقلاع	والقلاء
〃	٥	ان بائه	ان جائه
〃	٦	عتيه	عتبة
٢٩١	٥	تقديم	لتقديم
٢٩٢	٧	يستعجل	يستحيل
〃	١٤	بابابكر	بابي بكر
٢٩٣	٢	عليها	عليا
٢٩٤	٦	ومسلم	وسلم
٢٩٥	٢	يحى	نجى
〃	٣	النبى	للنبى
〃	٧	اسردا	اسروا
〃	١٢	جانزا	جائزا
٢٩٦	٩	النبى	للنبى
٢٩٦	١٤	وجميع	وجمع
٢٩٧	٨	فذال	فزال
٢٩٨	٧	محرما	محرم
٢٩٩	٩	ينفردا	ينفروا
〃	١٥	الى احجة	وابى احجة
٣٠٣	١٠	فى البر	فى السير
〃	١٣	فى العسقلانى	قسطلانى
٣٠٤	١٣	يرجهه	يرجحه

صفحه	سطر	غلط	صحيح
٣٠٧	٧	يحسب	يجب
٣٠٩	٢	اخير	اجير
〃	٤	موجب	فوجب
٣١١	٧	الشعراء	الشعر
〃	١٢	وسوسة	وسوسته
٣١٢	٢	الصحبة	الصحة
〃	٣	و بمثله	وبمثله
〃	٧	اصابة	اصابته
٣١٤	٣	مما انزلنا	ما نزلنا
٣١٥	١٣	يصير جل	يصرحوا
٣١٦	٨	يدل	تدل
〃	١١	استحاله	استمالة
٣١٧	٤	كثير	كثيرة
٣١٨	١٢	طمعا	طمعا
〃	〃	عصمة	عصمته
٣٢٠	٤	سيلحق	سيلحقون
〃	٥	فاطردهم	فلو طردهم
〃	٦	الواجيان	الواجبات
٣٢١	١٥	فى للوجود	فى الوجود
〃	〃	وغفره	وغفرانه
٣٢٢	١	العشرى	القشيرى
٣٢٣	٢	الحاجة	لحاجته
〃	٨	على شرفها	على تشرفها

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٣٢٣	١١	زید ما	زید لها
〃	١٢	وقلت	وقلة
〃	١٣	عیینته	عینیه
٣٢٤	٢	اوارادہ	اوارادة
〃	٣	یکتم	یکتمه
٣٢٤	٨	بشفاعة	بشفاعته
〃	٩	الی عینك	الی عینیك
〃	١٤	مسطیعة	مطیعة
٣٢٥	١١	سماء	سماع
٣٢٦	٣	اداء الامر	اداء للامر
〃	٤	سماء	سماع
〃	٨	حرمة النبی	حرمة التبنی
〃	١١	لا یقع	لا یقدح
٣٢٧	٩	اولحق	اوالحلق
٣٢٩	٢	استخفف	استعف
〃	١١	تعظیما	وتعظیما
٣٣٠	٥	سمنون	سحنون
〃	١٣	من الاثار	من الاثار
٣٣١	٣	ولا معتقد	ولا معتقدا
〃	١٠	لاعتقادة	لاعتقاده
٣٣٢	٣	ولا یشئ	ولا بشئ
〃	٤	صلبه	وصلبه
〃	٨	بماله	بحاله

صفحه	سطر	غلط	صحیح
〃	٩	خبر	خبیر
٣٣٢	٩	ماکا	ملکا
〃	١٢	وانکسار	وانکسارا
〃	١٣	واصحابی بحی	واصحاب سحنون
٣٣٣	٩	فی رتبة	فی رتبته
〃	١٤	بالهجرة	بالهجرة
٣٣٤	٢	نبوته	نبوة
〃	٥	منته	مستة
〃	١٣	الظفر	الظفر علیه
٣٣٥	٤	وکذبه	اوکذبه
〃	١٠	لبنته	لبنة
〃	١٢	اویتلکم	اویتکلم
〃	١٤	العبرة	العبر
٣٣٦	٢	اوردد اللحدود	اوردع الحدود
〃	٩	بجیل	یمیل
〃	١٢	اوالغیره	اولغیره
〃	〃	اوعند هضیمة	اوعند هضیمته
〃	〃	نقیضة	نقیصة
〃	١٣	اصابة	اصابته
٣٣٧	١	السود	السوء
〃	٤	عباد	عباد
〃	٩	ولا اضافة	ولا اضافته
〃	١٢	ولا عزار	ولا عزز

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٣٣٨	٣	ان یری	ان دری
〃	٤	فقاله	مقاله
〃	٧	یقیبه	بقیته
〃	١٢	اجز شیئ	اخر شیئ
〃	١٣	حصیه	حصه
〃	١٥	فیشنع	فشنع
٣٣٩	١	وکفر	وکفره
〃	٢	وبصفة	بصفة
٣٤٠	٣	روایة	روایته
〃	٤	حکایة وقرینة فاحالته	حکایته وقرینة حالته
〃	٥	الاحداد	لاحداد
٣٤١	٦	الغرض	الفرض
〃	٨	لغیر ما	لغیر ما
〃	٩	التنوه	النفوه
٣٤٢	١	نسبة	نسبته
〃	٨	عمدا و	عمدا او
〃	١٠	ما یفسه	ما لفیه
٣٤٣	١	و یحبون	ویجتنبون
〃	〃	عساء	عساه
〃	٧	ویتغط	ویتغیظ
〃	١٤	الکیرة	الکبیرة

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٣٤٤	٤	هاك	هنالك
〃	٨	ومجع	مجیع
٣٤٥	٢	نویة	نوبته
〃	١٠	القاسی	القایسی
〃	١٣	یقدره	بقدره
٣٤٦	١٠	کفروان	کفروان
٣٤٧	٨	ماصدر	مماصدر
〃	١٢	سر نی	یسرنی
٣٤٨	٣	هرعقل	هرعتل

تمت

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

هذه رسالة الدليل على اثبات نبوة نبينا بعد عيسى على نبينا

وعليه السلام

من تصنيفات مولانا الاعظم واساتيذ العالم مولانا وملاذنا ومنبتنا

روحنا في جسد نا السيد السند الفاضل الكامل

محمد ابراهيم بن الحسين الحسني الحسيني

رحمه الله تعالى عليه

سنة ١٢٩٤ الهجرى

قد تطبع لمطبع العلوم بامر محمد حسن خان اللكنوي

رب يسر بسم الله الرحمن الرحيم وتمم بالخير

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على من اصطفاه بالرسالة
خصوصا نبينا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين ۔
فقد سألني بعض احبار النصارى ان اذكر له ما اعتمد عليه من الدليل
على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد المسيح على نبينا وعليه السلام فاجبت
ان احرر له ذلك عسى ان ينفعه او ينفع غيره من الطالبين وان كان عنده
جواب فبالتحرير يسلم عن المنازعة والقيل والقال فانها من داب الجهال
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وجعله واياانا من المنصفين
وعن التقليد والعجاج معرضين فاقول وبه نستعين ان ثبوت النبوة
لا يمكن بغير النبي الا باظهار المعجزة وهي عبارة عن الامر الخارق
للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدي وليس تصحيح التعريف وبيانه بطرهنا ولكن

لا يظهر المطلوب الا باظهار امور ثلثة الاول ان يعلم ان خارق العادة
الذي يبتنى عليه المعجزة لا يختص بفن دون فن ولا بشئ دون شئ
بل كل ما لا يقدر عليه الانسان بما هو انسان فهو خارق للعادة
فلو اتى بصنعة او حرفة او صوت او كتابة او غيرها مما لا يقدر
غيره فهو خارق للعادة بقران كان مقرونا بالتحدى فهو المعجزة والا
فكرامة وانما قلنا بعدم اختصاصها بشئ اذ لا دليل على التخصيص
ومعه كان الترجيح محالا وايضا نرى اختلاف معجزات الانبياء
عليهم السلام بحيث تجزم بعدم الاختصاص ولاشتراك الجميع
فى افادة المطلوب الى غير ذلك والثانى ان حصول العلم بكونه معجزة انما
يتصور بوجهين احدهما كون الشخص من اهل تلك الصنعة والحرفة
ككونه ساحرا من السحرة بالنسبة الى ما صدر عن موسى عليه السلام
عن المعجزات او كونه طبيبا من الاطباء بالنسبة الى غالب ما صدر عن عيسى عليه السلام
او كونه عالما بفن الموسيقى بالنسبة الى ما صدر عن داود عليه السلام
وهكذا وثانيهما ان يعلم ذلك باتفاق اهل الفن مثلا اذا لم يكن الشخص
ساحرا فقد حصل له العلم باتفاق السحرة بكون ذلك مما لا يمكن ان يحصل

بفن السحر فان جعل العصا حية انما يعلم كونه معجزة لا سحرا اما للسحرة
فلعلمهم بالسحر واما لغيرهم فلاقرار السحرة بحيث يمتنع عادة تواطئهم على
الكذب بانه ليس من فن السحر والا فمع قطع النظر عنهما كيف يمكن
الفرق بينهما اذ الجاهل بالسحر يحتمل كون كل معجزة سحرا اذا كانت من التعبير
في الصور وكذا الجاهل بالطب يحتمل كون كل معجزة طبا اذا
كانت من فن التصرف في الابدان وهكذا فلو اتى بالسماء الى الارض
او رفع الارض الى السماء فلا يرفع عندهما هذا الاحتمال عند الجاهل بالفن
نعم اذا كان الشخص ساحرا او طبيبا مثلا فقد حصل له العلم
بكون ما اتى به معجزة لا سحرا او طبا بلا كلفة ومشقة وكذا اذا اجتمع عليه
جمع من السحرة والاطباء بحيث لا يحتمل تواطئهم على الخطاء واقروا
له بذلك فقد حصل له العلم ايضا وليس الطريق الاول باقوى من الثاني
في افادة العلم بل لكل منهما جهة قوة ليست للاخر اذ الاول من حيث
كونه بدون واسطة الغير يكون اقوى من الثاني والثاني من حيث كونه
ناشيا من اتفاق جمع كثير وجم غفير لا يحتمل اتفاقهم على الخطاء يكون
اقوى من الاول وعلم عدم السحرة والاطباء بنبوته اما من قبيل الثاني

وانا لما علمنا اجمالا اتفاق السحرة والاطباء على ان ما صدر عنهما ليس
بسحر ولا بطب فيجزمنا بنبوتهما ولولا هذا العلم اجمالا لاحتملنا كونهما
ساحرا وطبيبا كما احتملنا بنبوتهما فلولا ان امن السحرة بموسى عليه السلام
اولا بعد ملاحظة البينات عنه فلا يتم حجة الله تعالى على فرعون ولا يستحق
العذاب لا في الدنيا ولا في الآخرة باستكباره ما جاء به موسى عليه السلام لاحتمال
السحر في نظره لكن لما امن السحرة به اولا فعند ذلك فقد تمت حجة الله تعالى
عليه اذ لا يحتمل العقل كون اتفاقهم على الاقرار بالمعجزة من باب الاتفاق
على الخطاء فاستحق العقاب في الدارين لذلك والثالث ان يعلم ان عادة
الله تعالى لم تجر في اظهار المعجزة على ايدي الانبياء بالاكتفاء على القسم
الاول والا فقد وجب على الانبياء الاتيان بالمعجزة لكل احد من جنس
فنه وحرفته فلا يثبت نبوة موسى بتلك المعجزات الا للسحرة ولا
نبوة عيسى بها الا للاطباء واذا كانا مبعوثين على غيرهما
من اصناف الخلق فلا بد لهما من الاتيان بالمعجزة لكل ذي فن
من جنس فنه وليس كذلك فقد علم ان الله تعالى اكتفى في استبانة
معجزة الانبياء بما يحصل العلم به سواء كان بدون الواسطة او بواسطة العالمين

بل لعدم الفرق بينهما فيما هو المقصد من البعثة وهو العلم بكون فاعله نبيا
لا تنبيا وما جاء به معجزة لا صنعة ولا حرفة ولا شك ان علم الاغلب
بالمعجزة انما هو من القسم الثاني ومنه يظهر انه ينبغي ان يكون معجزة كل
نبي من جنس ما هو الشائع المتعارف في امثال تلك الازمان كما
هو الواقع على ما قيل فجعل معجزة موسى عليه السلام من جنس ما يحسنه اكثر
سحرة الغلبة السحرة وشياع فنه في زمانه اذ الفرق بين تلك المعجزات و
بين السحر انما يحصل للسحرة لعلمهم بالسحر وللغير بتصديق هؤلاء العلماء فقد
تم حجة الله تعالى على الناس جميعا العالم منهم والجاهل بخلاف ما لو لم يكن
فن السحر شايعا في زمانه فلا يحصل من تلك الاعمال نكوها معجزة لا سحرا
لاصحة يثبت بنوته ومثله بالنسبة الى معجزات عيسى عليه السلام وبالعكس
الامر فجعل معجزات موسى عليه السلام ومعجزات عيسى لموسى فلا
ينفعهما في زمانهما ولا يمكن لهما اثبات نبوتهما بها على احد من الناس بحيث
يجزم بها في الواقع ونفس الامر فلا يتم حجة الله على احد واذا علم
تلك المقدمات فنقول قد جاء نادرجل من العرب وادعى النبوة وجعل
معجزته الاتيان بكلام ادعى عجز الخلق عن الاتيان بمثله

اما بالفصاحة والبلاغة او الصرفية او لهما او لغيرهما حيث قلنا بعدم اختصاص
المعجزة بفن دون فن مما يليق بشان الانبياء فلا باس بجعله معجزة
اثبتت به نبوته وحيث قلنا ان العلم بالمعجزة انما يحصل اما من
العلم بهذا الفن او باقرار اهل الفن على العجز عن الاتيان بمثله وقلنا
بعدم الاكتفاء في العلم بالاعجاز بالقسم الاول فقد ثبت نبوته على الغير
والعجم والترك والديلم اما على العرب فلعلمهم بلسان العرب ومعرفتهم فنون
الفصاحة والبلاغة فلو كون ما جاء به من تلك الفنون لامكن
لهم الاتيان بمثله ولا توه مع كثرة فصحائهم وبلغائهم وخطبائهم
وشهرة فنهما في زمانه بينهم وغاية عداوتهم له كما هو العادة في مدعيها
واما على غير العرب فلاقرار اهل الفن اي اعتراف فصحاء العرب وبلغائهم
مع كثرتهم وسعة مملكتهم وكثرة امصارهم وبلادهم بالعجز عن الاتيان
بمثله بحيث لم يحدث عن احد منهم الاتيان بمثله منذ الف وماتي
عام مع بذاء فقهاء الاسلام طرا واعلى اصواتهم في كل زمان على وجوب
تحدي القرآن على كل احد لان لا يكونوا على غير العلم في امر النبوة وانه
لابد من العلم فيه فقد حصل لهم العلم على اكمل الوجوه بعدم اقدار

الناس بالاتيان بمثله كما ادعاه صلى الله عليه وسلم فيه ثبت نبوته
على غير العرب ايضا وليس لهم ان يقولوا انه ادعى الاعجاز فى فنون نحن
عالمين بها فانه ادعى الاعجاز فى فنون الفصاحة والبلاغة فى
لسان العرب ونحن من الاعاجم فلا يثبت معجزته بالنسبة الينا لانا يجب عنه
اولا بالنقض بانكم كما لا تعلمون لسان العرب ودقائقه كذلك لا يعلم غير
الطبيب صنعة الطبابة وفنونها فله ان يقول تعلما اتى بعيسى فى مقام التحدى
من علاج الابرص والاكمه واحياء الاموات يكون من فن الطب لا من المعجزة
وعدم اتيان غيره من الاطباء لا ينافى هذا الاحتمال لجواز كونه اعلمهم
فلا يقدر عليه غيره لذلك وكذا القول مثله فى شان موسى ومعجزاته
فلا يثبت نبوتهما عليهم بتلك الاعمال وقد جعل الله تلك الاعمال برهانا
لاثبات نبوتهما على العموم وثانيا بالحل بان المقصود من الاتيان بامثال
تلك الاعمال اثبات النبوة والعلم يكون تلك الاعمال من قبل
الله تعالى لا من باب الاكتساب وذلك كما يحصل العلم بفنون الفصاحة
والبلاغة بعد العلم باصل اللغة كذلك يحصل باقرار الفصحاء والبلغاء
لهم او هم على الفن بكونه معجزة لا فصاحة وبلاغة على ما يدانيه شك

كعلمنا بمعجزات سائر الانبياء بلا تفاوت بل هذا اقوى لكون المعجزة
بالنسبة الينا كما اذا كنا حاضرين بمجلس المعجزة لعدم زوال تلك المعجزة
بل هي باقية ابد الآبد كما كانت في صدر الاسلام بخلاف معجزات سائر الانبياء
اذ ليس لنا منها الا الحكاية عنها بان موسى مثلا كذا فعل عيسى
كذا في سنة كذا وليست الحكاية كالعيان بل نقول ان معجزات
سائر الانبياء مع ضعفها بالنسبة الى تلك المعجزة كما ذكرت تكون
كلما طال الزمان وبعد عهدها ازداد ضعفها اذ بطول الزمان يضعف
الحكاية وان معجزة القران على عكس ذلك اذ بطول الزمان
يصير الفصحاء والبلغاء اكثر معترافهم بالعجز عنه ووجود اصل المعجزة
كما كان في صدر السلف فيصير الجزم به اقوى ومن ههنا يظهر سر كون
هذا النبي صلعم خاتم النبيين دون غيره من الانبياء اذ بعد عهدهم سبب لضعف
معجزاتهم الى ان ينتهي الى زمان لا يحصل العلم عن معجزتهم فوجب
على الله تعالى ارسال نبي اخر ومعجزة اخرى لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل بخلاف هذا النبي صلعم وهذه المعجزة فانها
باقية الى يوم القيامة كما كان اولا بل اقوى فلا حاجة معه الى نبي

آخر ومعجزة آخرى الى ابد الآباد فليس هذه المعجزة كمعجزة سائر الانبياء
ومن انكر اعجازه فهو كمن انكر اعجاز سائر المعجزات لعدان رآه بعين
العيان بل قوى كما عرفت ومنه يظهر ايضا لزوم كون معجزة
خاتم الانبياء من جنس الاتيان بالكلام لا غير للزوم بقائها وما بقى
نوعه منحصر فى هذا الفرد اذ غيره فى معرض الزوال فلا يصلح لكونه معجزة
له فهذا هو السر فى كون معجزة من غير جنس معجزة سائر الانبياء
واتيانه المعجزة لا يصلح لغيره والا كانوا خاتم الانبياء ولا معجزة
الغير يصلح لهذا النبى والا لم يكن خاتم الانبياء فاعتبروا يا اولى الابصار
فانه حجة الله تعالى تمام عليكم الى يوم القيامة وغاية جرابكم انا لا نعلم
اتفاق العرب وفصحائهم على عدم امكان الاتيان بالمثل فنقول
اولا النقض بان الجاهل بالسحر والطب ايضا لا يعلم اتفاق السحرة
والاطباء على العجز عن الاتيان بمثل ما اتيا به وثانيا انه يكفى للعلم
اتفاق من يجزم العقل بعدم تواطئهم على الكذب كما يكفى ذلك
فى حق الاولين ايضا وذلك يحصل بفحص قليل فعليكم بالفحص حتى يحصل

العرب اظهر من الشمس وبداء فقهاء الاسلام بوجوب تحدى القرآن
على كل احد ابين من الامس ومع ذلك اتفقوا على الايمان به بهذه
المعجزة فكيف يبقى الشك فيكم ايها الناس فاتقوا الله لعلكم تفلحون
وايضا معجزة هذا النبى لا يكون الا من العقليات وادراكات
العقل عند اهلها بخلاف معجزتهما فان معجزاتهما متعلقة بامور الحية والقصف
فيها عند اهلها وبالجملة ليس لمعجزاتهما جهة قوة الا من جهة ان الف
العوام بالمحسوسات اكثر من الفهم بالمعقولات لكن لا شك ان الف
الخواص ونظرهم فى المعجزات المعقولة اقوى من المحسوسة فمعجزات
الاولين اقوى فى نظر العوام ومعجزات الاخير اقوى فى نظر الخواص واذا قد ثبت
قوة معجزة القرآن بالنسبة الى معجزات سائر الانبياء من وجوه شتى
فلو لم يكتف بها بعض الظالمين طلبا للاتيان بامثال معجزات
سائر الانبياء فاولئك هم الذين يستبدلون الخير بالذى هو ادنى
وهم بالاعراض عنهم احرى فاذا اعرض عنهم النبى او علق مطلوبهم
على مشية الله تعالى فلا حرج عليه اذ مثلهم كمثل الذى
استضاء بنور السراج فى رابعة النهار وما كان غرضهم

الا التحكم والتعنت على الله تعالى بل انه تعالى لو اعطاهم مطلوبهم
فلم لا يؤمنون ولا يقترون بل كانوا يطلبون ثالثا ورابعا وهكذا
مع انه لا فائدة فيه فلا يفعله العاقل فضلا عن الحكيم على الاطلاق
وثالثا نقول على سبيل النزل انا نقطع النظر عن المقدمة الثانية والثالثة
ونكتفي بالمقدمة الاولى فنقول لا شك ان المعجزة لا يختص بفن
دون فن ولا شئ دون شئ بل كلما لا يقدر عليه الغير فهو معجزة
اذا كان مقرونا بالتحدي ولا شك ان هذا الشخص ادعى النبوة والتي
بكلام ادعى امتناع الاتيان بمثله وعجز العرب لما لم يكن من
اهل الفن فلا يطلع على اعجازه فلا تكون حجة عليهم فلا يكون
مبعوثا عليهم لكن حينئذ للمستدل ان يقول انه اذا اتى بما لا يقدر
عليه جميع العرب واعترفوا عن اخرهم بالعجز عن الاتيان بمثله فعلم
منه صدق دعواه وبه ثبت نبوته على العرب بخصوصه لتلك المعجزة
واذا ثبت نبوته على العرب ثبت نبوته على الابيض والاسود لقوله
تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس وغيره من الآيات الدالة
على وجوب اتباعه على العموم اذ لا يحتمل الكذب في كلامه بعد ثبوت نبوته

في الجملة لكن لا يخفى انه لو قطع النظر عن المقدمتين الاخيرتين لا يمكن
اثبات النبوة لاحد من الانبياء على العموم الا بهذا النحو اذا تحقق تصريح اثر
عنهم وكان ثبوت النص المتواتر عن غيره يدل على عموم نبوته مشكل فيشكل
لا يقال اتفاق عموم العرب على العجز عن الاتيان بالمثل غير معلوم واتفاق خصوص
المسلم منهم غير نافع اذ لا نعلم كونهم صادقين هذا الدعوى لانا نقول او لا
بالنقض السابق فان اتفاق عموم السحرة والاطباء عن العجز غير معلوم واتفاق
من امن بهما منهم غير نافع وثانيا انه يكفي اتفاق من يجزم العقل بعدم
تواطئهم على الكذب وان كان قليلا من المسلمين منه اذ المقصود حصول العلم بالعجز
عن الاتيان بالمثل فاذا جزمنا بعدم التواطئ على الكذب فقد حصل الجزم
من خبر المدعى منهم ايضا هذا مع اشتمال القرآن على كثير من الاخبار عن المغيبات
كما لا يخفى على المتتبع فيه دائما يوجد كون القرآن من الله تعالى التفكر فيه والنظر
في رموزه ودقايقه من العلوم المركوزة فيه الحكم المشتمل عليها مع النظر في بيان
شريعة المبينة فيه اذ حاصل شريعته تعظيم الله تعالى والثناء عليه والانقياد لطاعته
وصرف النفس عن حب الدنيا والترغيب في سعادة الآخرة والطريق الى الله تعالى
الا من هذا الوجه هذا بالنسبة الى معجزتنا التي جعلها هذا النبي اصلا لا سائر

واما سائر معجزاته وخوارق عاداته مبيّنًا وحيًا صغيرا وكبيرا فهي اكثر من ان
تحصى حتى ضبطها بعض علمائنا الاعلام في اربعة الاف واربعمائة واربعين و
بعضهم
ضبطوا خصوص المعجزات في الف لا انقص كادت تبلغ بعضها حد التواتر كانشقاق
القمر وتسبيح الحصا في يده واجراء الماء من اصابعه وتكلم الحيوانات معه تظلها بعضه
واشباع جمع كثير بطعام قليل الى غير ذلك الا ان الانصاف ان شيئا منها
لا يبلغ حد التواتر بحيث يطمئن بها النفس ولعل السر في عدم انضباطها
من قدماء الاصحاب وعدم اعتنائهم بها وجود القرآن العظيم بينهم وتنزيله
يوما فيوما يلتفتون معه الى ما هو دونه في نظرهم فان الاصحاب كلهم فصحاء العرب
وكلهم امنوا باعجاز القرآن لعلمهم برموز الفصاحة ودقايق البلاغة
فكل آية لهم برهان مبين وكل سورة في نظرهم تبيان مبين وكل قصة وحكاية
عندهم بيضاء للناظرين فكانوا يهتمون في امر القرآن وانضباط الوحي به غاية
الاهتمام كما نقل ان كاتب الوحي منهم جمع كثير ولا يشعرون الى انه سيأتي اقوام
من الاعاجم وغيرها غير ملكيين لاعجاز القرآن فلو ضبط عنه من المعجزات
لكان انفع لهم مع ذلك لا يكون ضبط سائر معجزاته بانقص من ضبط معجزات
سائر الانبياء كما ستطلع عليه اذ السائر مشترك في علم بلوغه حد

النواتر فان ضابطة معجزات عيسى لا يكون الا اثنين او ثلثة ولم يبق
من اليهود في زمان بعثة النصر من يحصل من خبرهم العلم بالنسبة الى معجزات
موسى عليه السلام وغيرهما من الانبياء حاله معلوم منهما لا يقال قد حصل
لكم العلم بمعجزات السائر من القرآن المعلوم عندكم كونه من الله تعالى فقد حصل
لكم القرآن بين سائر معجزاته ومعجزات السائر بالعلم في الثاني هو الاول لانا
نقول لا نعلم معجزات موسى وعيسى عن الذين قالا بهما اليهود والنصارى
وهما الذان لم يوصفا بنبينا عليه السلام بل انما قلنا بمعجزات موسى وعيسى
اللذين قالا بنبوة نبينا وكم بينهما من القرآن لا يقال لا اختلاف
في ذاتهما انما الاختلاف في حال من احوالهما لانا نقول ان الاختلاف
في هذا الحال سبب لاختلاف في الحال الآخر فلو سلمنا ان اختلاف الحال
يستلزم اختلاف الذات لكان الامر كما ذكرت بل نقول ان موسى مثلا
اذا كان مؤمنا بمحمد عليه الصلوة والسلام فله ثبوت حال آخر وهو كونه ذا معجزات
باهرات وذاك لم يكن له الحال الاول فلا يكون له الحال الثاني
ههنا علم ان اليهود والنصارى في دعواهما النبوة لهما من المشتبه
لا من المصدقين وبالجملة لا خبر متواتر عندهما معجزات احد من الانبياء

وغيره من الاخبار لا يفيد العلم والمسئلة لا بد بها من العلم نعم اذا كان
للخبر قرينة تدل على صدقه فهو ايضا مما يفيد العلم فلو كان لهذين الطائفتين
من جنس اخبار الاحاد خبر مخفوف بهذه القرينة يدل على ثبوت معجزتهما
فلا يكونان مواخذين في الايمان بهما والا فيكونان مواخذين في الايمان
بهما ايضا لعدم اعتمادهما على العلم في الايمان بهما بخلاف طائفة
المسلمين فانهم امنوا بهما بسبب القران وكذا اجزموا المعجزا تهما به فآمنا
بهما بالخبر المتواتر وهو القران لا بالخبر الواحد حتى نحتاج الى الفحص عن القرينة
لكن امنا بهما حال كونهما متصفين بالصفات المذكورة في القران
لا بالصفات التي وصفهما بها اليهود والنصارى واما من قال هاتان
الطائفتان فلم نؤمن به بل نحن ننكره حيث لا برهان لنا عليه ولا ايمان
الا مع البرهان وهذا كلام دفع في البين فنقول واما اثبات النبوة
لسائر معجزاته غير القران فلما كانت المسئلة مما وجب فيها العلم
واليقين ولا يكتفى بالظن فلا بد من الاعتماد بالاخبار المفيدة للعلم فخبر الواحد
وكذا خبر العدلين وامثالهما مما لا يفيد اليقين لا يصح الاستدلال بها
واما الخبر المفيد للعلم فهو خبر الواحد اذا كان مخفوفا بالقرينة

وخبر التواتر وهو ما متواتر لفظا او معنى والاخير كما اذا اخبر
جماعة بقتل زيد لكن مزوجه شتى فاخبر احدهم بانه قتله فلان
والآخر بانه قتله الآخر وهكذا فحصل الجزم من خبرهم بمقتولية زيد وان
شك فى القاتل وكما اذا اخبر جماعة بحكايات مختلفة
عن شجاعة احد وعن جوده فلا شك انه يحصل العلم بشجاعته
او جوده وان شك فى كل واحدة من الحكايات بخصوصها ولنا
على اثبات نبوة هذا النبى من الاخبار كل واحد من هذه الاقسام الثلثة
اذا انظر بعين الانصاف فاما الخبر المحفوف بالقرينة فاقول هذا النبى
قد اخبر فى كتابه باختصاص كل نبى من الانبياء السابقة
بمعجزات كثيرة من غير فن الكلام وجعلها وسيلة لاثبات نبوتهم
مثلا اخبر عن موسى بان له تسع ايات الى فرعون وملائه ومثله عن عيسى
وهكذا العقل يحكم باستبعاد ادعاء النبوة من هذا الشخص مع اظهاره
المعجزة لنفسه او مع عدم امكان صدور المعجزة عنه فنقول لا شك
فى وجود بعض الاخبار الاحاد عند المسلمين فى معجزة هذا النبى واذا
ضم الله ما مضى من الاستبعاد فيفيد العلم بعد التخلية والانصاف

واما الخبر المتواتر لفظا منقول لا شك فى كون القرآن صادرا منه
جاريا على لسانه عندنا وعند غيرنا اما عندنا فظاهر واما عند غيرنا
فللخبر المتواتر عن المسلمين قاطبة بحيث لا يحتمل اتفاقهم على الكذب
فيه فيحصل الجزم به للغير خبرا لا يدانيه شك ثم اقول كما انهم
اتفقوا على هذا الخبر كذلك اتفقوا على صدور المعجزة عنه فى الجملة والكل يقولون
من دون تفاوت بينهما فاذا حصل العلم من خبرهم الاول فلا وجه
لان لا يحصل العلم من خبرهم الاخير اذ لا تفاوت فى الخبرين نعم ذهنى
الغير الماكن ممشوبا بالشبهة لا يجزم بالاخير مع جزمه بالاول فعليه
بالتخلية واما الخبر المتواتر معنا فنقول ان المعجزات والكرامات التى ضبطها
الاصحاب باسنادها المختلفة اربعة آلاف واربعمائة واربعون واكثرها
منضبط باسناد متعددة كاد ان يبلغ اسناد بعضها التواتر فيحصل من تلك
الاخبار المختلفة العلم بالقدر المشترك منها وهو كون هذا الشخص
ذا معجزة فى الجملة وذلك كاف فى ثبوت نبوته وان لم يعلم خصوص المعجزة
اذ لا دخل للخصوصية فى اثباته لان الجزم بالمعجزة اذا انضم بدعوى
النبوة جزما بثمر ثبوت النبوة وان لم يعلم خصوص المعجزة وبالجملة

لا يفيد الخبر بما هو خبر شيأ من العلم الا اذا كان محفوفا بالقرينة
او كان متواترا لفظا او معنى والجميع متحقق فى الاخبار بمعجزات هذا
النبى واذا احتمل عدم افادة العلم من خصوص كل من الثلثة
فعليك بانضمام الثلثة بعضها الى بعض فانه يفيد العلم جزما
وهذا بخلاف معجزات سائر الانبياء فان اخبار معجزاتهم لو سلم
فانما يكون محفوفا بالقرينة لا غير فانظر ايها العاقل بعين الانصاف
اذ لا يبقى لك على الله تعالى حجة بل قد تم حجة الله تعالى عليك فى امر
نبوة هذا النبى فانك اذا اردت النظر فى اصل المعجزة فعليك
بالنظر الى القرآن العظيم كما بينا اعجازه الى يوم القيامة واذا اردت
النظر الى امثال معجزات سائر الانبياء فعليك بالنظر الى كتب الاصحاب
المدونة لبيان المعجزات فان احتمال الهزل والهذيان لا يتصور بهذا
المقدار خصوصا عن الاعلام وعليك بتحصيل اليقين من اليقينين والنظر ايضا
الى الاخبار بمعجزات سائر الانبياء اذ ليس منها الا بعض الحكايات
فربما لا يفيد ظنا فضلا عن العلم فكيف يترك العاقل اليقين
بالشك فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان

ما انا الله هذا ما اردنا ایراده طلبا للاختصار اذ فیه الکفایة
لاهل الانصاف ومن اراد الاطلاع علی تفصیل الادلة فیها فعلیه
بمطالعة مطولات الاصحاب ۱۲

تمّت

خاتمة الطبع الحمد لله علی نواله والصلوة والسلام علی رسوله محمد وآله واصحابه اما بعد
مشتمل بثبوت نبوت بنبینا المکرم بعد عیسی علی نبینا وعلیه الصلوة وسلم که در آخر
لا نبیا علیه السلام لاحق گشته تحفه مومنین صادقین
بدرجه اجابت رسد واین فیضی ست جاری که از خشمه انشارت
فیض بشارت حاتم دوران فیاض زمان کریم ابن الکریم امیر ابن الامیر رئیس ابن الرئیس افقه الفقهاء
اعظم العلماء رئیس الاسلام والمسلمین جامی احکام شرع متین یمین الدوله وزیر الملک نواب محمد علی خان
بهادر صولت جنگ والی ریاست محمد آباد عرف ٹونک مقیم بنارس بتصحیح وتنقیح عالم علوم وخفی وجلی مصحح
علوی مولوی سید محمد معشوق علی کسمنڈوی سلمه الله القوی باهتمام خان والاشان عمیم الاحسان محسن زمان محمد علی خان
نقشبندی مجددی سلمه الله تعالی در مطبع علوی واقع لکهنؤ کٹره محمد علیخان بتاریخ
نهم ماه ربیع الآخر سنه ۱۲۹۰ هجری مطبوع طبایع خاص وعام گردید فقط



واسطے طبع علوی ہی مہر مطبع ثبت کیگئی فقط

صحح تمام اغلاط رساله اثبات نبوة نبينا عليه السلام بعد عيسى عليه السلام

صفحه	سطر	غلط	صحيح
٢	٥	عن ان ينفعه	على ان ينفعه
″	٩	بغير النبي	لغير النبي
٣	٤	لا يقدر غيره	لا يقدر عليه غيره
″	٨	تجزم	نجزم
″	١٤	وثانيها	وثانيهما
٤	٤	من التعبير	من نسالة بير
″	″	يحتمل	يحمل
″	٥	يحتمل	يحمل
″	٩	يكون	يكون
٥	٢	فيجزمنا	نجزمنا
٦	١	يكون	يكون
″	٨	جهة الله	حجة الله
″	٩	يكونها	العلم بكونهما
″	١٠	ومثله يقال بالنسبة	ومثله يقال بالنسبة
″	١١	موسى عليه السلام ومعجزات	موسى عليه السلام ومعجزات عيسى
٦	١٥	بكلام اذى عجز	بكلام عجز
٧	١	لصوفية	لصوفيته
″	٧	فلوكون	فلو كان
٨	٣	لانا يبر	لانا نجيب

صفحه	سطر	غلط	صحيح
٨	٦	تعل	لعل
″	٩	وكذا القول	وكذا نقول
″	١٢	يكن	يكون
″	١٣	يحصل العلم	يحصل بالعلم
″	١٣	باقرار الفصحاء	باقرار الفصحاء
٩	١	لكون المعجزة	لكون المعجزة
″	٣	مثلا كذا فعل	مثلا فعل كذا وفعل
١٠	١	ومعجزه	ومعجزة
″	٦	معجزة	معجزته
″	٨	الابصار	الابصار
″	٩	فانه جهه	فان حجة
″	١٥	مستفيد	مستبعد
١١	١	فقاء الاسلام	فقهاء الاسلام
″	٥	معجزتهما	معجزاتهما
١١	٥	الحبية	الحسية
١٢	٢	ولايقترون	ولايفترون
″	″	بل كانوا	بل ربما كانوا
″	٣	على سبيل	على سبيل التنزل
″	٩	تكون حجة	تكون حجته
١٣	٥	هذه	[illegible]
″	١١	كدائما	وربما

صفحه	سطر	غلط	صحیح
١٣			الحكم
١٤			
″	٨	يلبسه	عليهم ون
١٥	٥	لكم القارئ	لعمر
١٥	٨	تزاد	من الفرق
″			
١٦			
″	٩	قارجاعات	
″	١١	د فعر	و فع
١٧	٣	لمقتولة	بمقتولية
″	٨	المخفوف	الحفوف
″	١٥	ضم الله	ضم اليه
١٨		منقول	فنقول
″	٧	نعم ذهنى	نعم ذهن
″	٨	الماكان	لما كان
″	١١	بعضها التواتر	بعضها حد التواتر
″			يثبر